

مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية



مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Lebanon – Tripoli: Branche P.O. Box Abou Samra - www.jilrc.com - social@journals.jilrc.com



www.jilrc.com

www.jilrc.com

العام السابع - العدد 61 - فبراير 2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المشرفة العامة / أ.د. سرور طالبي

المؤسس ورئيس التحرير: د. جمال بلبكاي

www.jilrc.com - social@journals.jilrc.com

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

اهتمامات المجلة وأبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر مواقع مركز جيل البحث العلمي، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية: علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

هيئة التحرير:

- أ.د. عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
د. بغداد باي عبد القادر (المركز الجامعي غليزان، الجزائر)
د. تيقان بوبكر (رئاسة جامعة التكوين المتواصل، الجزائر)
د. سامية ابريغم (جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر)
د. طراد طارق (جامعة خنشلة، الجزائر)
د. طوال عبد العزيز (جامعة الجلفة، الجزائر)

رئيس اللجنة العلمية: أ.د. علي صباغ (جامعة قسنطينة 2، الجزائر)

اللجنة العلمية:

- أ.د. ودان بوغفالة (جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، الجزائر)
د. أحمد جلّول (جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر)
د. بوجليدة حسان (جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر)
د. بحري صابر (جامعة سطيف 2، الجزائر)
د. خويلد محمد الأمين (جامعة الجلفة، الجزائر)
د. سامية شينار (جامعة باتنة 1، الجزائر)
د. شلّالي لخضر (المركز الجامعي أفلو، الأغواط، الجزائر)
د. علّة المختار (جامعة الجلفة، الجزائر)
د. فكرون زوي (جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر)
د. نجوى نايف عبد النبي شكوكاني (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
د. هاني إسماعيل رمضان (جامعة غيرون، تركيا)

أعضاء اللجنة التحكيمية الاستشارية لهذا العدد:

- أ.د. خالد محمد عبد الفتاح أبو شعيرة (جامعة حائل، المملكة العربية السعودية).
أ.م. علاء كامل صالح العيساوي (جامعة البصرة، العراق).
د. إخلص محمد عبد الرحمن (جامعة الجزيرة، السودان).
د. أميرة سامي محمود حسين (مصر).
د. بلمداني نوال (جامعة معسكر، الجزائر).
د. حسن زربية (جامعة قفصة، تونس).
د. سماح بلعيد (جامعة الشاذلي بن جديد الطارف، الجزائر).
د. عبد القادر الجبارين (جامعة الخليل فلسطين).
د. علي سلطاني العاتري (جامعة تبسة، الجزائر).
د. مزرارة نعيمة (جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2).
د. نوري محمد أحمد شقلابو (جامعة الزاوية، ليبيا).

التدقيق اللغوي:

- أ.م.د. ميعاد جاسم السراي (الجامعة المستنصرية، العراق).
د. عبلة حسن (جامعة لينكولن، نبراسكا، الولايات المتحدة الأمريكية).
أ. وليد الشموري (جامعة المسيلة، الجزائر).

شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة، أو مؤتمر في الوقت نفسه، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية والإنجليزية.
 - اسم الباحث ودرجته العلميّة، والجامعة التي ينتمي إليها، باللغة العربية والإنجليزية.
 - البريد الإلكتروني للباحث.
 - ملخّص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12، باللغة العربية والإنجليزية.
 - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
 - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
 - اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
 - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:

social@journals.jilrc.com

الفهرس

الصفحة

- 7 • الافتتاحية
- 9 • استراتيجية الاستقرار بالسكن الفردي في علاقته بانتظارات الأسر المتباينة المسارات: حي أدرار بأكادير (المغرب)، محمد أصبان - إشراف عبد الكريم ساعة، جامعة ابن زهر، المغرب.
- 25 • التاريخ والأنثروبولوجيا بالمغرب المعاصر: نماذج ومقاربات، أيوب مهران، ثانوية محمود درويش، الصويرة، كريم العرجاوي، جامعة القاضي عياض، المغرب.
- 39 • دور التنظيمات الفلسطينية في تنمية السلوك التطوعي لدى أطرها الطلابية في الجامعات: دراسة ميدانية على الرابطة الإسلامية بجامعة الأقصى، بسام محمد عبد العزيز أبو عليان، جامعة الأقصى، فلسطين.
- 71 • المرأة المعنفة في المجتمع الجزائري، بن عمار نوال، جامعة الحاج لخضر، باتنة 1، الجزائر.
- 89 • مظاهر الاستخدام لأدوات الإعلام الرقمي في الفضائيات العربية الإخبارية، وداد عوض الكريم محمد سعيد - يحيى باسم يحيى عياش، جامعة الجزيرة، السودان.
- 101 • أثر استخدام طريقة المناقشة في تدريس اللغة العربية على التحصيل الدراسي لدى تلاميذ السنة الثالثة متوسط، عينو عبد الله - عبدلي سعاد، جامعة الدكتور مولاي الطاهر، الجزائر.
- 115 • زاوية الدراويش بالمغرب الشرقي من التأسيس إلى سنة 1948م: ترجمة لشيخها من خلال تقرير فرنسي، عماد اللبي، جامعة محمد الأول، المغرب.
- 131 • دراسة تحليلية لظاهرة السلطة من منظور سوسيو-سياسي-صونية حداد، جامعة باتنة 1، مريم عشي، جامعة تبسة، الجزائر.
- 141 • دور مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي في التقليل من حدة التنمر المدرسي، أميطوش موسى - سكاوي سامية، جامعة تيزي وزو الجزائر.

مقالات باللغات الأجنبية

- 153 • La famille et le trouble du spectre de l'autisme Étude descriptive, Jabraoui Hicham, Université Sidi Mohamed Ben Abdallah, Maroc.

الافتتاحية

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، أما بعد:

يسر هيئة تحرير مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية أن تضع بين أيدي قرائها العدد الواحد والستون (61)، إذ يحتوي على أبحاث و مقالات علمية في قضايا إنسانية واجتماعية توسّع من أفق التناول الثقافي والنقاش الفكري في الموضوعات المطروحة.

هذا وتبقى المجلة دوماً ملكاً لكل الباحثين والقارئین، وكلها شرف بأي بحث يرسل لها خدمة للعلم.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،،،

رئيس التحرير / د. جمال بلبكي

**تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية
لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز
جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي © 2020**

استراتيجية الاستقرار بالسكن الفردي في علاقته بانتظارات الأسر المتباينة المسارات: حي أدرار بأكادير (المغرب)

Stability strategy at individual housing in relation to the aspirations of different family's trajectories:
Adrar district (Agadir-Morocco)

أ.محمد أصبان/جامعة ابن زهر أكادير، المغرب إشراف أ.د. عبد الكريم ساعة/جامعة ابن زهر أكادير، المغرب
PhD S. Mohamed ASSEBANE/University Ibn Zohr – Agadir- (Morocco)

ملخص:

استندت هذه الدراسة الميدانية على عينة مقيدة وفقا لمقاربة نوعية شملت على 12 مشاركا ومشاركة في موضوع الحركة السكنية نحو السكن الفردي في علاقته بانتظارات الأسر المتباينة المسارات. وقد خلصت في النهاية إلى أن الهياكل المادية للمنازل إلى جانب مورفولوجية مجالاتها الداخلية والخارجية، وكذا التجهيزات المنزلية لدى النموذجين من الأسر، كانت تعتبر أهم المؤشرات التي تتحكم في مدى انسجام عدد أعضاء الأسرة مع الوظيفة التي يقدمها المسكن. إذ أن النموذج الأول من الأسر التي لا تدخل في سياسة إعادة الإسكان (القادمة من السكن الاقتصادي، والسكن الصلب العشوائي) كانت تظهر في رفاه داخلي متفاوت نسبيا، كما أن عدد الغرف التي تتوفر عليها، كانت تتناسب مع حجم أسرتها، والتي كانت عند بعضها تفوق عدد أفرادها؛ خلافا لما هو عند النموذج الثاني من الأسر التي تدخل في سياسة إعادة الإسكان (ساكني أحياء الصفيح سابقا).
الكلمات المفتاحية: الحركة السكنية، السكن الفردي، الاستقرار السكني، الاستراتيجية السكنية.

Abstract:

The article deals with the subject of residential mobility towards individual housing in relation to the expectations of different families tracks. We relied on the observation method and the semi-directed interview according to a sample society consisting of 12 families. The research concluded that the physical structures of the houses, along with the morphology of their internal and external areas, as well as the household equipment of the two household models, was considered the most important indicator that controls the adequacy of the number of family members with the function provided by the house. The first model of households not included in the policy of re-housing (coming from economic housing and random overcrowded housing) showed relatively uneven internal well-being, and the number of rooms available was proportional to the size of their families, more than the number of its members; unlike in the second model of households involved in the policy of re-housing (formerly slum dwellers).

Keywords: Residential mobility, individual housing, residential stability.

مقدمة:

لقد شكلت الحركية السكنية أهم القضايا التي شغلت العديد من الدارسين والباحثين بمختلف توجهاتهم، ومياديتهم، ومشاربهم العلمية؛ سيما تلك الأبحاث السوسولوجية والانثروبولوجية الحضرية التي نحت في اتجاه دراسة تأثير السياسات الإسكانية على استقرار الأسر التي تم ترحيلها من أحياء الصفيح إلى تجزئة سكنية جديدة مختلطة مع أسر متباينة المسارات، وعلاقة كل ذلك بعمليات الإشراف الذاتي على البناء. ويبدو أن "الدراسات في العلوم الاجتماعية التي أنجزت حول مسألة (الحركية السكنية/التنقل السكني)، هي قديمة ومتعددة، انبثقت من تخصصات متنوعة منها الديموغرافيا، والجغرافيا، والسوسولوجيا، والانثروبولوجيا، والتاريخ"¹.

إن ثنائية الحركية السكنية وتلاؤم السكن الفردي مع الاحتياجات الوظيفية للأسر المتباينة المسارات، كموضوع إشكالية هذه الورقة البحثية؛ حاولنا مقاربتها بتشخيص ودراسة بعض جوانبها التي تتعلق بسياسة الترحيل للأسر من الأحياء الصفيحية؛ بعدما كانت تعاني من أشكال التهميش، والعزلة المكانية، والاستبعاد الاجتماعي.. أصبحت اليوم تتوفر على مسكن فردي خاص بها، إلى جانب الأسر المتباينة المسارات (القادمة من السكن الاقتصادي، والسكن الصلب- العشوائي)، يضمن لهما مجالا واسعا من الاستقلالية الذاتية وفرصة سانحة في تطوير مسكنهما والارتقاء بها، وفقا لتصوراتهما الرمزية والثقافية الخاصة.

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنها تحاول مقارنة أحد الجوانب المتعلقة بالديناميات الاجتماعية الحضرية كظاهرة الحركية السكنية نموذجاً لها، في محاولتنا لفهم ومقارنة قضية الحركية السكنية نحو السكن الفردي في علاقتها باستراتيجية الاستقرار وبناتظارات الأسر المتباينة المسارات. وقد ارتبط المجال البشري لهذه الدراسة بالأسر المستقرة في التجزئة السكنية التي تم تخصيص جزء منها للسكن الفردي الرسمي، بحيث أن هؤلاء - كما هو في متن هذا المقال البحثي- من بينهم الأسر التي تم استهدافها في برامج سياسة إعادة إسكان قاطني دور الصفيح، إلى جانب تلك الأسر التي لا تدخل ضمن هذه السياسة الإسكانية.

ويقع المجال الجغرافي للدراسة على التراب المحلي لعمالة أكادير إدوتنان، وتحديدًا في الجنوب الغربي للمملكة على امتداد "مساحة تقارب 150 هكتار"². فقد وقع اختيارنا على أحد التجزئات السكنية الجديدة بمنطقة تبعد عن مركز المدينة بحوالي 11 كيلومترا، وهي تجزئة "أدرار" التي "تعتبر منطقة حضرية حديثة النشأة، تقع على مدخل المدينة من جهة الشرق، ويفصلها الطريق الوطني السريع عن حي تيكوين من جهة الجنوب"³، وإمسكين شمالا، وحي تليلا غربا.

إجمالا، هدفت الدراسة إلى عقد مقارنة بين هذين النموذجين من الأسر المتباينة في مسارها، وذلك من خلال دراسة جانب مهم تلاؤم السكن الفردي مع مختلف استراتيجيات الاستقرار السكني بالحي الجديد.

أولا: إشكالية الدراسة وفرضيتها

عرفت مدينة أكادير المغربية نزوح سكان القرى نحو المدن بحثا عن فرص الشغل أو هربا من قحط البوادي وغيرها من الأسباب إلى نشوء أحياء الصفيح، نتيجة وضع اليد على الأرض بطريقة غير مشروعة ولا قانونية. "لقد أضحت قضية التمازج

¹Agnes, Deboulet; Michèle, Jolé, "Les mondes urbains : le parcours engagé de Françoise Navez-Bouchanine, Karthala", Paris, France. 2013, p 50.

²Al Omrane, "Cahier de charges : Opération : ADRAR", Agadir, Maroc, 2006, p1.

³Ibid.

الاجتماعي من القضايا الملحة التي طرحت نفسها بإلحاح شديد في برامج سياسات الإسكان، حيث أصبحت هدفا لاتخاذ الإجراءات العامة، وخاصة تلك الأشكال النضالية التي كانت ضد ظاهرة الغيتو ghettos¹. إلا أن الوسائل المستخدمة في تحقيق المزيج الاجتماعي ليست دائما خالية من تهمة التمييز² ولكن أصبحت في المقابل، بمثابة الآلية التي تسمح لنا بشكل وافي ودقيق، على تحليل واقع السياسات الإسكانية التي ترمجها الدولة ومؤسساتها في قطاع التعمير والإسكان، وذلك من خلال عمليات التقسيم الاجتماعي للفضاء الحضري division sociale de l'espace urbaine، ودورها إلى جانب سياسة المزيج الاجتماعي في إعادة إنتاج تفاوتات جديدة بين الأفراد المقيمين على نفس التجزئة السكنية، وفي إنتاج مجتمع غير متجانس.

ووعيا منا بأن المجتمع الأكاديمي يتشكل من مجموعات إنسانية تختلف بحسب نشاطاتها السوسيوإيمانية ووضعها الاقتصادي المادي في استخدام الفضاء السكني؛ الشيء الذي يحيلنا منذ البداية إلى التساؤل، حول تأثير عمليات التقسيم الأراضي على الأسر المتباينة المسارات؛ تلك الأسر التي استفادت من دعم الدولة في إطار سياستها الإسكانية، حيث أصبحت تتوفر الآن على بقع أرضية في تجزئة سكنية جديدة، بعد عملية الانتقال التي عرفتها هذه الأسر من السكن الصفيحي إلى البناء الرسمي الخاص؛ وهو التحول الذي قد ينتج عن تغيرات كبيرة على مستوى الأسر وأعضائها من جهة، ثم كذلك تلك الصعوبات والتحديات التي عرفتها ولازالت تعرفها هذه الأسر المحدودة الدخل أثناء مباشرتها عملية الإشراف الذاتي على البناء.

إن التجزئة Lotissement السكنية الجديدة المخططة للسكن الفردي لا تشمل فقط على الأسر المستفيدة من سياسة الترحيل، التي غالبا ما تنتمي إلى فئات ذات الدخل المحدود، وتحتاج إلى وقت طويل في بناء منازلها، وفي ضمان استقرارها الاجتماعي والاقتصادي؛ وإنما تشمل كذلك على الأسر التي لا تدخل في سياسة إعادة الإسكان، مما قد تكون من الفئات الاجتماعية المتباينة في جانبها السوسيو ثقافي، والمهني، والاقتصادي، ومن حيث مساراتها الحياتية.

ينطلق البحث من سؤال مركزي حول كيفية تفسير تلاؤم السكن الفردي بتجزئة أدرار مع مختلف انتظارات الأسر المتباينة المسارات بمدينة أكادير؟

وقد افترضنا أن السكن الفردي يتلاءم مع مختلف انتظارات هذه الأسر المتباينة المسارات.

ثانيا: المفاهيم الأساسية لإشكالية الدراسة

يبقى تحديد مفاهيم الدراسة أهم خطوة يواجهها الباحثين الاجتماعيين عند محاولتهم لمعالجة إشكالية الدراسة، باعتبارها القاعدة النظرية والفكرية التي يتأسس عليها العمل البحثي. واستنادا على ذلك، فإننا ركزنا في هذا الجانب على المفاهيم الإجرائية التالية:

1. مفهوم الانتقال السكني / la mobilité résidentielle/ الحركية السكنية

نقصد بالانتقال أو الحركية السكنية، ذلك التأثير الناتج عن الانتقال/ الحركية السكنية المخطط لها أو غير مخطط لها من عمق دائرة استراتيجية هذه الأسر المتباينة المسارات، بحيث يمكن أن يقوم على عناصر مشجعة عن طريق فكرة الرضا

¹Sylvie Tissot, "Une discrimination informelle ? Usages du concept de mixité sociale dans la gestion des attributions de logements HLM". En ligne : < <https://www.cairn.info/revue-actes-de-la-recherche-en-sciences-sociales-2005-4-page-54.htm>. 2005, consulté le 15 juillet 2016, (Pp 54-69).

²Yankel Fijalkow, "Sociologie de la ville", La Découverte, paris, France, 2002, p 53.

والاستقرار في السكن الراهن، أو قد يكون عكس ذلك، حينما يشمل على عناصر غير مشجعة على البقاء في الموقع المستقبل الجديد.

2. مفهوم السكن الفردي

السكن الفردي، هو نموذج من نماذج الإسكان الحديث بالمغرب، حيث يتسم هذا النموذج بطابع الملكية الفردية أو المشتركة أو الكراء أو الرهن، ويتميز بنوع من الحرية في تصميم الرفاه الداخلي والخارجي للمسكن، وباستخدام أحدث الوسائل التي يوفرها فن الهندسة المعمارية؛ من مواد بناء عصرية، ونوافذ مطلة على الخارج، وبمساحات متفاوتة من الأرض، حيث يتوفر في بعض الأحيان على حدائق صغيرة، ويتميز بمدخل أو مدخلين على الأكثر يكونان في مجمل الأوقات مغلقان ويصعب الولوج إليهما بدون إذن مالكيها. وهذا النموذج من السكن يتشكل من الطبق الأراضي إلى حدود طبقين علويين على الأكثر مع سطح محاط بسور. أما من حيث المساحة، فهي تتفاوت حسب موقع المنزل في الحي، وحسب قوة المالكين في سوق العقار، وكذا طبيعة سياسة إعادة الإسكان التي يمكن أن تطال فئات دون أخرى؛ بمعنى تخصيص بقع أرضية بأقل أئمنة لإعادة إسكان فقراء الحضر في أماكن محددة مسبقا، دون قدرتهم للوصول إلى البقع المخصصة لأفراد آخرين من المتوافدين على الحي.

3. مفهوم الاستقرار

إن استراتيجية الاستقرار السكني في هذه الدراسة، هي خيار يرجع إلى القاطنين في نهاية المطاف، فقد يعود اختيار البقاء في نفس المسكن إلى عوامل عدة، منها على سبيل المثال؛ توفر الحي على مختلف البنيات التحتية، وعلى التجهيزات الجماعية، وكذا الخدمات الأساسية المختلفة من ناحية، ثم كذلك قد ترجع إلى مسألة المسافات الاجتماعية، والمهنية، والاقتصادية، واليومية التي قد يتسم بها التنظيم الاجتماعي للأفراد والجماعات من داخل الحي.

ثالثا: منهجية وأدوات الدراسة

تتطلب مجمل الأبحاث السوسولوجية التي يتعرض لها الباحثين والدارسين الاجتماعيين عند محاولتهم لفهم الظواهر الاجتماعية التي تحيط بمجال دراساتهم، إلى اعتماد مجموعة من الإجراءات المنهجية والوسائل البحثية العلمية، التي تمكنهم من اختيار المناهج التي تلائم طبيعة مواضعهم، وتحديد الأدوات والتقنيات التي تمكنهم من جمع المعطيات والبيانات العلمية قصد الوصول إلى نتائج موضوعية ودقيقة حول الظاهرة المدروسة.

إن هذه الدراسة الراهنة انبنت على مقارنة كيفية وعلى مداخل نظرية مختلفة جمعت بين تقنية الملاحظة البسيطة والملاحظة المنظمة، إلى جانب المقابلة المقننة والشبه المقننة، وعلى مصادر وتقارير رسمية. معتمدين على عينة مقيدة وفقا لمقاربة نوعية شملت على 12 فردا من عينة البحث قيد الدراسة.

إن أهم الصعوبات التي واجهتنا أثناء عمليات إنجاز البحث، تأتي في مقدمها صعوبة التنقل في الحي وضرورة التخفي أثناء عمليات التصوير الفوتوغرافي. كما أن دليل المقابلة المعتمد، كان يشكل نوعا من الانزعاج حول المدة التي تأخذها كل مقابلة مع المبحوثات والمبحوثين على حد سواء. زد على ذلك، تلك الصعوبة التي تعلق بالبحث عن المبحوثين نهارا؛ وهذا دفعنا إلى عقد عدة مواعيد مع المبحوثين ليلا لإجراء المقابلة معهم.

-عرض ومناقشة نتائج الدراسة

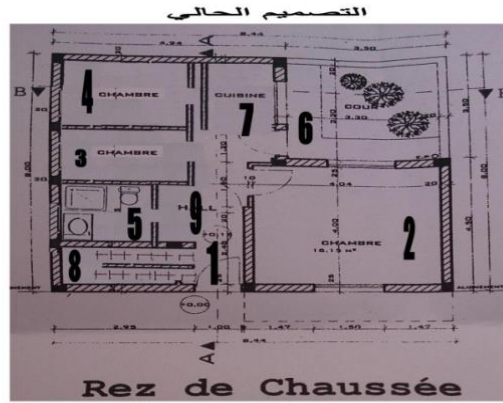
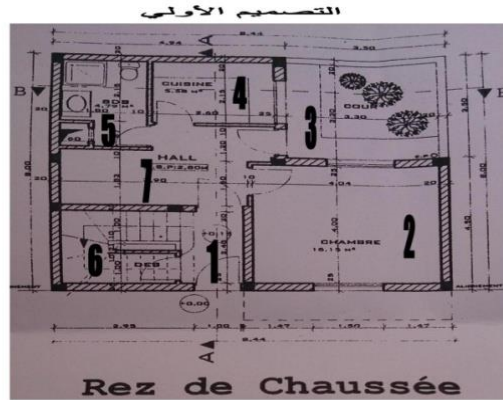
1. أعضاء الأسرة والاحتياجات الوظيفية في المسكن

إن قيام أنماط السكن الفردي على أسلوب البناء الذاتي، يترك مجالاً واسعاً لقوة الرأسمال المادي والاجتماعي الذي يحظى به الأفراد داخل مجتمع الحي الواحد، والذي يمكن أن تلعب فيه كذلك، الأبعاد المادية، والعمرائية، والمعمارية التي تشكل سمة الهياكل البنائية، إلى جانب رفاهية المجال الداخلي للمسكن، دوراً مهماً في تحديد تلاؤم السكن للأفراد عن عدمه (أنظر الجدول رقم: 1). كما تعد نسبة الكثافة الاجتماعية للأفراد من داخل المسكن ضمن المؤشرات التي تسمح لنا باستيعاب مسألة الكثافة الاجتماعية السكنية التي يشغلها الأفراد في المسكن الواحد على مستويات حركاتهم، وتفاعلاتهم الاجتماعية المكانية. لذلك فقد عرفت تصاميم البناء السابقة، تغييرات مست عديدة من الوحدات الأساسية للمنزل، كما عند أحد المبحوثون الذين لا يدخلون في سياسة إعادة الإسكان، والذي وصل أخيراً إلى ملكية المنزل الفردي، بعدما كان يكتري شقة في السكن الاجتماعي: «العمران مادارت والوا من هادوك البلاطات.. خاييين، الفصالة لدارت مازيناش، أنا البلا ليدرت خلصتو»، (شركة العمران لم تحدث شيئاً يذكر في هذه التصاميم.. إنها تصاميم سيئة. فأنا شخصياً، دفعت المال من أجل تغيير التصميم الذي اعتمده في البناء). المبحوث الثاني

يدل هذا الخطاب على رفض اعتماد تطبيق التصاميم المقدمة سلفاً وإلى نقدها، باعتبارها لا تتلاءم مع رغبات المبحوث. كما أن هناك اعترافاً واضحاً نحو قدرة الساكنين على التغيير الداخلي للمسكن أمام سلطة المال؛ ما دام أن الأمر يتعلق بسياسة الأداء على التغييرات التي تحيط بالتصاميم السكنية؛ حينما لا تتماشى مع رغبة المالكين إدراكاً منهم بهذه اللعبة القانونية المقصودة، والتي تضغط على جيوب المواطنين في مقابلة تعبئة صناديق الدولة: «ما يقارب 70 بالمئة من الناس قد باعوا أراضيهم، وهناك من يسكنون في جدران بغير طلاء. الناس مساكين، فالناس هناك من لديه إكراهات، لكن أنا الحمد لله لم تكن عندي إكراهات». فما قد يكون محفزاً قانونياً يفرض قيوداً مالية على نموذج من الأسر، كما هو الشأن بالنسبة للأسر التي تدخل في سياسة إعادة الإسكان، قد يكون إكراهاً قانونياً غير مبرر واقعياً أمام الظروف التي تختلف حسب كلا النمطين من الأسر (التصميم الذي أعده المهندس غير مناسب؛ لأنه تصميم ينبي على توجيه البناء عمودياً حتى يحصل لك التوفر على حجرات كافية، ولكن نحن ليس باستطاعتنا إتمام طبقات المنزل. كما أن المهندس يعتبر نفسه كذلك، أن أفراد الأسر لا يتجاوز عددهم ثلاثة، وقد نسي بأن الناس القادمين من البوادي نحو أحياء الصفيح، كانوا فقط يعيشون في الطابق الأرضي). المبحوث الخامسة

انطلاقاً من كلام المبحوث، يمكن أن نسجل بأن عبارة «غير مناسب» لا تقوم فقط علمنطق التغيير في المجال الداخلي للمسكن كما هو قائم لدى العديد من المبحوثين، ولكن يمكن أن نستطلع أيضاً ذلك البعد المادي الهش للأسرة التي لا تقدر على البناء الذاتي الكامل نحو تشييد الطابق العلوي الثاني. وهذا ما يؤدي عند بعضهم إلى اللجوء لتقليص عناصر الوحدات الداخلية، كالدرج والمطبخ مثلاً، أو إلى حذف بعض الوحدات السكنية مثل، المراض وتعويبه بوحدة وظيفية أخرى في حدود إمكانياتها المادية، وقد تقوم بهذه الإضافات، بشكل عشوائي يشمل غياب تقسيم الوحدات الداخلية، كما عايناه في أغلب المساكن التي يستخدم أعضاؤها، أقمشة أو ستائر لتعويض الأبواب والنوافذ، وحتى الجدران (أنظر: الشكل 1). «من لداخل، مثلاً الدوش وحمام دار ليك فيه 2 مترو، وعاطينك 64 مترو، كيف هادير ليها، كولشي غيرتو أنا» (من الداخل، مثلاً خصص المهندس للحمام مترين، ولديك بقعة لا تتجاوز 64 متراً، لا يعقل ذلك. لقد غيرت كل شيء). المبحوث الرابع

الشكل 1 : التغيرات اللاحقة بالتصميم السابق



- | | |
|------------------------|------------------------|
| 1. المدخل | 1. المدخل |
| 2. غرفة استقبال الضيوف | 2. غرفة استقبال الضيوف |
| 3. 4. غرفة النوم | 3. فناء 4. مطبخ |
| 5. مرحاض/ حمام | 5. مرحاض/ حمام |
| 6. فناء 7. مطبخ | 6. الدرج 7. المهو |
| 8. درج 9. المهو | |

إن طريقة تقسيم السكن، وتحقيق الرغبة الملحة لدى غالبية النموذجين من الأسر في تغيير تصاميم البناء الأصلية، تكشف لدينا تارة، تلك الخصوصيات السوسيو ثقافية التي يحملها الأفراد في أذهانهم وممارساتهم، حيث الراحة في العيش في المسكن الواسع والمنظم وفق منطقياتهم الحداثية أو العكس، يعبر عنها بنقد التصاميم السابقة أو الأصلية. كما تجسد التصاميم الراهنة تارة أخرى، ذلك البعد الواقعي للكثافة السوسيو مكانية التي تفرضها الشروط الموضوعية للمسكن، حينما لا يتوافق التقسيم الداخلي للمسكن مع مختلف تطلعات الأفراد، فيتم اللجوء بعدها إلى طلب تغيير التصاميم السابقة بطرق شرعية قانونية؛ في حالة ما إذا توفرت القدرة المادية لأرباب الأسر، أو باللجوء إلى طرق غير شرعية لا قانونية؛ حينما يعجز

أرباب الأسر على دفع هذه التكاليف التي تشمل تغيير التصميم الداخلي. هذه الأخيرة، كانت حاضرة فقط، عند ثلاثة من الأسر التي تندرج في سياسة إعادة الإسكان.

يمكن أن نستشف من خلال العلاقة بين أعضاء الأسر وبين مساحة المعيش، بأن هناك تفاوت في استغلال المجال الخاص ما بين هذه الأسر المتباينة المسارات. فبالنسبة للأسر التي لا تدخل في سياسة إعادة الإسكان، فمعظمها تتوفر على منزل يتكون من طابقين، سوى مبحوث واحد كان لا يتوفر إلا على منزل يتكون من طابق أرضي مع سطح مؤقت. كما أن أعضاء الأسرة وعدد الغرف، يختلف عددها ما بين ستة أعضاء، واثنين كحد أدنى، إلى جانب 7 غرف، وأخرى ثلاثة، ضمن مجتمع بحث هذه الدراسة.

لقد صدقنا فور إجراء مقابلتنا مع الأسر التي تدخل في سياسة إعادة الإسكان، من ضمنها الأسر التي استطاعت بناء الطابق الأول، حيث يتكون أفرادها ما بين اثنين إلى 8 أعضاء، موزعين على غرفتين إلى أربعة غرف، إضافة إلى أسرتان لم تستطعا الوصول إلى بناء الطابق الأول من المنزل، وتتكون هاتان الأسرتان من سبعة أعضاء، موزعين على غرفتين إلى ستة غرف. كما أن هناك أسرتان فقط، ضمن الأسر التي لا تستغلان مجالهما الخاص بالكامل، نظرا لأن إحدهما في عقد شراكة: «تلاقينا مع واحد سيد شي شويبا خايب، مع هاذ السيد داكشي ليدرنا معاه ماداروش» (تعاقدا مع رجل سيء بعض الشيء، لأن هذا الرجل لم يوفي بوعد الذي توعدنا عليه) المبحوثة الثانية. أما الأسرة الثانية التي لجأت إلى كراء الطابق الأرضي، فقط كانت مقابلة لزوجين في وقت واحد، حيث يعربان بالقول: (المسكن غير كافي، نحن ثمانية أفراد، أربع بنات، وزوجين، وعدد الغرف اثنتين في الطابق الأعلى، واثنين في الطابق السفلي الذي تم كراؤه) مقابلة مع زوجين.

إن معطى الوحدات السكنية التي تتفاوت في مساحتها الأرضية ما بين $64m^2$ ، $72m^2$ ، $74m^2$ ، لم تكن أحد العوامل الرئيسية التي تستوجب تكييف المسكن مع الاحتياجات الوظيفية للأفراد فقط، ولكن تفاوت المساكن في وظائفها وعدد طبقاتها وطبيعة رفايتها الداخلية، اعتبرت من جانب الاستقرار عاملا ملازما لهذه التغييرات التي طالت الهيكل البنائية الداخلية للمساكن في علاقتها بعدد أعضاء الأسرة. لذلك، لاحظنا بأن هناك من الأسر التي لجأت إلى إضافة غرفتين أو أكثر على سطح المنزل، بطرق قانونية، تخضع لمواد بناء حديثة، وهناك عكس ذلك من لجأت إلى استخدام مواد تقليدية مثل، الخشب، والقصدير، أو البلاستيك كما هو قائم عند بعض الأسر التي تدخل في سياسة إعادة الإسكان.

تبين عدد الغرف السكنية المتوفرة لكلا النموذجين من الأسر، ذلك الجانب منالطلب الذي يلجأ إليه الأفراد حينما تكون كثافة الأعضاء مرتفعة، سيما عند الأسر التي تدخل في سياسة إعادة الإسكان، حيث درجة التزاحم تظهر بشكل جلي، كما هو الشأن عند بعض الأسر التي يبلغ عدد أعضائها من سبعة إلى ثمانية أفراد، وهي لا تتوفر إلا على غرفتين من مجموع مساحة المنزل. في مقابل ذلك، نجد من الأسر التي لا تدخل في سياسة الإسكان، جانب مهم من الانسجام والتوافق بين مجموع عدد الأفراد مع مجموع عدد الغرف المتاحة.

يبرز حجم الأسرة، كما وجدناه في أغلب الأحيان عند الأسر التي تدخل في سياسة إعادة الإسكان، مسألة مهمة لا يمكننا تجاوزها هنا، وهي تلك الكثافة التي تشمل الاستعمال والتناوب على مرفق واحد، كالمرحاض أو المطبخ أو غرف النوم المشتركة ما بين الأبناء مثلا (أنظر نموذج الشكل التوضيحي رقم: 1). فهذه الوحدات تعتبر من أحد السمات المهمة التي ميزت هذا النموذج من الأسر التي لا تدخل في سياسة إعادة الإسكان.

والجدير بالذكر هنا، أن الأسر التي لا تدخل في سياسة إعادة الإسكان، أبانت عن رضاها وكفاية وظائف المسكن مع جميع أعضاء أسرتها، نتيجة تلك التغييرات التي طالت مجالاتها الخاصة، ما عدا مبحوث واحد فقط، من احتفظ بالتصميم

السابق « الضوايا أور تمقور، إزا أدكغ أكايونو غوقري، إخصا اتنفاس تكبي، د تافوك » (الشرفة غير كبيرة كما يقول البعض، هل أضع نفسي في قنينة؟، إنما يجب أن يكون هو حصول التهوية، ووصول الشمس إلى الداخل) المبحوث الثاني. فهذا المبحوث يشغل مهنة البقالة، ولديه أسرة تتكون من ستة أفراد، تعيش في مسكن ذا طابقين في إشارة إلى أن المسكن في حاجة إلى الطلاء الخارجي.

وأما عن الأسر التي تدخل في سياسة الإسكان، فمعظمها لا تشغل كل مجالاتها الخاصة، إما لأنها في عقد شراكة، أو في عقد كراء، أو بسبب عجزها عن الإشراف الذاتي الكامل على المبنى. لذلك، توجهت أغلبية هذه الأسر إلى الاكتفاء بتغيير من تصميمها الداخلية حتى تكيف احتياجات أفرادها، إما من خلال العمل على تقسيم طابقها الأرضي إلى جانب استغلال طابق علوي غير مكتمل، أو باللجوء كما هو الشأن عند أحد المبحوثين الذين لا يدخلون في سياسة إعادة الإسكان، إلى الاحتفاظ بنفس التصميم السابق للمسكن، دون إشغال جميع مرافقه التي تحتاج إلى الصيانة.

تبقى مسألة التغيير الداخلي للمسكن الفردي، مسألة شخصية لا تتعلق بنموذج أو بأخر من الأسر المتباينة المسارات، ولكنها تتعلق بطبيعة القناعات التي يحملها المبحوثون تجاه المسكن عموماً، وكذلك المحددات التي تفرضها الكثافة الاجتماعية السكنية الموضوعية. «فأما عمليات البناء بالجهد الذاتي المعان فرغم الخطأ بالتقليل من أهميتها واعتبارها عملاً ضئيلاً فيمكنها أن تلعب دوراً مهماً في أن تجعل المساكن متفقة مع الواقع الثقافي المحلي ليس فقط على مستوى المكونات التخطيطية والسكنية فحسب، ولكن أيضاً على مستوى المساحات التي تخصص للاستخدام اليومي لحياة هؤلاء الناس»¹. لهذا نرى بأن عملية التغيير الداخلي للمجالات الخاصة - حتى في غياب البناء الذاتي المعان -، قد لعبت دوراً مهماً في تكييف تطلعات الأسر المتباينة المسارات مع استراتيجية الاستقرار السكني، لأن هذه التغييرات لا تنحصر على السكان القادمين من أحياء الصفيح، ولكن هامش كبير في إحداث هذه التغييرات من طرف هذين النمطين من الأسر، على الرغم من ذلك الاختلاف الذي يمكن أن يطال مستوياتهم الثقافية، والعلمية، والسوسيو مهنية، يصبح في النهاية ضرورة تنسجم وتتماشى وطبيعة التصورات التي يحملها الأفراد.

2. التنظيم الداخلي للمجال الخاص

نشير بداية إلى أن الأسر التي لا تدخل في سياسة إعادة الإسكان، باستثناء مبحوث واحد فقط على أنها قد استطاعت أن تُتم طبقات المنزل R²، وهذا ما يُوفر لها مساحة سكنية تكفي لسد جميع الرغبات التي يتطلع إليها أفراد أسرتها (أنظر الجدول 3). لذلك يمكن من خلال ملاحظتنا الميدانية، بأن نصنف المبحوثين حسب المورفولوجية التنظيمية الداخلية العامة للمجال الخاص إلى أربعة أصناف:

الصنف الأول: الأسر التي لا تدخل في سياسة الإسكان، وهي أسر تتمتع برفاه داخلي مهياً بالكامل، من حيث التجهيزات المنزلية، وعدد المرافق، ومن حيث البيئة السكنية الجيدة.

الصنف الثاني: الأسر التي لا تدخل في سياسة الإسكان، وهي أسر تتوفر على منزل مقسم في جميع جوانبه، ولكنها في حاجة إلى الإصلاحات الضرورية، حيث تهيئة الطابق الأرضي يبدو في حالة جيدة دون الطابق الأول الذي نجده قد تحقق عند أسر وقد غاب عند أسر أخرى، ولكنها عموماً في حاجة إلى بعض التعديلات مثل، إضافة الأبواب، والنوافذ، والصبغة وغيرها.

¹جوانوتييه برنار، "السكن الحضري في العالم الثالث: المشكلات والحلول"، تقديم وتعريب محمد علي بهجت الفاضلي، منشأة المعارف، دون ذكر المكان. 1987، ص 347.

الصف الثالث : الأسر التي تدخل في سياسة إعادة الإسكان، وهي أسر تتميز بتهيئة ضعيفة لمجالاتها الداخلية.

الصف الرابع : الأسر التي تدخل في سياسة إعادة الإسكان، وهي أسر تفتقر إلى أبسط الإصلاحات الضرورية لمجالاتها الخاصة.

إن المعطيات التي حصلنا عليها عن طريق المقابلات، إلى جانب الملاحظات التي سجلناها على مستوى المجالات الخاصة لهذه الأسر المتباينة المسارات، تتفق بشكل كبير مع تلك الدراسات التي أنجزها كل من دايفد ديور، D.Dwyer وشالوموه أنجل (Shlomo Angle, et. Al., 1977) وجيفري باين (Geoffrey Payne, 1977). حيث خلصوا إلى أن عملية إزالة وإعادة توطين القاطنين في المستوطنات البشرية الجديدة، يمكن أن يخلق مجتمعا غير متجانس اقتصاديا، واجتماعيا، وثقافيا¹. لذلك وجدنا أنفسنا أمام نماذج متعددة من المورفولوجيات الداخلية وليس أمام نموذج مورفولوجي متجانس. فاختلاف المسارات السكنية ما بين المبحوثين كان عاملا مهما في كشف هذه التباينات التي تميز كل أسرة عن بعضها البعض. وهذا لا يجعلنا نستبعد تلك التمايزات الاجتماعية التي تتشكل منها التركيبة السكانية للحي.

يعتبر الصف الأول من الأسر التي لا تدخل في سياسة الإسكان، ضمن الأسر التي تتمتع برفاه داخلي مهيأ بالكامل، حيث تتوفر على وسائل الراحة، كما على عناصر الاندماج السكني، تبدو واضحة بشكل جلي منها : الصالونات المجهزة، إلى جانب الغرف المزينة، وتعدد أجهزة التلفاز في المنزل الواحد، إضافة إلى جهاز التدفئة، وآلة التصيبين، والثلاجة، والفرن الكهربائي وغيرها؛ مما جعل المبحوثين يعربون عن رضاهم ولو بشكل نسبي، كما هو الشأن مع أحد المستجوبين الذي يتوفر على سيارة من نوع رباعية الدفع، وهو أب متقاعد لأسرة تتكون من ثلاثة أعضاء، يقيم في مسكن مهيأ بالكامل، سواء من الداخل أو من الخارج : «الغرف كول كاع 7، وخا غيكان لان سول إميك الإحتياجات سول، نسكر نكني يات لاكوزين غيزدار صافي التجهيزات إكا متوسط ماشي زعما لوكس زعما غيكلي كولوا ران ميدن» (لدي سبعة غرف، وعلى الرغم من ذلك، هناك بعض الإحتياجات القليلة. أنشأنا مطبخا واحدا في الطابق السفلي فقط. والتجهيزات، هي تبدو متوسطة ولا تمثل نوعا من الرفاه، كما يريده جميع الناس) المبحوث الخامس.

إذا حاولنا فهم كلام المبحوث، فإننا سنلاحظ بأننا أمام خطاب يعبر على طموحات مستقبلية أخرى، فمهما توفرت الضروريات بشكل أو بآخر، تبقى الرغبات والطموحات لا تنتهي. فثمة هناك عقد مقارنات مع المورفولوجيات الإسكانية الأخرى، وهي مقارنات تجعل المبحوث يكون غير راضٍ لما يتوفر عليه في مجاله الداخلي من حيث التجهيزات. كما أنه كذلك غير راضٍ بهذا التصميم العمراني الذي اختاره شخصيا لمنزله؛ وهو ما يتضح من خلال حديثه عن توفر المنزل على مطبخ واحد بالطابق الأرضي، في إشارة منه بأنه غير كافٍ ويحتاج دائما إلى نقل الطعام الجاهز من الطابق الأرضي نحو الطابق الأول، في حالة ما إذا كانت الأسرة على موعد للزيارات العائلية والأقرباء.

نفس الشيء تماما بالنسبة لمبحوث آخر، وهو أب متقاعد، يعيش فقط مع زوجته، وقد أجرينا معه هذه المقابلة من داخل مجاله الخاص : «5 بيوت وصالون، حيث شويا كان التغير ف التصميم بحال المرض كان ف هاد الكوان وفوق منو مرضاض آخر من ناحية لا تخيتويت » (لدينا خمس غرف وصالون، لأننا أضفنا القليل من التعديلات في التصميم، كالمرضاض مثلا جاء مقابلا مع المكان الذي يتواجد فيه الآخر بالطابق الأول، والذي يسبب مشكلة الترقيط - البقع). المبحوث السادس.

إن التغيرات المهمة التي نجدها حاضرة على مستوى المجالات الخاصة بالنسبة لهذا الصف من الأسر، هي تغييرات مست جميع عناصر التصميم السابق تقريبا، باستثناء مساحة الشرفات التي لم تُطرح بالنسبة لهم أي مشكل، في مقابل تلك

¹ سليمان أحمد منير، "الإسكان والتنمية المستدامة في الدول النامية"، دار الراتب الجامعية، بيروت، 1996، ص 128.

التعديلات التي كانت متكررة جدا عند هؤلاء المبحوثين، حول استبدال مكان الدرج والباب اللذان صُمِّما سابقا في منتصف واجهة المنزل، حيث تم تغييرهما نحو الزاوية اليمنى من المبنى.

كما أن الحالة الداخلية للمبنى، كانت تتسم بكمالية مواد البناء المستعملة فيها، لا على مستوى جداراته (المبنى)، وأبوابه، ونوافذه، ولا حتى على مستوى البيئة الصحية السكنية المرغوبة، مما يجعلها متميزة وتضفي على ساكنيها نوعا من الجمالية والألفة مقارنة مع منازل الأسر الأخرى. وفي هذا الصدد يأتي ذكر أحد المبحوثين الذين يندرجون في سياسة إعادة الإسكان، عندما سألتناه عن ملائمة السكن فأجابنا بالقول: «بزز، درنا فين نتخبوا وتخبينا كيفما كايكول» (لا خيار لدينا، قمنا ببناء مخبأ، وتخبأنا فيه، كما هو شائع في القول).

إذا أردنا أن ننتقل إلى الصنف الثاني من هذه الصنوف المبحوثة، يمكننا أن نرى جانبا مضيئا من جوانب التي تظهر للمبحوثين على أنها كذلك، على اعتبارها أنها لا تحتاج إلا لوقت حتى يتمكن رب أسرتها من جمع المال. وقد عاينا ذلك، من خلال مقابلة أجريناها مع رجل يبلغ من العمر 52 سنة، وهو أب لأسرة تتكون من 4 أعضاء، يشتغل في مهنة تسير روض في طابقه الأرضي بالمنزل: «كاين شي حوايج مزال مافينتهومش بحال البيبان باقي تابعني داكشي، تاكونو الفلوس الحمد لله» (هناك أشياء أخرى لم أنتهي بعد من صيانتها، كالأبواب التي لازالت تطاردني، إلى أن يتوفر لدي المال، الحمد لله). المبحوث الثالث.

لابد وأن نشير بداية، على أن المبحوثين الذين كانوا من هذا الصنف من الأسر، كان معظمهم يتوفر على مسكن ذو طابقين إلا واحد من هؤلاء المبحوثين، مع اختلافات قليلة في حالة التهيئة الداخلية؛ بمعنى أنها تبدوا بالنسبة لنا في مظهر لا يصل إلى ذلك الشكل من التهيئة الكاملة التي عايناها عند الصنف الأول من الأسر. لقد كانت هذه الأسر وخصوصا منهم مستجوبين، أحدهما يعيش في مسكن ذو طابق أرضي، ولكنه مهيا بالكامل ما عدا الشرفة والطابق العلوي فإنهما في حاجة إلى إتمامهما. هذا المبحوث الذي قابلناه، هو رجل يشتغل في مهنة الصيد، وأب لأسرة حديثة، تتكون من ثلاثة أفراد، حيث يبلغ من العمر 36 سنة. إن هذا المبحوث يرى خلاف ما وجدناه عند جل المبحوثين، حيث لا يفكر في بناء الطابق الأول من المنزل، إلا بعد الانتهاء من تهيئة الطابق الأول بالكامل. «حنا دابا ف لتحت وديما كاتكول خاصك دير إصلاح، كين لاموزيك الوجيبص» (نحن نسكن الآن في الطابق الأرضي، ودائما تُحدِّثُ نفسك بأنك في حاجة إلى إدخال الإصلاحات) المبحوثة الرابعة.

وأما الآخر من المبحوثين، فإنه كان يعيش في مسكن ذا طابقين غير مهياين بشكل كامل، حيث يشتغل في مهنة البقالة، ويعيش مع أسرته التي تتكون من ستة أعضاء. «إخصاك الفلوس ماسا تسكارت» (لكي تُضيف شيئا، تحتاج إلى المال) المبحوث الثاني.

ما يمكننا قوله هنا، هي أن أسبقية التهيئة للمجالات الخاصة، لا ترجع حسب نتائج البحث إلى اختلاف أنماط التفكير لوحدها أساسا، ولكنها ترجع إلى الظروف المالية أولا، ثم إلى الضرورة التي يفرضها حجم الأسرة مع حدود وظيفة المسكن، فيكون بالتالي كما هو عند أغلبية الأسر التي تدخل في هذا الصنف، إلى تفضيل السكن في تهيئة هشة للمجالات الخاصة، في مقابل تشييد الطابق الأول من المسكن، لاعتبارات تتعلق أساسا بحجم الأسرة.

كما أن الجدير بالذكر، أن هؤلاء المبحوثين وإن تشابهوا في مسائل مثل، تمكثهم من تحقيق قدر يقترب من الرفاهية التي يحظى بها الصنف الأول في مجالاتها الخاصة دون النظر إلى طبقات المسكن، لكن ما زالت هناك أمور كثيرة تجعل من هذه الأسر تكون في حاجة إلى مزيد من الوقت، وتوفير المال والجهد من أجل تحقيق إتمام عمليات البناء الذاتي في المستقبل، والذي قد يُمثَّل له عند بعض المبحوثين كشبح مطارده تارة، أو لإصلاحات لا تنتهي تارة أخرى عند البعض الآخر، ولكنها تجد حلها في عبارة: الحمد لله.

إن الخطاب الديني وُظف عند جميع الأصناف الأربعة من الأسر بدون استثناء، فنجد أنه يُطلق أحيانا على أشياء يملكها المبحوث ويعيش في كنفها ويطلب دوامها؛ بمعنى أنها موجودة في حوزته على مستوى الواقع. كما يُوظف أحيانا أخرى، على أشياء موجودة ولكنها محاطة بقيود قد تكون مادية أو معنوية، مثل تمني بروز سلوك أفضل دون الذي تراه من عاقد الشراكة الذي قد تجد أو لا تجد معه حلا في المستقبل.

يتقاسم الصنف الثالث من الأسر التي تدخل في سياسة إعادة الإسكان معا، جانبا مهما من جوانب مورفولوجيتها الداخلية، حيث أنها أقل معاناة بالقدر الذي يعاني منه الصنف الثالث من الأسر، من حيث التجهيزات وصيانة مجالاتها الداخلية. فحالة مبانها التي تتكون من طابقين على مستوى الداخل، تقترب كثير من الحالة التي توجد بها الأسر التي تندرج في الصنف الثاني. لكن هذه الأسر مهما عبرت عن القليل من المعاناة، فإن ذلك يعود إلى عدم الرضا على الظروف التي تعيشها حاليا، والتي لا تلبى كل طموحاتها. فعلى الرغم من الإصلاحات التي أدخلتها على منازلها، كالزليج والتبليط الفسيفسائي، أو تزين بعض جوانب المنزل بنقوش الجبس لدى بعضها، إلا أنها ما زالت تطمح إلى تعديلات وصفحتها في الغالب بالمتدرجة وكلها أمل بمستقبل مضيء.

وهنا تحضرنا مقابلة أجريناها مع سيدة تعيش مع زوجها الذي يشتغل في مهنة الترميق، وهي أسرة تتكون من أربعة أعضاء ولا تستغل إلا الطابق الأول مع السطح، لأن طابقها الأرضي في عقد شراكة ممنوحة بالملكية: «الزليج، ل تواليت والكوزينة، البيبان باقين، الوشراجم لداخلين مازل الصباغة عادية، والجبص لا» (أقمنا التبليط الفسيفسائي للمرحاض والمطبخ، أما الأبواب فهي غير موجودة، ونفس الشيء بالنسبة لإطارات النوافذ الداخلية كذلك. كما أن الصباغة تبدو عادية، وأن المنزل لا يتوفر على الجبس).

تطرح قضية عدم إتمام بعض الوحدات المتعلقة بالمجالات الخاصة، إكراها كبيرا بالنسبة للمبحوثين، في مقابل ذلك الجانب المتعلق بواجهات المنزل، التي في الغالب ما يتم تغييرها من طرف المستجوبين. فهذا يعد بالنسبة لهم شيئا ثانويا في ظل عدم إتمام تهيئة المنزل من الداخل. وقد لاحظنا ذلك كثيرا عندما يتحدثون عن التغييرات التي قاموا بها على التصميم السابق، فإنهم يرجعون ذلك إلى أن هناك رغبة جديدة في تغيير أحد الوحدات الداخلية للمنزل، كما هو الشأن بالنسبة لهذه السيدة: «جاتني واحد الصالة كبيرة، إن شاء الله إلى سهل الله هادي نزيد ف الدار» (يظهر لي أن الصالة كبيرة، إن شاء الله إن يسر الله سألني الطابق الثاني).

قد نزيد على ما سبق، أن هذا الصنف من الأسر التي لم تصل بعد، إلى تحقيق الوسائل التي تساعد على الاندماج في مجالاتها الخاصة، فإنها تحاول دائما أن تتكيف مع الظروف السكنية الحالية، بتوظيف عبارات: «مزال الفراش، مزال الفينيسيون، تانتمناو تال عند الله»، (بقيت لنا الأفرشة، وإتمام صيانة المنزل، نتمناه عند الله).

إن هذه الأسر لا تعاني إلا بشكل قليل مقارنة مع الصنف الرابع من الأسر، فإن عدم الرضا على الظروف التي تعيشها حاليا، يعود كما سبق الإشارة إلى أنها لا تستغل مجالاتها الخاصة بالكامل. وهنا نموذج لمقابلة أنجزناها مع سيدة تكتري طابقها الأرضي، حيث يتكون أعضاء أسرتها من 8 أفراد، ويشغل رب أسرتها في مهنة الترميق: «الدار من لداخل كاتجمع شويبا شويبا تاكاتكاد مثلا هاد الباب ولا لافافو، دابا بنادم شويبا شويبا كايسمح ف شي حاجة باش إصلح شويبا الدار» (بالنسبة للمجال الخاص، فإنك مجبر على جمع النقود شيئا شيئا حتى يتسنى لك إصلاح باب أو مغسلة. وهو ما يجبرك أيضا بالاستغناء على بعض الأشياء من أجل إصلاح جزء من أجزاء المنزل).

ما يعني أن الإصلاحات التي تشمل المجالات الداخلية تتم على فترات زمنية متقطعة، هي دلالات على أن الزمن هنا، هو العامل الحتمي في الانتقال من حالة اللا شيء إلى حالة الشيء، لأن الرغبة في الوصول إلى الملكية، فرضت على هاته الأسر اللجوء إلى أساليب متعددة مثل؛ الاقتصاد في التغذية أو كراء المسكن أو الدخول في عقد شراكة. وهي كلها استراتيجيات ضرورية لضمان الملكية من جهة، ثم لإعادة التوازن للأسرة من جهة أخرى.

أما عن الصنف الرابع من الأسر التي تدخل في سياسة إعادة الإسكان، فإننا يمكن أن نستطلع ظروف مغايرة تماما عن تلك الظروف التي تعيشها باقي الصنوف من الأسر الأخرى. ولنا في هذا الصدد مقابلة أجريتها مع سيدة تبلغ من العمر 36 سنة، حيث تتكون أسرتها من 7 أفراد، وتعيش في مسكن مشترك مع أسرة أخرى. تقول هذه السيدة: « جوج بيوت وراه مازال هار لابريك، أش غادير اللهم هاكا ولا لكري... الدار مزال بريك مزال ماقسماش لا مرطوب ولا ببيان كيف كاتشوف» (مسكننا يتكون من غرفتين، وهو فقط من لبنات مكشوفة. لا حل لدينا، ونفضل العيش هكذا بدلا عن العيش في كراء المسكن... المنزل لم يقسم بعد، بدون طلاء، ولا أبواب كما ترى).

تظهر أثر البناء الذاتي اللامعان على حياة الأسر، بمجرد حصول عدم قدرتها على توفير الرأسمال المادي الذي يعينها على تنمية مسكنها وتجهيزها بشكل يتوافق مع تلك التطلعات التي تطمح إليها. وأمام هذه التحديات المالية يكون المسكن الصحي في غياب تام. لقد تمكنا من معاينة الظروف التي تعيش فيها هذه الأسرة التي تتشابه بشكل متقارب جدا مع الأسر الأخرى (التي تدخل في سياسة إعادة الإسكان)، حيث تهيئة مجالاتها الخاصة تبدوا هشة جدا، ويظهر ذلك من خلال تلك اللبنة المكشوفة بحفرها، وفي غياب تام للأبواب، والنوافذ، وحتى في تقسيم الوحدات الداخلية للمنزل.

يأتي تفضيل السكن بمجال خاص غير مهيا بالكامل، في مقابل اللجوء إلى الكراء؛ وهذا يعني أن هذه الأسرة ليست رافضة لفكرة اللجوء إلى كراء مسكن آخر، لأن الأمر هنا يتعلق بعدم الرضا على الظروف السكنية الراهنة. ففي غياب تعدد الخيارات التي فرضتها القيود المالية، تصبح مسألة الاستقرار، مسألة حتمية لا مفر منها، ومن تم تكون الأسرة أمام خيار واحد لا أكثر، وهو تكييف مجالها الخاص مع مختلف المتطلبات الوظيفية لأعضاء الأسرة. «أرت نزرا أوراغ تعجيب، هاتيد أورتاكا تاف شراجم، أولا زليج، ولا لاموزيك، ولا تفلوين» (المسكن لا يعجبنا حاليا: فهو بدون نوافذ، ولا زليج، ولا تبليط فسيفسائي، ولا أبواب).

إن عدم الرضا على الظروف السكنية الراهنة عند الأسرة، يكشف ذلك الجانب السلبي للمسكن، فما دامت البؤر السوداء واقعا معيشيا في حاجة إلى إصلاح، فإنها إصلاحات متوقفة على امتلاك المال. وزد على ذلك، أن معظم هؤلاء الأسر التي تدخل في سياسة إعادة الإيواء، تلتقي مع نفس نتائج الدراسة التي قامت بها (نافيز بوشانين، ودونسوغو)، حيث وجدنا أن "ساكني الأحياء القصدية الذين انضموا إلى التجزئة السكنية يوجدون أمام معضلة حقيقية: عليهم أن يدفعوا الديون في إطار الدولة وفي الوقت نفسه تعبئة الأموال اللازمة للبناء! القيد الأول، إعادة الشعور بطريقة متغيرة سايرت العمليات واللحظات، منذ الهلع من الطرد يلتقي بالتساوي مع فن ذكي في مواصلة عملية البناء قبل دفع الحقوق"¹. وما دام الأمر كذلك، فإن نفس الشيء قد حصل مع بعض هؤلاء الأسر التي لا زالت الديون تطاردها من طرف شركة العمران.

¹NAVEZ BOUCHANINE, Françoise, DANSEREAU, FRANCINE, "les stratégies résidentielles dans la ville fragmentée : le cas de la ville marocaine", In DANSEREAU, Francine et NAVEZ-BOUCHANINE, Françoise (dir.), Gestion du développement urbain et stratégies résidentielles des habitants, L'Harmattan, Paris, France, 2002, p 47.

وتبقى الأسر الفقيرة على صراع دائم بين اختيار تفضيل السكن في مجالاتها الخاصة، تحتاج إلى الكثير من الإصلاحات التي تعيقها أساسا القيود المالية، وبين عدم الرضا حول وضعيتها السكنية الراهنة. هذه الثنائية الأخيرة، طبعت بدون استثناء جل خطابات هذه الأسر. ويأتي ذكر تلك الضغوط التي تمارسها المؤسسات على الفئات الفقيرة خصوصا، مما يدفعها في الغالب إلى الاستعانة بأدنى أنواع مواد البناء: «درنا الجير على حساب الماكانا إلى مادرنه الماكانا مايعطوهاش لينا» (قمنا بصباغة واجهة المنزل بالجير، حتى يتسنى لنا ربط المنزل بشبكة الخدمات).

قد يكون الطلب على الخدمات الأساسية كالكهرباء مثلا، أمرا يسيرا عند بعض الأسر التي شملها البحث دون الأخرى، وهو الشيء الذي يجعلنا نتوقف حول هذه القضية - مادامت هذه الخدمة متعلقة بالمجالات الخاصة - بأن نشير إلى أن الأسر حينما تكون مجبرة أمام قضايا أساسية في حياتها، فإنها تكون بين حلين أساسيين: التحايل على القانون تارة، كالبناء بدون رخصة مثلا. وتكون تارة أخرى، عندما يكون الحل سهلا ويعجز رب الأسر على مواجهة التكاليف التي تحيط بكل عمليات البناء الذاتي للمنزل، فيتم اللجوء إلى الاختيار في نهاية المطاف إلى استخدام أدنى جودة مواد البناء والتجهيزات المنزلية، أو أكثرها ضررا على صحة الإنسان، مثل نوع من أنواع الصباغة "الجير". «إلى ما عندكش المادة، الطموح ماغاديش إكون...، كايخدم مسكن هير ف الكروسة، هادوا ليكاي هزو لابريك»¹⁵ (إذا لم يتوفر لديك المال، فليس هناك طموح، لأن الزوج المسكين يشتغل فقط بالعربة المجرورة بالبغل، وهو من هؤلاء الذين يحملون اللبنة).

نرى كما سبق أن ذكرنا، بأن هاته الأسر على الرغم من عدم رضاها عن الظروف السكنية الراهنة، إلا أنها تستبعد فكرة اللجوء إلى الكراء في ظروف أفضل بكثير من تلك التي تعيشها اليوم، وذلك لأنها كما أسلفنا الذكر غير قادرة على دفع تكاليف الكراء. كما أن الطموح كما يبدو لنا في خطاب هذه المبحوثة، لا يأتي إلا بالمال، وهنا تكون سلطة المال، هي التي تصنع الطموح والتغيير نحو الأفضل. كما أن غيابه، يعني عدم التفكير أصلا في الطموح مادام أن المال غير متوفر في الوقت الراهن. ومن تم فإن الربط بين الطموح والمال، يشكل واقعا موضوعيا بالنسبة للمبحوثة. يمكن أن نسجل أيضا على خطابها هذا، على أن المرأة متعاطفة جدا مع تلك المهنة التي يمارسها زوجها، معتبرة أنها مضيئة وقاهرة من جانب، ثم كذلك بنعتها بعبارة "هير" التي تحيل على صفة الاحتقار.

بقي لنا أمر مهم يجمع هذا الصنف الرابع من الأسر، وهو الجانب الذي يهتم التجهيزات المنزلية، وقد سمحت لنا الفرصة في زيارة بعض هذه المنازل، حيث أن الملاحظ أن الهشاشة التي شملت تهيئة المجالات الخاصة بها، هي نفسها التي تنعكس على مورفولوجية التجهيزات والأدوات المنزلية التي كانت تبدو بسيطة مقارنة مع أغلبية الأسر التي لا تدخل في سياسة إعادة الإسكان.

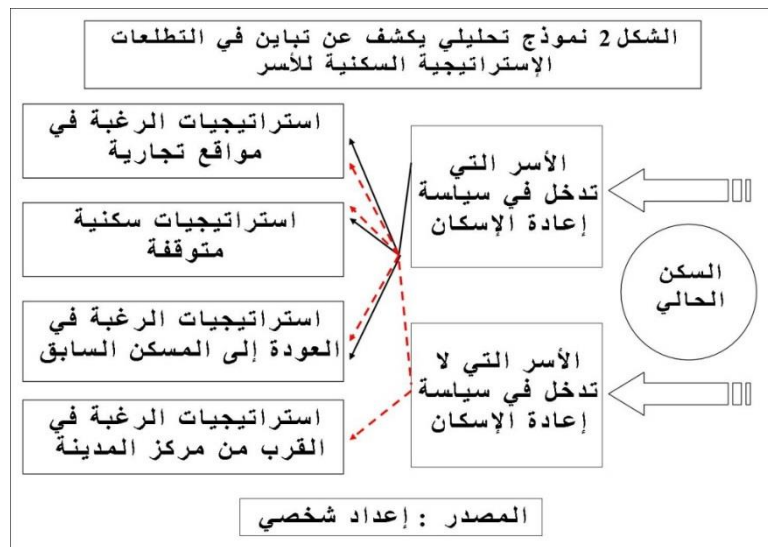
3. تمثلات الراحة في المجال الخاص واستراتيجيات الاستقرار السكني

رغم تباين مصادر الحركة السكنية - الحركية إلى الحي - ووسائل الاندماج السكني بين هاذين النموذجين من الأسر، إلا أنه، لم يكن سببا في عدم حصول تشابه عند بعضهما فيما يخص ديناميكية استراتيجياتها السكنية. لذلك وجدنا بأن الاستراتيجيات السكنية قد تكون آمالا ممكنا في المستقبل متى توفرت الظروف الملائمة لذلك، كما قد تكون عكس ذلك. وعليه فإن التطلعات الاستراتيجية السكنية التي تُميز أفراد العينة يُمكن تقسيمها، وفق التصنيف الذي هو متضمن في النموذج التحليلي أسفله.

يبدو أن تباين وجهات النظر في تغيير المسكن الحالي لدى أغلبية الأسر، لا يرجع إلى عامل واحد فحسب، كما أنه لا يقتصر على نموذج من عينة البحث دون أخرى. فقد لوحظ بأن هناك تطلعات نحو تغيير المسكن، إما لأسباب اجتماعية علائقية

تتعلق أساسا بفقدان شبكة العلاقات القديمة، سواء تلك العلاقات التي نسجت مع الجيران، أو تلك التي تتعلق بالقرب من العائلات. كما أن هناك أسباب أخرى، ترجع إلى إحساس المبحوثين بالقنوط في العي، ومن ثمة الرغبة في القرب من مركز المدينة، كما هو الشأن بالنسبة لأحد المبحوث الذين لا يدخلون في سياسة إعادة الإسكان: «بحالوا ف منطقة قريبة شويبا من سونطرد المدينة ممكن» (إذا كان مثل السكن الحالي في منطقة قريبة من مركز المدينة، ممكن أن أقبله كعرض تبادل). وهناك أسباب أخرى تتعلق بأمل الوصول إلى مواقع تجارية، كما هو الأمر بالنسبة لمبحوثين يتموقعان من داخل سكنات العي. ثم في الأخير، هناك من الأسر التي توقفت استراتيجيتها السكنية، بمجرد وصولها إلى الملكية (أنظر الشكل رقم: 2).

تعتبر استراتيجية «ناجحة» من جهة، لأن الأفراد المبحوثين عبروا عن الرضا سواء أنها قد وصلت إلى الهدف المرضي، أو قد وصلت إلى نقطة في مسار لا تزال في وعود فرص التحسين تقريبا (شبهه) مؤكدة. ومن ناحية أخرى يمكن القول عن الاستراتيجية الثانية، على أنها استراتيجيات مقطوعة، لأنها لا تعود بتحسن حقيقي ولا إلى التحسينات الممكنة؛ بمعنى أنها لا تتطابق مع الصورة المنتظرة ولا تنسجم مع تطلعاتهم. في هذه الحالة، الاستراتيجيات هي في أقل دافعية لحركة الانطلاق، من أجل الاستقرار في مكان معين واستثمار غير مؤكد، لكن حادث في مسار، وتغيير معقول في فرص معروفة، وأحيانا ببساطة الصعوبات اليومية، وقفوا المسار¹.



بناءً على نتائج هذه الدراسة السابقة في مقارنتها مع نتائج دراستنا الراهنة – رغم التباين في وحدات العينة – فإنها تتفق بشكل كبير مع نتائج دراستنا الراهنة. وهذا يظهر لنا جليا، في نجاح بعض الاستراتيجيات التي كانت ثمرتها، هي نتيجة الوصول إلى المسكن الفردي، بعدما كانت تعيش في السكن القصديري، وهذا نموذج لأحد المبحوثين الذين لا يدخلون في سياسة الإسكان، ويعتبرون أن مساهم ناجح لأن الزوجة وأبناؤها رفضوا فكرة بيع المسكن التي كان يدافع عنها الزوج من أجل الانتقال إلى أماكن يقل فيها سعر الأرض: «نوفال راحت إوانا تور إشركن دحتا يان. راحت إوانا إكان واحدوث»، (الراحة تكمن في المسكن المستقل).

إن إلقاء نظرة موضوعية على هذا الخطاب الذي يعبر على جانب كبير من الراحة في علاقته بتفضيل العيش بالسكن الفردي المخطط، يجعل الخطاب يحتل موقعا دفاعيا ومقاوما في استبعاد اللجوء إلى أنماط الإسكانية الأخرى. وهذا يلتقي تماما مع نتائج البحث التي أجريت حول مقارنة نمطين من الإسكان «فهناك ميزة كبيرة لإظهار أن تعلق حب الفرنسيين بالمنزل

¹Ibid., Pp 25-26.

الفردى ليس فقط بسبب عقلية معينة، وصفت بأنها "البرجوازية الصغيرة" من قبل منتقديها، ولكن لها جذور عميقة؛ فالمسكن المرزى أو الذى سىرضيهم، هو يعود إلى مجموعة واسعة جدا من الاحتياجات الأساسية، مثل الحاجة إلى وجود سقف... الخ. كما اتضح أن الإسكان الفردى أكثر راحة من الإسكان الجماعى (Tugault Y, 1968).

وتجدر الإشارة إلى أن عدم الرضا على السكن الراهن عند هاته الأسر، لا يؤدي إلى التفكير في تغيير موقع السكن، وهنا تأتي ضرورة الفصل بين الشعور بالراحة، كجانب مهم في نجاح الاستقرار، وبين عدم الرضا الذي يرتبط فقط، إما بالرغبة في تحسين ظروف السكن الحالي عند البعض، وإما حول عدم الرضا على التجهيزات الجماعية التي يتوفر عليها الحي في الوقت الراهن. وهذا يختلف تماما مع أغلبية الأسر التي أصبحت استراتيجياتها مقطوعة، إما لأنها تحت قيود الائتمان كما هو الشأن عند واحد من المبحوثين الذي لا يدخلون في سياسة الإسكان، وهو من الأسر التي كانت تكتري مسكنا فرديا يقترب جدا من المركز: «تغير السكن أهو، واتمزت نيت الكريدى أور تشركت ديان دروج» (لا أفكر في تغيير المسكن، إنني مقيد بالديون، لكنى مستقل في بيتي).

أخيرا، ثمة هناك قضية مهمة لا يجب علينا إغفالها في هذا الجانب، وهي تتعلق في الأساس بالأسر التي تبدي عدم رضاها على موقع المسكن بالرغم من امتلاكها لمسكن مهيأة بالكامل؛ لكنها غير قادرة على الانتقال، لأنها ترى في الانتقال تحديات لا تتعلق بالقيود المالية فحسب، ولكنها تعود في الأساس إلى عدم قدرتها الجسمانية، وهذا ينطبق على معظم الأسر التي لا تدخل في نطاق سياسة إعادة الإسكان ما عدا مبحوث واحد، من مجتمع بحث هذه الدراسة.

قائمة المراجع:

- 1- جوانوتيه برنار، "السكن الحضري في العالم الثالث: المشكلات والحلول"، تقديم وتعريب محمد علي بهجت الفاضلي، منشأة المعارف، دون ذكر المكان، 1987.
- 2- سليمان أحمد منير، "الإسكان والتنمية المستدامة في الدول النامية"، دار الراتب الجامعية، بيروت، 1996.
3. Agnès, Deboulet ; Michèle, Jolé, "Les mondes urbains : le parcours engagé de Françoise Navez-Bouchanine", Karthala, Paris, France, 2013.
4. Al Omrane (2006), "Cahier de charges : Opération : ADRAR", Agadir, Maroc.
5. NAVEZ BOUCHANINE , Françoise, DANSEREAU, FRANCINE, "les stratégies résidentielles dans la ville fragmentée : le cas de la ville marocaine", In DANSEREAU, Francine et NAVEZ-BOUCHANINE, Françoise (dir.), Gestion du développement urbain et stratégies résidentielles des habitants, L'Harmattan, paris, France, 2002.
6. Sylvie Tissot, "Une discrimination informelle ? Usages du concept de mixité sociale dans la gestion des attributions de logements HLM". En ligne : <<https://www.cairn.info/revue-actes-de-la-recherche-en-sciences-sociales-2005-4-page-54.htm>>. consulté le 15 juillet 2016.
7. Yankel Fijalkow, "Sociologie de la ville", La Découverte, paris, France, 2002.
8. Yves, Tugault, "Deux études sociologiques sur l'habitation individuelle". In: Population, en ligne : <www.persee.fr/doc/pop-0032-4663-1968-num-23-1-11742>, consulté le 13 octobre 2016.

التاريخ والأنثروبولوجيا بالمغرب المعاصر: نماذج ومقاربات

History and Anthropology in Contemporary Morocco :Models and Approaches

د. كريم العرجاوي/جامعة القاضي عياض

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، المغرب

Mr Karim Elarjaoui/University Cadi Ayyad

Faculty of Letters and Human Sciences

Marrakech Morocco

د. أيوب مهراز/أستاذ التاريخ والجغرافيا

ثانوية محمود درويش، الصويرة، المغرب

Mr Ayoub Mahraz/Teacher of History

Mohamed Darouich high School

Essaouira Marocco

Abstract:

This attempt seeks to stimulate the debate about the relationship of history to other social sciences, especially anthropology through a research model for Morocco, which describes and illustrates some aspects of the convergence and intersection between the two sciences, as two cognitive fields that constitute one of the most important tributaries of knowledge within the laboratory of human and social sciences.

European research during the 19th century focused on the study of non-Western societies. According to an historical anthropological approach Morocco has been a fertile subject, and this may explain why the emergence of the field of anthropology in Morocco, remained linked to the overall colonial studies, which tried to explore the hidden elements of Moroccan society, but In spite of the colonial nature of these studies, the return of this legacy and the huge amount of knowledge has become an urgent and important necessity for anyone interested in studying Moroccan history and the questioning of its caches, based on the critical methodology, scientific examination, and the adoption of the objective quota of accumulation, linked to the knowledge of the first anthropologists who entered the Moroccan field during the imperialist campaign, to benefit from the availability of their colonial legacy, from a variety of documents and data that interested the ordinary incidents and the daily lives of Moroccans, which, in our estimation, constitute an entrance to rewrite our history away from any ideology or tendency which may affect historical truth.

Keywords: Anthropology - History - Morocco - Contemporary

ملخص:

تسعى هذه المحاولة إلى إثارة النقاش الدائر حول علاقة التاريخ بالعلوم الاجتماعية الأخرى، وفي مقدمتها علم الأنثروبولوجيا من خلال أنموذج بحثي عن المغرب، يصف ويجسد بعض مظاهر التلاقح والتقاطع بين العلمين، باعتبارهما حقلين معرفيين يشكلان أحد أهم روافد المعرفة داخل مختبر العلوم الإنسانية والاجتماعية.

لقد انصبحت الأبحاث الأوروبية خلال القرن 19م على دراسة المجتمعات غير الغربية، وفق مقاربة تاريخية أنثروبولوجيا شكل المغرب موضوعا خصبا لها، ولعل ذلك ما يفسر كون بروز حقل الأنثروبولوجيا بالمغرب، ظل في مجمله مرتبطا بالدراسات الاستعمارية، التي حاولت التنقيب عن خبايا المجتمع المغربي. وعلى الرغم من الطابع الكولونيالي لهذه الدراسات، إلا أن العودة لهذا الإرث والكم الهائل من الرصيد المعرفي، أضحت ضرورة ملحة ومهمة لكل مهتم بدراسة قضايا التاريخ المغربي واستشكال خباياه، وذلك من منطلق المنهج النقدي والفحص العلمي، وتبني الحصيصة الموضوعي من التراكم المعرفي المهور عن تجربة الأنثروبولوجيين الأوائل اللذين ولجوا المجال المغربي زمن الحملة الامبريالية، للاستفادة مما وفرته تركتهم الكولونيالية، من أصناف متنوعة من الوثائق والمعطيات التي همت الحوادث العادية والمعيش اليومي للمغاربة، والتي تشكل - في تقديرنا - مدخلا لإعادة كتابة تاريخنا بعيدا عن كل إيديولوجية أو نزعة قد تؤثر على الحقيقة التاريخية.

الكلمات المفتاحية: الأنثروبولوجيا - التاريخ - المغرب - المعاصر.

مقدمة :

أدى تطور علم التاريخ إلى انفتاحه على علوم شتى، فأصبح المؤرخ يعالج مختلف القضايا وفق مقاربات جديدة ومناهج مختلفة، فلم يعد التاريخ تلك المعرفة التقليدية القائمة على سرد الأحداث من منظور متفرد وأحادي، بل أصبح تاريخا جديدا منذ مجيء مدرسة الحوليات، يقوم على استيعاب كل ما توفره مختلف العلوم من معارف ونظريات من شأنها أن تثري البحث التاريخي كما وكيفاً؛ ولعل من العلوم التي ارتبط بها التاريخ في الآونة الأخيرة علم الأنثروبولوجيا، الذي بات يشكل ركيزة أساسية في الكتابة والتحليل التاريخيين، من خلال إسهامه في مساعدة وتوجيه المؤرخ نحو مواضيع جديدة أغفلتها الكتابات الكلاسيكية، مع بعض الاستثناءات، ونخص بالذكر ههنا ابن خلدون الذي ساعدت كتاباته على تزكية العديد من الأطروحات التاريخية والأنثروبولوجية، لأن نظرتهم للمجتمع تتمسك بفكرة السكونية وتصور التاريخ الدائري/الحلزوني.

وقد ارتبط ظهور الأنثروبولوجيا بالمغرب بالفترة الاستعمارية، التي اعتبر البحث فيها استمرارا للأبحاث الاجتماعية الغربية التي ركزت على دراسة الظواهر الإنسانية في المجتمعات الأقل تقدما، للوقوف على حقيقة المراحل التي مرت منها، مطبقة عليها معيار النظرية التطورية.

ومحاولة منا لتقريب صورة الترابط ما بين التاريخ والأنثروبولوجيا كموضوع من جهة، وحضور هذا الموضوع في الكتابات التي تناولت المجتمع المغربي في الفترة المعاصرة كإطار مجالي وزمني من جهة ثانية، ركزنا في محاولتنا هذه على أهم الجوانب التي من شأنها توضيح تلك الصورة وفق مقاربة قائمة على معالجة النقاط التالية:

- مفهوم الأنثروبولوجيا وعلاقتها بالتاريخ.
- الأنثروبولوجيا بالمغرب.
- الأنثروبولوجيا الاستعمارية وإشكالية الاستعمال المنهجي.

1 في مفهوم الأنثروبولوجيا

إن هذا الكائن الفريد الذي اسمه الإنسان، كان دائما ولا يزال موضوع التأمل والدراسة من قبل العديد من العلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء، فمنذ القديم لاحظ الإنسان بصفة عامة الفروق القائمة بين شعوب الجنس البشري، واهتم بمعرفة الطبيعة الإنسانية وتغير الاختلافات في الملامح الجسمية ولون البشرة، والعادات والتقاليد والديانات والفنون وغيرها من مظاهر الحياة، وفي إطار هذا الاهتمام والتساؤل تطورت الدراسات خلال العهود الحديثة فنشأ عن ذلك فرع جديد من فروع المعرفة اصطلاح على تسميته بالأنثروبولوجيا.

والأنثروبولوجيا مصطلح ذو أصل يوناني وهو مركب من قسمين Anthropos ويعني الإنسان و Logos ويعني العلم¹، فهو إذن علم الإنسان على مختلف المستويات، ابتداء بالمستوى الفيزيولوجي وانتهاء بالجانب الفكري أو الرمزي، لذلك عرفه البعض على أنه "التاريخ الطبيعي للجنس البشري"²؛ فالأنثروبولوجي بهذا المعنى يعمل على وصف الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن ويحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية، كما يعمل على تحليل النظم الاجتماعية وتفسير نتائج دراساته في إطار نظريات التطور³.

والأنثروبولوجيا علم ينقسم إلى قسمين:

- ✓ الأنثروبولوجيا الجسمانية: وتهتم بدراسة الجانب العضوي أو البيولوجي في الإنسان.
- ✓ الأنثروبولوجيا الثقافية: والتي تعنى بدراسة النواحي الاجتماعية والثقافية لحياة الإنسان، يدخل في ذلك الدراسات التي تتعلق بحياة الإنسان القديم أو حضارات ما قبل التاريخ ودراسة لغات الشعوب القديمة، واللهجات المحلية⁴.

وتجدر الإشارة إلى أن علم الأنثروبولوجيا له ارتباط وثيق بعلمين آخرين ذو أهمية كبيرة وهما الإثنولوجيا والإثنوغرافيا، وبالرغم من تداخل المصطلحين إلا أن مصطلح الإثنوغرافيا⁵ يعني الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموع التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى مجموعة بشرية معينة خلال فترة زمنية محددة، والإثنوغرافيا من أقدم فروع المعرفة في علم الأنثروبولوجيا عندما قام الأوروبيون بوصف القبائل والشعوب المحلية في أمريكا وإفريقيا وأستراليا وآسيا، حيث وصفوا أدواتهم وعاداتهم وتقاليدهم وكل ما يتصل بثقافتهم المادية المختلفة، وسرعان ما تبني الأنثروبولوجيون هذه المعلومات واستخدموها في دراساتهم لتطوير المجتمع البشري.

أما الإثنولوجيا فهتم بالدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الإثنوغرافية، قصد الوصول إلى تصورات نظرية أو تصميمات بصدد مختلف النظم الاجتماعية الإنسانية من حيث أصولها وتطورها وتنوعها. وبالتالي فإن هذه العلوم هي متداخلة من حيث موضوعاتها ومناهجها، فالإثنولوجيا والإثنوغرافيا هو ما يصطلح عليه عند المدرسة الفرنسية بالأنثروبولوجيا الثقافية، التي تدرس السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة ونسق القرابة والتنظيم السياسي والإجراءات

¹ بن سليمان فريد، مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، 2000 ص 127.

² المرجع نفسه.

³ حسن فهيم، قصة الأنثروبولوجيا: فصول في تاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986، ص 13-14.

⁴ حسن فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص 14.

⁵ يعرف قاموس الأنثروبولوجي للدكتور شاعر سليم الإثنوغرافيا بأنها "علم وصف حضارة شعب معين يرسم صورة دقيقة لطرائق معيشته ونظمه وعلاقاته الاجتماعية". ويقول إن الفرق بين الإثنوغرافيا والإثنولوجيا أن العلم الأخير يركز على المقارنة بين الحضارات الغابرة منها والمعاصرة كما يميل إلى الدراسات النظرية، يراجع: قصة الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص 15.

القانونية والعبادات الدينية وغيرها، كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية¹. وتجدر الإشارة أيضا إلى أن هذا الصنف من الأنثروبولوجيا هو موضوع دراستنا خلال في هذه المساهمة.

2 الأنثروبولوجيا والتاريخ: أية علاقة؟

لقد كانت هناك قطيعة واسعة بين الأنثروبولوجيا والتاريخ، استمرت إلى حدود الخمسينيات من القرن الماضي، ويرجع السبب في ذلك إلى كون الأنثروبولوجيين الأوائل الغربيين كانت لهم آراء استعمارية، نظرت إلى الشعوب المستعمرة على أنها "متوحشة لا تاريخ لها" أي أنها خارجة عن نطاق الخطاب التاريخي، إلا أنه ومع بداية السبعينيات سيبدأ نوع من التقارب بين الأنثروبولوجيا والتاريخ، ويظهر ذلك بصفة جلية نتيجة التجديد الذي سيعرفه كل من العلمين على حد سواء، حيث تخلت الأنثروبولوجيا عن تصنيفها التقليدي للمجتمعات بين ما هو "بدائي وبدون تاريخ" وما هو "مركب وله تاريخ"²، فأدركت البعد التاريخي لهذه المجتمعات "المتوحشة" في الحاضر والماضي، وأيقنت أن لفهم حاضر الشعوب لا بد من معرفة ماضيها أي تاريخها وذاكرتها الجماعية وتطورها.

أما التجديد التاريخي فيرجع إلى ثلاثينيات القرن الماضي مع ظهور مدرسة الحوليات الفرنسية، بحيث توسع معها مفهوم التاريخ وأصبح أكثر شمولية، بعدما كان محدود النظرة والمنهج يهتم فقط بسرد الأخبار والوقائع السابقة، فتخلت الدراسات التاريخية تدريجيا عن التاريخ الحديث وتاريخ الملوك والحكام، لتهتم بظواهر جديدة عبر دراسة المجتمعات والعائلة والبنية الجنسية، كما أصبح المؤرخ بذلك يهتم بدراسة الفئات المستضعفة³، وعليه سينفتح التاريخ على علم الأنثروبولوجيا آنذاك، وستؤثر هذه الأخيرة في الكتابة التاريخية، فظهر نتيجة لذلك صنف جديد من المناهج البحثية؛ وهو الأنثروبولوجية التاريخية Anthropologie Historique، التي تهتم بالبنى الأسرية وأنماط العيش والمعتقدات والفئات الاجتماعية⁴.

فأصبح التاريخ يتناول مواضيع جديدة وفق مناهج مختلفة، إذ أضحي المؤرخ يكتب عن تاريخ التغذية، وتاريخ الجسم، والتاريخ الطبيعي للأمراض، وتاريخ السلوكيات الجنسية، وعن سلوك وتنظيم المجتمع⁵، إلى غير ذلك من المواضيع التي تجاهلتها الكتابات التقليدية.

ولعل هذا ما جعل من الأنثروبولوجيا ذي علاقة وطيدة مع التاريخ، حيث يتقاطعان في العديد من المواضيع، وقد نتج عن هذا التقاطع تحول فضول المؤرخ لدراسة الإنسان "المهمل" عوض الإنسان "العظيم"، ودراسة الأشكال الأولية للحياة الثقافية عوض الأدبيات الكبرى⁶. فأضحى التاريخ قائما على رؤية متعددة المقاربات، فبدل النظر إلى الوقائع التاريخية المدروسة من وجهة نظر أحادية الجانب وتفسيرها وتعليلها، أضحي لازما على المؤرخ استحضار كل العناصر والعوامل الأخرى التي قد يكون لها دور في بناء الأحداث والوقائع التاريخية.

فاعتمد المؤرخ على المقاربة الأنثروبولوجية أو السوسيولوجية، وأصبح يميل إلى دراسة الظواهر الاجتماعية للإنسان من مثلا تاريخ الزواج، الموت، علاقات القرابة داخل القبيلة، نظم العشائر، الأسر... إلى غير ذلك، ويعود الفضل في استعمال المنهج

¹ حسن فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص 16.

² بن سليمان فريد، مدخل إلى دراسة التاريخ، مرجع سابق، ص 128.

³ أندري بورغبيير، الأنثروبولوجيا التاريخية، ترجمة محمد حبيدة، مجلة أمل العدد الخامس، 1994، ص 101.

⁴ بن سليمان فريد، مدخل إلى دراسة التاريخ، مرجع سابق، ص 128.

⁵ بورغبيير، الأنثروبولوجيا التاريخية، مرجع سابق، ص ص: 105-113.

⁶ فرانسوا فوري، التاريخ والثنوغرافيا، ترجمة محمد حبيدة، مجلة أمل العدد التاسع، 1997، ص 90.

الأنثروبولوجي/السوسيولوجي داخل الدراسات التاريخية المعاصرة إلى المؤرخ فرناند بروديل، فقد اعتبر أن الأحداث التاريخية جزء من حقيقة أكبر وأكثر تعقيدا وهي المجتمع¹، مما سمح بالكشف عن خبايا المجتمع في الماضي وفك تركيبها ومكوناتها وتحديد العلاقات والروابط بين عناصرها.

3 الأنثروبولوجيا بالمغرب: النشأة والتطور

حظي المغرب، منذ منتصف القرن 19م، باهتمام بالغ من قبل قوى أوروبية خاصة إسبانيا وفرنسا، وكانت هذه الأخيرة، بعد احتلالها لكل من الجزائر وتونس، تريد أن تضيف المغرب إلى إمبراطوريتها الاستعمارية، فقد ترسخ لديها تصور جديد حول هذا البلد الذي "لم يعد دولة بربرية ودولة العجائب والإثارة كما هو شأن الشرق"²، بل "بلدا يمكن أن يصبح في يوم ما، جزءا من الإمبراطورية الفرنسية... التي يمكنها أن تقوده بخطى ثابتة نحو تطور مستقبلي"³. ومنذ ذلك الحين، أصبح المغرب موضوعا تتقاسمه مختلف الباحث والتخصصات العلمية والأدبية، وهو ما نتج عنه تراكم معرفي لامس مختلف أوضاعه وجوانب متعددة من ماضيه وحاضره، وفي هذه الظرفية برز البحث الأنثروبولوجي حول المغرب، واستأثرت فرنسا بالجزء الأوفر منه كما وكيفا، حتى تضمن استعمار المجال الأكبر من البلاد بأقل الخسائر. ومن ثمة ازداد اهتمام الدارسين بالمجتمع المغربي على اختلاف مشاربهم ومواقعهم. ويمكن التمييز بين مرحلتين من الكتابات والدراسات الاستعمارية:

• كتابات المرحلة الاستكشافية

هي كتابات بدأت قبل الحماية وتميزت باهتمام مفاجئ بالمغرب، لما كان يشاع حوله من كونه بلدا غنيا بالثروات المعدنية والفلاحية، وانصببت هذه الدراسات على استكشاف الوسط المغربي معتمدة على المنهج الإثنوغرافي الوصفي في تحديد خصائص المجتمع والمجال المغربيين، إذ كانت تحاول إعطاء وصف دقيق للقبائل وعدد سكانها وطبيعة أنشطتها وكل ما يتعلق بالحياة اليومية بالمغرب. وهذه الدراسات الاستكشافية استوجبت القيام بمجموعة من الاستطلاعات، نظمت في البداية من قبل أشخاص غير باحثين كالقناصل والتجار الذين كانوا يسجلون ملاحظاتهم واستنتاجاتهم عما يجري بالمغرب ويبعثونها كتقارير إلى بلدانهم الأصلية⁴، ثم الأطباء حيث كان منهم من يعمل داخل البلاط ويتنقل مع السلطان في مختلف زيارته، ومنهم من كان يمارس العلاج وبالتالي ربط علاقات مباشرة مع السكان⁵، فاطلعوا على بعض قضايا البلاد ودونوها على شكل كتابات اثنوغرافية وصفية، هذا بالإضافة إلى دور البعثات التبشيرية وأنشطة السياح الاستكشافية والتجارية⁶.

إلى جانب هؤلاء جميعا، نجد ثلة من الباحثين والعلماء من تخصصات علمية مختلفة ركزوا في أبحاثهم حول المغرب، على دراسة البنية الاجتماعية محاولين تفكيكها ومعرفة التفاعلات المتحركة فيها، وانصب اهتمامهم بالأساس على مساءلة المجتمع

¹ عبد العزيز علوي الأمراني، من تاريخ السرد إلى تاريخ النقد نحو تطور المعرفة التاريخية في الوطن العربي، مجلة فكر ونقد، عدد 84، 2006، ص: 16-17.

² الهروي الهادي، القبيلة، الإقطاع والمخزن: مقارنة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث، 1844-1943، مطبعة إفريقيقا الشرق، 2005، ص 23.

³ المرجع نفسه، ص 24.

⁴ بوطالب إبراهيم، البحث الكولونيالي حول المجتمع المغربي، حصيلة نقدية، ضمن أعمال ندوة البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 14، 1989، ص: 111-113.

⁵ وفي هذا الإطار أنظر كتاب، الدور الاستعماري والإخترافي للطبابة الأوروبية بالمغرب، لأحمد المكاوي، منشورات زمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2009.

⁶ بوطالب إبراهيم، البحث الكولونيالي حول المجتمع المغربي، مرجع سابق، ص 113.

وتحديد مستويات التعامل مع الإنسان المغربي، من أجل ضبطه والسيطرة عليه. ومن الأسماء البارزة التي برعت في وصف المغرب وصفا اثنوغرافيا دقيقا، نذكر ريموند طوماسي الذي أصدر أول كتاب حول المغرب سنة 1842م¹، ودوفيرييو ألفرد لوشاتوليه ولامارتينير وشارل دوفوكو وإدموند دوتي. وقد قام هؤلاء بتحرير عدة تقارير وأبحاث على إنسان ومجال المغرب، وظفت لاحقا في تعبيد الطريق للسيطرة السياسية والهيمنة العسكرية، وقد اعتبرت كتابات هذه المرحلة مرتكزا للأبحاث اللاحقة.

• كتابات المرحلة المؤسسية:

وهي كتابات تميزت ببروز واضح للأثنوبولوجيا الاستعمارية المنظمة في إطار المؤسسات العلمية التي ظهرت مع بداية القرن 20م كالبعثة العلمية، المدرسة العليا للغات، المعهد العالي للدراسات المغربية²، وفي هذه المرحلة أصبح البحث مؤسسيا تدعمه أجهزة السلطة الاستعمارية.

4 نماذج من الدراسات الأثنوبولوجية

﴿ نماذج الدراسات الاستكشافية

من خلال تصفح الدراسات والأبحاث الاجتماعية التي أنجزت حول المغرب مع نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 تتضح سيطرة المدرسة الفرنسية الجزائرية على عملية البحث، مستعملة منهج الكشف عن طبيعة المجتمع المغربي ومعرفة حركيته، وقد كان المقيم العام الفرنسي بالجزائر كامبو Cambon يشجع على توظيف الدراسات الاجتماعية والأثنوبولوجية في عملية الغزو، ووفق هذا المنظور قديم شارل دو فوكو إلى المغرب في أواخر القرن 19م وصار يجوب المدن والقبائل المغربية، فربط علاقات ودية مع بعض الزوايا كزاوية أبي الجعد، وتمكن من جمع معلومات وافرة عن المجتمع المغربي تخص طبيعة المبادلات والطرق التجارية والنشاطات المحلية، وتعرض للطوارق وسلوكهم وأخلاقهم وطباع البربر وأصلهم العرقي، وبلاد المخزن وبلاد السببة، وعلاقة المخزن بالقبائل والزوايا، وأصبح كتابه "معرفة المغرب 1884-1883 Reconnaissance au Maroc" مرجعا للاطلاع على أحوال المغرب والمغاربة³، أما دوفيري فقد اهتم في إطار الوصف الإثنوغرافي بدراسة الوضعية السياسية والدينية بالريف⁴، ويبقى كل من أوغست مولييراس وإدموند دوتي من أهم الباحثين المغموين في هذا المجال.

كان مولييراس من الكتاب الأوائل المقيمين بالجزائر الذين اهتموا بدراسة المغرب حيث انصب اهتمامه على المنطقة الشمالية، ويعتبر من المؤسسين للبحث الإثنوغرافي والإثنوبولوجي حول المغرب ممهدا بذلك لبروز التصور السوسولوجي، وأنجز دراسات إثنوغرافية منها كتابه الهام "المغرب المجهول LE MAROC INCONNU"⁵، الذي ظهر الجزء الأول منه سنة 1895 ويهتم بدراسة منطقة الريف، وظهر الجزء الثاني 1899، ويتناول البنية القبلية لمنطقة جباله، وقدم الكتاب دراسة وصفية لقبائل المنطقتين بالاعتماد على معطيات جغرافية وإثنوغرافية في وصف الحدود العامة لكل قبيلة وخصائص سكانها وتحديد طبيعة اللغة، كما اهتم بإعطاء وصف عن الشكل التنظيمي للبنية العسكرية (عدد الجنود نوع السلاح)، والبنية الاقتصادية (الفلحة،

¹ الهروي الهادي، القبيلة، الإقطاع والمخزن...، مرجع سابق، ص 25.

² بوطالب إبراهيم، البحث الكولونيالي حول المجتمع المغربي، مرجع سابق، ص 122

³ المرجع نفسه، ص 25.

⁴ المرجع نفسه، نفس الصفحة.

⁵ علي بولريج، الدراسات الكولونيالية حل المنطقة الشمالية المغربية، نموذج أوغست مولييراس، ضمن مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعديين تطوان، العدد 6 ن 1993، ص 203.

الصناعة التقليدية، التجارة)، ثم البنية السياسية (السلطة الداخلية للقبائل، وعلاقتها بالمخزن)¹. وساهم هذا العمل في تطور الأبحاث والمقاربات الأنثروبولوجية للمجتمع المغربي.

أما إدموند دوتي فقد قام بمجموعة من الرحلات الاستكشافية بالمغرب ما بين 1900 و1910، من أهمها الرحلة التي زار خلالها بعض القبائل الواقعة بين الدار البيضاء ومراكش، والرحلة التي انطلق فيها من مراكش إلى الصويرة مروراً بالأطلس الكبير، وقد دون انطباعاته وملاحظاته في عدة كتب منها: "مراكش" سنة 1904، و"النظام العائلي والنظام الاجتماعي بحاحا" 1906، و"السحر والدين في شمال إفريقيا" 1908، و"في القبيلة" 1914، واهتم فيها بحياة القبيلة المغربية وتحليل علاقتها بالمخزن، وتطرق كذلك إلى بعض النزوايا ودورها الاجتماعي والديني والاقتصادي وعلاقتها هي الأخرى بالسلطة الحاكمة². غير أنه ركز على الجوانب السلبية في الواقع المغربي وحاول تشويهه. وهذا ما يعكسه بالأساس كتابه "النظام العائلي والنظام الاجتماعي بحاحا"، حيث أكد فيه على أن سكان هذه المنطقة متوحشون وبدائيون وأعطى أمثلة عن ذلك منها:

- أن مقاومة سكان حاحا للأجنبي تحت اسم الجهاد هي نوع من التزمت ورفض الآخر ونزوع إلى الحرب، مخالفة بذلك القيم الغربية من قبيل الدفاع عن الوطن والتمسك بالحق الوطني والأرض، وبعبدة كل البعد عن الالتزام السياسي. فهذه المقاومة المشروعة للمغاربة عند دوتي هي بكل بساطة واختصار نزعة متطرفة في حب الحرب والقتال.

- أن المكانة التي تحظى بها المرأة في مجتمع حاحا وعلاقتها بالرجل، داخل وخارج مؤسسة الزواج، والمبنية على الاحترام والقواعد الشرعية ما هي إلا سمة من سمات المجتمعات البدائية التي ترى في المرأة كائنًا مختلفًا عن الرجل.

﴿ نماذج الدراسات العلمية ﴾

مع توالي الكتابات الإثنوغرافية السابقة، ظهرت إرهابات لدراسات منظمة على المستوى المهني والتحليلي والنظري، تبلورت خلال المرحلة الاستعمارية إلى كتابات أنثروبولوجية وسوسولوجية ضخمة حول المناطق المغربية، خاصة كتابات ميشو بيلير وروبير مونطاني وجاك بيرك.

وصل ميشو بيلير إلى المغرب سنة 1900 وانصب على دراسة البنيات الاجتماعية المغربية واهتم بالنسق القبلي وبالخصوص القبائل المتواجدة بسهول الغرب وبالنسق المخزني والعلاقة بين القبيلة والمخزن، وكذلك بالدور الديني والاجتماعي والاقتصادي للنزوايا، حيث يرى أن المجتمع المغربي يقوم على منطق ثنائي متعارض: بلاد المخزن/بلاد السبية³.

فالقبيلة، في نظره، تعترف فقط بالسلطة الدينية والسيادة الروحية للمخزن دون أن تعترف كلياً بسلطته السياسية وبجهاز السلطان الإداري. ومن تم فهي، باعتبارها بلاد السبية (خاصة القبائل الجبلية)، نظام منغلق ومنعزل عن الحياة السياسية الشرعية والتنظيمات المخزنية، لها بنى سياسية ونمط اقتصادي وطقوس وأعراف و لهجة خاصة بها، واعتبرها كوحدة تقوم على الامتلاك الجماعي لنفس الحاجيات والمصالح والأهداف والوسائل⁴.

¹ علي بولريج، الدراسات الكولونيالية حل المنطقة الشمالية المغربية، مرجع سابق، صص: 230-233.

² الهروي الهادي، القبيلة، الإقطاع والمخزن، مرجع سابق، ص 55.

³ المرجع نفسه، ص 56.

⁴ المختار الهراس، القبيلة والسلطة وتطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، منشورات الرسالة، 1988، ص 27.

أما روبر مونتاني الضابط في البحرية الفرنسية، فقد التحق بالمغرب كملاحظ مدني بالمهدية، لكن سرعان ما أعفاه هوبير ليوطي من مهامه العسكرية وأوكل إليه مهمة البحث حول المغرب¹، فتجول وجاب الجنوب المغربي، وألف سنة 1930 كتاب "البربر والمخزن في جنوب المغرب"² وهو أطروحة انثروبولوجية تاريخية³، تؤسس للكتابات الاجتماعية المتخصصة التي تعتمد المقاربة التحليلية أكثر من الوصفية⁴، إذ لم يكتف بوصف مظاهر الحياة القبلية بأبعادها الاجتماعية والثقافية والمجالية، بل تجاوز ذلك إلى تقديم تفسيرات لها من خلال البحث عن العلاقات والروابط والتفاعلات المؤطرة لها. وقد حاول أن يؤسس نظرية النظام القبلي، فتطرق، بكثير من التفصيل والتحليل، إلى أهم مكونات البناء الاجتماعي والسياسي للقبائل الجنوبية، لمعرفة طبيعة المجتمع والحكم.

يتميز هذا النظام بسلطة محلية، حاول مونتاني شرح أصولها "فكان يصف في أطروحته، بدقة، أسس تلك الدولة البربرية الجزئية، وإن كانت تقوم في الظاهر على مبدأ ديمقراطي، فهي في الواقع تعني ممارسة حكم الأقلية. فكان الشيوخ (الأماغار) يتوصلون، بواسطة الأحلاف العائلية والحيل السياسية والاستيلاء على الماء ووسائل الإنتاج، إلى توسيع نفوذهم ليؤسسوا في الأخير دولا حقيقية واسعة الامتداد، لها استقلالها وسياستها الخارجية"²، كما يتميز هذا النظام أيضا بتراتبية اجتماعية تتدرج من القبيلة، كمكون ووحدة اجتماعية واقتصادية كبرى تتحدد بوحدة المجال* والمصالح والعادات، إلى المدشر كأصغر مكون ووحدة اجتماعية تتقوى داخلها الروابط الدائمة بين الأسر كضرورة لحمايته والدفاع عنه⁵.

تبنى مونتاني في أبحاثه المنطق التعارضية (المخزن/ السببية، البربر/ العرب،...) على المستويات الاجتماعية والعرقية والتنظيمية والسياسية، وانطلق في التعبير عن أطروحة هذا التعارض من فكرة أن القبائل البربرية لم تفقد خصوصياتها السياسية وبنياتها الاجتماعية إلا بسبب تدخل العنصر العربي المخزني، وقد بنى تصوره هذا من خلال تعميم نتائج دراسته لقبائل الأطلس الكبير على باقي المناطق المغربية الأخرى، لاسيما المناطق الجبلية، ليخلص في الأخير إلى مبدأ محوري في فهم هذه المناطق هو أن الجبال بالمغرب هي بلاد السببية والفوضى، الساخطة على سلطة المخزن وسياساته.

مجمل أفكار هذا الباحث الاجتماعي يلخصها بالأساس كتابه السابق (البربر والمخزن..)⁶ الذي اعتمد في صياغته على التاريخ الاجتماعي والسياسي للمنطقة من خلال الوثائق الفقهية والتاريخية والمعلومات الشفهية.

هناك باحث آخر تعتبر أعماله ذات أهمية خاصة ومكانة متميزة في البحث الأنثروبولوجي والتنظير السوسولوجي بالمغرب، إنه جاك بيرك الذي كان مراقبا مدنيا، وعاش جزءا كبيرا من حياته محتكا بالرجال والأحداث التي شهدتها المغرب العربي. أصبح

¹ عبد الكبير الخطيبي، مراحل السوسولوجية بالمغرب 1912-1976، ضمن مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد الخامس، السويسي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، العدد 48، 2004، ص 16.

² Montagne R, *Les berbères et le Makhzen dans le sud au Maroc : essai sur la transformation politique des berbères sédentaires (groupe chleuh)*. ED, Felix Alcan, paris 1930.

³ توفر الأنثروبولوجيا أدوات من شأنها أن تثرى الدراسة التاريخية والاجتماعية.

⁴ المختار الهراس، القبيلة والسلطة والمخزن....، مرجع سابق، ص 28-32.

* للمزيد من التفصيل حول انتظام المجموعات داخل القبيلة، أنظر كتاب: المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850-1912)، أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط2، 1983، ص 105.

⁵ Montagne R, *Les berbères et le Makhzen dans le sud au Maroc*, op cit, pp 152-153.

⁶ إضافة إلى كتاب "البربر والمخزن في جنوب المغرب"، ألف روبر مونتاني كتب أخرى من أبرزها:

- "حضارة الصحراء"، باريس 1944.

- "ثورة في المغرب"، باريس 1953.

بحكم تكوينه التاريخي مؤرخا اجتماعيا حيث انصب عمله، في ما بين الحربين، وبصفة خاصة، على التاريخ الاجتماعي للعالم القروي وعلى القانون والثقافة التقليدية بالمنطقة المغاربية. وبعد أن أقام مدة طويلة في ناحية مراكش، درس عن كثب البنيان الاجتماعي لقبائل سكساوة حيث اهتم بوصف وشرح عناصر النظام الاجتماعي لهذه القبائل وخلص إلى أن سمته الأساسية هي عدم التوازن بين ما هو اجتماعي وما هو اقتصادي¹. وأشار إلى أن الوحدة الاجتماعية داخل النظام القبلي ليست من النوع الجغرافي كما أشار روبر مونطاني، بل هي من النوع السلالي، فالخلية الأساسية هي "العظم" أو الجد المشترك الذي يعتبر قاعدة النظام الزراعي وإطار الحياة اليومية².

5 الأنثروبولوجيا الاستعمارية وإشكالية الاستعمال المنهجي

منذ فجر الاستقلال، انكب الباحثون المغاربة على قراءة وتحليل الدراسات الاستعمارية وتمحيصها لمعرفة هوياتها وخلفياتها، ثم ايدولوجياتها ومراممها التي وجهتها، قبل وأثناء غزو المغرب، مُتَحَدِّين ما قد يعترض هذا النوع من الأبحاث من صعوبة يمكن أن تطرحها طبيعة تلك الكتابات، سواء من حيث تعدد تخصصاتها الموضوعاتية أو مقارباتها المنهجية وهو ما نلمسه، بالخصوص، في البحث الأنثروبولوجي الاجتماعي، باعتباره العلم المعرفي الأكثر ارتباطا، عمليا، بالسياسة الاستعمارية لخدمة أهدافها بالمغرب.

ولأن المسؤولية التاريخية والموضوعية العلمية، تدفعان منفردتين أو مجتمعتين بكل ذي علم قادر على كشف الحقيقة، إلى اقتحام ميدان البحث، توحدت الفعاليات الثقافية المغربية، وتضافرت جهودها، خاصة في حقل البحث التاريخي/الاجتماعي، فلاحَ في أفق النهوض بهذا المشروع زخم ثقافي رزين وبرزت كتابات تاريخية اجتماعية...قيمة. خلال الفترة الأخيرة، تجند أصحابها بالمعرفة العلمية والفكر النقدي، منادين بضرورة إعادة كتابة تاريخ المغرب، وفق مناهج ورؤى جديدة، تُعَرِّي وتدحض اللا موضوعية في الكتابات الاستعمارية التي احتكرته زمتا طويلا. وقد كان هؤلاء الباحثون يحاولون إزالة التصور الاستعماري لماضي المغرب، بإبراز عيوب هذه الكتابات وإظهار الشخصية العربية الإسلامية للمغرب ومزايا ماضيه الذي لا مناص منه لصياغة تاريخية واعدة. وقد اعتمد هذا التيار على مبدئين أساسيين، أولهما الرد على الاتهامات الموجودة في مضمون الكتابات الاستعمارية بالتشكيك في فهم الغربيين لخصوصية الدولة العربية الإسلامية. ثانيهما إعادة فهم النصوص والوثائق التي قرأها مؤرخوا العهد الاستعماري قراءة معينة³. وسنحاول الاستدلال على كل ذلك ببعض النماذج.

فجرمان عياش فند وقوض، من خلال دراساته المختلفة⁴، الأسس النظرية التي قامت عليها الاستوغرافيا الاستعمارية، واثبت وحدة الدولة المغربية وتشبث القبائل بوطنيتها، ولذلك فإنه لا يبقى مجال للحديث عن ثنائية "بلاد السبية" مقابل "بلاد المخزن" أو العرب مقابل البربر"، واعتمد في ذلك على الوثائق المغربية، خاصة الوثيقة المخزنية، دون غيرها من الوثائق الأجنبية كالوثائق الديبلوماسية والقنصلية الأوربية، لأن مهمة دحض الأطروحة الاستعمارية، أملت عليه الإعراض عن دراسات الأوربيين⁵، غير مستبعد أن يكون هؤلاء قد أنجزوا أبحاثهم في إطار صراع فكري فرض عليهم أن يخلصوا إلى نتيجة مسبقة،

¹ عبد الكبير الخطيبي، إلى أين تسير السوسيوغيا؟، ترجمة عمر بنعياش، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد الخامس، السويبي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، عدد 48، 2004، ص 123.

² التوفيق أحمد، المجتمع المغربي في القرن 19، مرجع سابق، ص 106.

³ مروان مصطفى، الكتابة التاريخية بالمغرب: إشكالات مطروحة، مجلة فكر ونقد، العدد 34، ص 68.

⁴ معظم هذه الدراسات جمعت في كتاب Etudes du Histoire marocaine الذي نشر في سنة 1923.

⁵ المنصور محمد، الكتابة التاريخية بالمغرب خلال ثلاثين سنة (1956-1986): ملاحظات عامة، ضمن أعمال ندوة البحث في تاريخ المغرب: حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1989، ص 21.

وهي أن المغرب لم يعد دولة قارة قادرة على القيام بذاتها بسبب الفوضى (السيبية)، وبالتالي فهو في حاجة إلى تدخل دولة تحمل إليه الحضارة، وهذه النظرية لم تصلح لتبرير الغزو قبل وقوعه ولم تصلح كذلك بعده لإقناع الرأي العام بأوروبا بأن مقاومة القبائل سمة من سمات التخلف¹.

وتبنى عبد الكبير الخطيبي وجهة نظر جديدة تكشف عن الوعي بضرورة نقد الخلفيات الأيديولوجية للكتابات الاجتماعية الاستعمارية، وهو ما يتضح في الموقف الذي عبر عنه بالدعوة إلى القيام بنقد مزدوج للتراث السوسيولوجي الآتي من الثقافة العربية الإسلامية الوسيطية ومن الثقافة الغربية المعاصرة في آن واحد². ومن خلال اشتغاله على الإنتاجات الاستعمارية التي اهتمت بدراسة البنية الاجتماعية للمغرب، وتتبعه عن كثب مناهجها وتحليلاتها لـ "الميكانيزمات" المتحكمة في سيرورة هذه البنية، خلص إلى أن خطاب أصحاب تلك الدراسات كانت توجهها أيديولوجية استعمارية "ذلك أن النظرية التي انتهوا إليها عبر دراساتهم وأبحاثهم لم تكن تهدف إلا إلى خلق نظرية للسيطرة"³.

وينطلق محمد وقيدي في مؤخذه ونقده للأثنوبولوجيا الاستعمارية من دراسة خلفياتها الأيديولوجية، بمعنى البحث في الشروط المعرفية والاجتماعية والتاريخية التي نشأ فيها هذا العلم.. ونظرياته ومفاهيمه، وتوصل إلى أن المشكلات التي اتجه إليها البحث الاجتماعي الاستعماري لم تكن تملها اهتمامات نظرية متخصصة فحسب، بل فرضتها سياسة وأهداف السلطة الاستعمارية⁴. وكشف أيضا عن امتزاج التحليل الموضوعي بوجهة النظر الشخصية "التابعة طبعا للأهداف التي كانت توجه السياسة الفرنسية في المغرب"⁵.

ونفس الاتجاه نجده محمد عابد الجابري الذي عاب على أيديولوجي الاستعمار الفرنسي الخلط بين رغباتهم وطموحاتهم التوسعية، وبين بعض المظاهر السطحية من الواقع المغربي منها مظهران أساسيان: أولهما عمل بعض القبائل بالعرف بدل الشرع الإسلامي في مجال الإرث، وثانيهما انقسام المغرب إلى بلاد "المخزن" وبلاد "السيبة"، فقرؤوا في الأول تمردا على الإسلام، وفي الثاني ثورة على السلطان، ولأن هذا الأخير عربي النسب فقد خلصوا إلى أن البربر يرفضون الإسلام والعروبة⁶.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا النقاش ظل سائدا ولمدة طويلة حول مدى أهمية توظيف الكتابة التاريخية الاستعمارية في البحث التاريخي المغربي، وبدأ يعرف تحولات عبر مجموعة من المراحل التي واكبت تطور البحث نفسه.

ومع بداية السبعينيات من القرن الماضي سيعرف هذا النقاش تغيرا ملحوظا، إذ أصبح الإقرار بحضور الأيديولوجية في الكتابات الاستعمارية من قبيل تحصيل حاصل حسب تعبير عبد الأحد السبتي⁷، وأضحى التحرر من عقدة الإسطغرافيا الاستعمارية ضرورة ملحة. وبالتالي الاعتراف بأهمية الاعتماد على الأرشيف والكتابات الغربية، وفق حذر منهجي في التعامل مع

¹ عياش جرمان، اتجاه جديد للبحث التاريخي في المغرب، ضمن أعمال ندوة البحث في تاريخ المغرب: حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1989، ص 31.

² وقيدي محمد، العلوم الإنسانية والإيديولوجيا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 2011، ص 228.

³ الزين عبد افتاح، السوسيولوجيا في المغرب من إعلان الحماية الفرنسية إلى المرحلة الراهنة، مجلة المستقبل العربي، العدد 146، 1991، ص 121.

⁴ وقيدي محمد، العلوم الإنسانية والإيديولوجيا، مرجع سابق، ص 230.

⁵ وقيدي محمد، مكونات المغرب وسياساته، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2001، ص 32.

⁶ عابد الجابري محمد، المغرب المعاصر: الخصوصية والهوية.. الحدائنة والتنمية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1988، ص 93.

⁷ السبتي عبد الأحد، التاريخ الاجتماعي ومسألة المنهج: ملاحظات أولية، ضمن أعمال ندوة البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 14، 1989، ص 46.

نوايا ومواقف أصحابها، إذ لا يكفي حسب محمد المازوني الإعراض عنها من منطلق يحكمه الحس الوطني لتجاوزها والقول بأنها عديمة الفائدة¹، بل العكس من ذلك فهي تفيد الباحث في الكثير من القضايا وفي مختلف التخصصات لما تتوفر عليه من الغزارة من حيث المعلومات والاجتهادات في التحليل.

ولقد أصبح في حكم الثابت لدى غالبية المؤرخين أنه من اللازم تجاوز وهم أن تكون هذه الكتابة عديمة القيمة، إذ يمكن أن تكون، عبر سجل علمي حقيقي، دافعا قويا لبلورة إشكاليات جديدة لدراسة تاريخ المغرب، وطرق مقاربات تواكب المستجدات المنهجية والمعرفية، وبالتالي ستصبح مسألة التحرر من عقدة التاريخ الاستعماري مجرد ذكرى في مسار هذا التجديد.

ويعتبر عبد الله العروبي من الرواد الأوائل الذين دعوا إلى التريث في التعامل مع الكتابة الاستعمارية، مؤكدا أن عملية تجاوز نظريات ومعارف هذه الكتابة تتطلب نفسا طويلا وشروطا كثيرة مازال البحث العلمي الوطني في حاجة إليها " إذ لا يكفي النقد المجرد لإبدالها بتاريخ إيجابي موضوعي".

واقترق محمد المازوني أثر سابقه حيث لا يمانع في توظيف تركة الاستعمار الفكرية في إعادة كتابة تاريخ المغرب شريطة إعمال النظر الفاحص والعقل الناقد " إذ لا يكفي الإعراض عنها من منطلق يحكمه الحس الوطني لتجاوزها أو القول بأنها عديمة الفائدة".

وإذا كان محمد جسوس يقر بالطابع الاستعماري للكتابات الأجنبية ويربطها بتوجهات إيديولوجية لخدمة أهداف مرحلية، فإنه لا يؤيد فكرة التخلي بالمرّة عن هذه الكتابات ويحذر من التغاضي عن قيمتها المنهجية حيث يقول: "...وهنا لابد من الاحتياط من عدم السقوط في نزعة رفض كل ما هو أجنبي وتثمين كل ما هو أهلي، فهل معني هذا أن هناك امتياز إستيمولوجي للأهالي؟ وإلى أي حد يمكن اعتبار الإنتاج الاستعماري استعماريًا بالفعل؟ لهذا فإن الإنتاج الأجنبي لا يعني التحريف بالضرورة أو أن الوطني يعني المصادقية والصحة، لأن المسألة لا تتعلق بالحقيقة أو الخطأ. بل باستراتيجيات تخدم مصالح محدودة. ومن ثمة فالمطروح علينا هو الاندماج في مسلسل إنتاج المعرفة العلمية على الصعيد الدولي حسب شروط الصراع الحالي، وإن كانت إمكانياتنا لا تفي الغرض على الوجه المطلوب"².

خلاصة :

انتقلت الأبحاث المتعلقة بالمجتمعات الأوروبية خلال القرن 19م إلى الانصباب علي دراسة المجتمعات غير الغربية، وفق مقارنة تاريخية أنثربولوجية شكل المغرب موضوعا خصبا لها، فتوالى الكتابات الأنثربولوجية الاجتماعية متخذة صورا أكثر تقدما لأنها كانت موجهة نحو أهداف عملية مرتبطة بالحركة الاستعمارية، ذلك أن معظم الباحثين في البنية الاجتماعية المغربية والذين صدرت عنهم مجموعة من الأبحاث كانوا مرتبطين بالسلطة الاستعمارية، وبالتالي كانت أبحاثهم تلك تنجز وتوضع في خدمة المخططات والأهداف الاستعمارية، بل أكثر من ذلك فإن كثيرا منهم كان في الوقت ذاته جزءا من هذه السلطة، وأثبت فاعليته في مجموعة من الأحداث التي كادت تزعزع الوجود الاستعماري بالمغرب.

وإذا كان ظهور الأنثربولوجيا بالمغرب مرتبطا بالدراسات الاستعمارية، فإن العودة لهذا الإرث والكم الهائل من المعلومات أصبح ضرورة ملحة لكل من أراد دراسة قضايا متعددة في تاريخ المغرب، بمنطق المنهج النقدي والفحص العلمي، للاستفادة مما وفرته تلك العينات من الباحثين، من أصناف متنوعة من الوثائق والمعطيات التي همت على الأقل الحوادث العادية والأمور

¹ المازوني محمد، الكتابة التاريخية الكولونيالية: بين أطروحة الرفض والاستعمال المنهجي، مجلة مناهل العدد 87، ص 48.

² جسوس محمد، العقلانية والمشروع العربي، مجلة الوحدة، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، العدد 26 27، 1986، ص 219.

غير الموجه أو المراقبة بسلطة معينة، ونفس المنطق يجب أن تخضع له كذلك الكتابات الوطنية، بعيدا عن كل إيديولوجية أو نزعة قد تؤثر على الحقيقة التاريخية، في إطار النقد المزدوج الذي دعا إليه عبد الكبير الخطيبي، وهي الفكرة التي لم تقتصر حسب محمد وقيدي على مجرد الوعي بالسمة الإيديولوجية لفكر الغير دون أن تخلق في ذاتها الشروط التي تجعلها تتجاوز المنطق الإيديولوجي إلى ممارسة النقد، وهذه في نظرنا دعوة، وإن كانت تلميحا، إلى الجيل الجديد للتأهب لتعميق البحث في هذا الاتجاه.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

1. أحمد المكاوي، الدور الاستعماري والإخترافي للطبابة الأوروبية بالمغرب، منشورات زمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2009.
2. أندري بورغيير، الأنثروبولوجيا التاريخية، ترجمة محمد حبيدة، مجلة أمل العدد الخامس، 1994.
3. بن سليمان فريد، مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، 2000.
4. بوطالب إبراهيم، البحث الكولونيالي حول المجتمع المغربي، حصيلة نقدية، ضمن أعمال ندوة البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 14، 1989.
5. جسوس محمد، العقلانية والمشروع العربي، مجلة الوحدة، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، العدد 26، 27، 1986.
6. حسن فهميم، قصة الأنثروبولوجيا: فصول في تاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986.
7. الزين عبد افتاح، السوسيولوجيا في المغرب من إعلان الحماية الفرنسية إلى المرحلة الراهنة، مجلة المستقبل العربي، العدد 146، 1991.
8. السبتي عبد الأحد، التاريخ الاجتماعي ومسألة المنهج: ملاحظات أولية، ضمن أعمال ندوة البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 14، 1989.
9. عابد الجابري محمد، المغرب المعاصر: الخصوصية والهوية.. الحداثة والتنمية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1988.
10. عبد العزيز علوي الأمrani، من تاريخ السرد إلى تاريخ النقد نحو تطور المعرفة التاريخية في الوطن العربي، مجلة فكر ونقد، عدد 84، 2006.
11. عبد الكبير الخطيبي، مراحل السوسيولوجيا بالمغرب 1912-1976، ضمن مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد الخامس، السويدي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، العدد 48، 2004.

12. عبد الكبير الخطيبي، إلى أين تسير السوسيولوجيا؟، ترجمة عمر بنعياش، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد الخامس، السويسي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، عدد 48، 2004.
13. علي بولريح، الدراسات الكولونيالية حل المنطقة الشمالية المغربية، نموذج أوكست مولييراس، ضمن مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة عبد الملك السعديين تطوان، العدد 6 ن 1993.
14. عياش جرمان، اتجاه جديد للبحث التاريخي في المغرب، ضمن أعمال ندوة البحث في تاريخ المغرب: حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1989.
15. فرانسوا فوري، التاريخ والإثنوغرافيا، ترجمة محمد حبيدة، مجلة أمل العدد التاسع، 1997.
16. المازوني محمد، الكتابة التاريخية الكولونيالية: بين أطروحة الرفض والاستعمال المنهجي، مجلة مناهل العدد 87.
17. المختار الهراس، القبيلة والسلطة وتطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، منشورات الرسالة، 1988.
18. مروان مصطفى، الكتابة التاريخية بالمغرب: إشكالات مطروحة، مجلة فكر ونقد، العدد 34.
19. المنصور محمد، الكتابة التاريخية بالمغرب خلال ثلاثين سنة (1956-1986): ملاحظات عامة، ضمن أعمال ندوة البحث في تاريخ المغرب: حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1989.
20. الهروي الهادي، القبيلة، الأقطاع والمخزن: مقارنة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث، 1844-1943، مطبعة إفريقيا الشرق، 2005.
21. وقيدي محمد، العلوم الإنسانية والإيديولوجيا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 2011.
22. وقيدي محمد، مكونات المغرب وسياساته، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2001.

المراجع الأجنبية :

Montagne R, *Les berbères et le Makhzen dans le sud au Maroc : essai sur la transformation politique des berbères sédentaires (groupe chleuh)*. ED, Felix Alcan, paris 1930.

دورالتنظيمات الفلسطينية في تنمية السلوك التطوعي لدى أطرها الطلابية في الجامعات :
دراسة ميدانية على الرابطة الإسلامية بجامعة الأقصى

The role of the Palestinian organizations in developing volunteer behavior in their student frameworks in universities: A field study on the Islamic League at Al-Aqsa University

أ. بسام محمد عبد العزيز أبو عليان/جامعة الأقصى، فلسطين

Mr. Bassam Mohamed Abdel Aziz Abu Eleyan/Al-Aqsa University

Abstract:

The purpose of the research is to identify the role of the Palestinian organizations in the development of volunteer behavior in their student frameworks in the universities, the most active areas of volunteering, the reasons for preference of a voluntary field over others, the motives of volunteerism, and its obstacles.

Use the descriptive approach and the questionnaire tool. The total sample (thirty) students from the Islamic League at Al-Aqsa University were randomly selected.

The research found that %93.3 of them have voluntary contributions and have been active through the Islamic Association, and their voluntary experience is not more than two years. The most voluntary areas are recreational activities and the reasons for preferring voluntary activity to others: (Volunteerism, volunteer commitments, shyness, low awareness of volunteering), and proposals for improving volunteerism: (volunteer training, volunteerism, volunteerism, etc.) Highlighting successful volunteer experiences, honoring volunteers, and taking into consideration the desire Volunteers and their circumstances in determining volunteer time).

Keywords: Volunteerism, Islamic League, Palestine.

ملخص:

هدف البحث للتعرف على دور التنظيمات الفلسطينية في تنمية السلوك التطوعي لدى أطرها الطلابية في الجامعات، وأكثر مجالات التطوع ممارسة، وأسباب تفضيل مجال تطوعي على غيره، ودوافع التطوع، ومعوقاته، ومقترحات تجويده. استُخدم المنهج الوصفي، وأداة الاستبيان. بلغ إجمالي العينة (ثلاثين) طالبًا من الرابطة الإسلامية بجامعة الأقصى، اختبروا بطريقة عشوائية عمدية. توصل البحث إلى أن (93.3%) لهم إسهامات تطوعية، ومارسوا نشاطهم من خلال الرابطة الإسلامية، وخبراتهم التطوعية لا تزيد عن سنتين، وأكثر مجالات التطوع ممارسة يغلب عليها الجانب الترفيهي، وأسباب تفضيل نشاط تطوعي على غيره: (تحقيق أهداف الرابطة الإسلامية، وتنفيذ أنشطتها)، ودوافع التطوع، هي: (ابتغاء الأجر والثواب، والرغبة في مساعدة الآخرين، وشعور الرضا النفسي)، ومعوقات التطوع، هي: (التعارض بين وقت التطوع والتزامات المتطوع، والخجل، وتدني الوعي بالتطوع)، ومقترحات تحسين التطوع: (تدريب المتطوعين، وإبراز التجارب التطوعية الناجحة، وتكريم المتطوعين، ومراعاة رغبات المتطوع وظروفه في تحديد وقت التطوع).

الكلمات المفتاحية: التطوع، الرابطة الإسلامية، فلسطين.

مقدمة:

التطوع ظاهرة اجتماعية موجودة في كل المجتمعات الإنسانية بغض النظر عن مستوى تحضرها وتطورها، لكن مجالاته وأهدافه تختلف باختلاف المجتمعات، واختلاف الزمان في المجتمع الواحد، يعود ذلك لتأثير العوامل السياسية، والأمنية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والتعليمية. للتطوع مكانة متجذرة في سلوك الفرد العربي والمسلم، فهناك العديد من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمأثورات، والأمثال الشعبية التي تحث على التطوع. ويعد التطوع اليوم مقومًا مهمًا من مقومات التنمية الاجتماعية والاقتصادية؛ لأنه ليس بمقدور الحكومات القيام منفردة بتلبية جميع احتياجات شعوبها، بالتالي كان لزامًا، - ومن باب المسؤولية المجتمعية-، أن توجد جهود مساندة ومشاركة ومكملة للجهود الحكومية، تمثلت في إنشاء العديد من مؤسسات المجتمع المدني التي انطلقت في عملها من أرضية التطوع والمشاركة المجتمعية.

تعتبر بريطانيا أول من أسس فريقًا للتطوع؛ لمواجهة حريق لندن العظيم سنة 1666م، واستفادت من جهود المتطوعين في الحربين العالميتين الأولى والثانية؛ لحماية المواطنين من الغارات الجوية، فيما تعتبر أمريكا أول من قنن العمل التطوعي بسن تشريع سنة 1737م الذي نظم التطوع في مجال إخماد الحرائق في نيويورك¹. يمكن أن ندلل على مدى مساهمة التطوع في تنمية المجتمع بجملة حقائق، مثلًا: في أمريكا سنة 1994م وصلت نسبة المتطوعين (33%) من إجمالي السكان، وبلغ معدل ساعات التطوع الأسبوعية (4,2) ساعة لكل متطوع، وبلغ مجموع ساعات التطوع (20,5) بليون ساعة². في سنة 2003م أشارت الإحصائيات الأمريكية الرسمية بوجود (151.497.2) منظمة وجمعية خيرية، و(اثنان وثلاثين ألف) مؤسسة وقفية، ويرخص يوميًا (مائتي) جمعية خيرية، ويضم القطاع الخيري قرابة (أحد عشر مليون) موظف بصفة دائمة، وبلغت إيراداتها من التبرعات حوالي (212) مليار دولار³. في بريطانيا بلغ دخل الجمعيات الخيرية في عامي (1981-1980م) (7,3) بليون جنيه إسترليني، ما يعادل (3%) من إجمالي الدخل الوطني، وفي سنة 1985م بلغ (12,6) بليون جنيه إسترليني، ما يعادل (4,1%) من إجمالي الدخل

¹ معلوي بن عبد الله الشهراني، العمل التطوعي وعلاقته بأمن المجتمع، رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2006، ص 24-25.

² إبراهيم بن حمد القعيد، وسائل استقطاب المتطوعين والانتفاع الأمثل بجهودهم، بحث مقدم إلى مؤتمر: "العمل التطوعي وآفاق المستقبل"، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 15-16/9/2012، ص 633.

³ عبد الرحمن فرحانة، معركة العمل الخيري، www.islamtoday.net. نقلًا عن: كمال منصور، المنظمات غير الحكومية ودورها في عولمة النشاط الخيري والتطوعي، مجلة علوم إنسانية، السنة الرابعة، العدد 30، سبتمبر 2006، ص 4.

الوطني¹، وحوالي (92%) من البريطانيين يفضلون العمل في الجمعيات التطوعية². فيما قدر عدد الجمعيات الخيرية في دول الاتحاد الأوروبي مليون جمعية³. أما في تركيا عام 2010م بلغ عدد الشباب المتطوعين بحسب الأمم المتحدة حوالي (8-10) آلاف شاب⁴. أما في المجتمعات العربية قد بزغت شمس المنظمات الأهلية في الستينات، حيث صارت تؤدي دورًا ملحوظًا في الحياة الاجتماعية والثقافية، وتطورت خدماتها واختصاصها، غير أن ظهور الدولة الوطنية في تلك الفترة أدى إلى سيطرة الحكومة المركزية على النشاط الخيري من خلال دمجها في الجهاز الحكومي، غير أنه في أواخر القرن الماضي نتيجة التغيرات السياسية والاقتصادية التي طالت المجتمع العربي شهد العمل الأهلي توسعًا كبيرًا، وساهم بتحمل جزء من أعباء الدولة الاجتماعية في عدة مجالات، مثل: التأهيل والتدريب، ومكافحة الفقر، ورعاية الأسرة والطفولة، ورعاية المسنين، ورعاية المشردين، ورعاية المعاقين، وتنمية المجتمعات المحلية، وتحسين البنية التحتية، وتقديم الخدمات الإغاثية. رغم ذلك فإن العمل التطوعي العربي لا زال يواجه معوقات كثيرة تحول دون قيامه بدوره كأحد الفاعلين في عملية التنمية⁵.

إذا خصصنا الحديث عن فلسطين فقد شهدت تراجعًا واضحًا في عدد المؤسسات الأهلية والخيرية، ففي سنة 2008م بلغ عددها (625) مؤسسة، وفي سنة 2009م تراجعت إلى (509) مؤسسة، وفي سنة 2010م تراجعت إلى (438) مؤسسة⁶. أي خلال سنتين أغلقت (187) جمعية ومؤسسة، فهذا عدد كبير يعكس مدى أزمة العمل التطوعي المؤسسي في فلسطين. الجدير ذكره، لا توجد إحصائيات رسمية حول عدد المؤسسات الأهلية المحلية الفاعلة في قطاع غزة، لاسيما بعد إغلاق عدد كبير منها لأسباب سياسية، حيث ترفض التعاون مع حكومة غزة التي تديرها حركة حماس، بضغط من الجهات الدولية المانحة، أو الحكومة الفلسطينية في رام الله، فيما بلغ عدد المؤسسات الأجنبية الخيرية الفاعلة في القطاع (اثنتان وثمانين) جمعية، منها: (أربع وسبعون) فاعلة، و(ثمانية) غير فاعلات⁷. تعمل هذه الجمعيات في عدة مجالات، أكثرها: الإغاثي بنسبة (73.17%)، ثم الطبي (39.02%)، ثم الاجتماعي (36.58%)⁸.

رغم أهمية التطوع على صعيد الفرد والمجتمع، إلا أن الإقبال عليه ضعيفًا، فهناك عزوف واضح من أغلب شرائح المجتمع، - لاسيما الشباب من الجنسين، الذين يُعتمد عليهم بشكل رئيسي في الأعمال التطوعية؛ لما يملكونه من طاقات، وقدرات، ومواهب. مما يؤكد العزوف عن التطوع ما أفصحت عنه تقارير الأمم المتحدة بأن عدد المتطوعين تراجع من (مائتي وخمسين) مليون متطوع، إلى (مائة مليون) متطوع، وقد دعت لاعتبار سنة 2001م عامًا دوليًا لتنشيط العمل التطوعي⁹.

¹ لمزيد من المعلومات انظر: المرجع نفسه، ص 633.

² عدنان بن خليل باشا، العمل التطوعي وأثره على الفرد والمجتمع، بحث مقدم إلى: ندوة العمل التطوعي وآفاق المستقبل، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1433هـ، ص 207.

³ معلوي بن عبد الله الشهراني، مرجع سابق، ص 25.

⁴ المرجع نفسه، ص 207.

⁵ بتصريف عن: كمال منصور، مرجع سابق، ص 14.

⁶ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب فلسطين الإحصائي السنوي، رقم 12، رام الله، 2011، ص 137.

⁷ وزارة الداخلية. الشق المدني، دليل الجمعيات الأجنبية في قطاع غزة، كانون الثاني 2014، ص 10.

⁸ المرجع نفسه، ص 12.

⁹ صالح حمد التويجري، تفعيل العمل التطوعي، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الدولي السابع، إدارة المؤسسات الأهلية والتطوعية في المجتمعات المعاصرة. نقلًا عن: مكتبة صيد الفوائد، <http://saaid.net/Anshatah/dole/23.htm>

إشكالية الدراسة:

سعت الدراسة للإجابة على سؤال رئيس: ما هو دور التنظيمات الفلسطينية في تنمية السلوك التطوعي لدى أطرها الطلابية؟، ومنه تفرعت الأسئلة الآتية:

1. ما هي أكثر مجالات التطوع ممارسة لدى أبناء الرابطة الإسلامية؟
2. ما هي أسباب تفضيل مجال تطوع على آخر لدى أبناء الرابطة الإسلامية؟
3. ما هي دوافع التطوع لدى أبناء الرابطة الإسلامية؟
4. ما هي معوقات التطوع لدى أبناء الرابطة الإسلامية؟
5. ما هي مقترحات تحسين التطوع من وجهة نظر أبناء الرابطة الإسلامية؟

أهداف الدراسة:

1. التعرف على دور الرابطة في تنمية السلوك التطوعي لدى طلبتها.
2. التعرف على أكثر مجالات التطوع ممارسة لدى أبناء الرابطة الإسلامية.
3. التعرف على أسباب تفضيل مجال تطوعي على آخر لدى أبناء الرابطة الإسلامية.
4. التعرف على دوافع التطوع لدى أبناء الرابطة الإسلامية.
5. التعرف على معوقات التطوع لدى أبناء الرابطة الإسلامية.
6. التعرف على مقترحات تحسين التطوع من وجهة نظر أبناء الرابطة الإسلامية.

أهمية الدراسة:

تسلط الضوء على دور التنظيمات الفلسطينية في تنمية السلوك التطوعي لدى أطرها الطلابية في الجامعات، والكشف عن جانب اجتماعي غير نمطي وتقليدي لدور حركة الجهاد الإسلامي التي تركز جهدها على العمل العسكري ومقاومة الاحتلال الصهيوني.

مجالات البحث:

1. المجال الجغرافي: جامعة الأقصى (الحرم الجديد . خانيونس).
2. المجال البشري: طلاب الرابطة الإسلامية. وقع الاختيار عليها دون الأطر الطلابية الأخرى؛ لأنها لا تمثل أطر أحد أطراف الانقسام¹، وتمثل ثالث أكبر إطار طلابي بعد (الشبيبة الفتاوية، والكتلة الإسلامية). اختيرت العينة بطريقة عشوائية عمدية، حيث بلغ مجموعها (ثلاثين) طالبًا استطاع الباحث الوصول إليهم.
3. المجال الزمني: انقسم إلى قسمين: الأول: خاص بالدراسة: الفصل الصيفي من العام الجامعي (2017-2018م). الثاني: خاص بالباحث: حيث استغرق البحث شهران، في الفترة الممتدة بين (2018/8/31-7/1م).

¹ الشبيبة الفتاوية: الإطار الطلابي لحركة فتح، والكتلة الإسلامية: الإطار الطلابي لحركة حماس.

مفاهيم الدراسة:

1. التنظيم:

وليد نويهض: "مجموعة من الناس ذوي الاتجاه الواحد، والنظرة المتماثلة، والمبادئ المشتركة، والهدف المتفق عليه يسعون بوعي وعن عمق وإصرار؛ لتحقيق الأهداف التي يؤمنون بها، وأن يسودوا بنظرتهم ومبادئهم، وهم قادرون فعلاً على أن يعملوا وينشطوا نشاطاً يومياً ودءوباً في سبيل ذلك، وهم يرتبطون ببعضهم بعضاً وفقاً لقاعدة أو قواعد تنظيمية مقبولة من جانبهم تحد علاقاتهم وأسلوبهم ووسائلهم في العمل والنشاط"¹.

ادموند بيرك: "مجموعة من الأفراد اتحدت بجهودها الذاتية؛ لترقية المصلحة الوطنية على أساس مبدأ معين متفق عليه بين المجتمع"².

يعرف أيضاً: "وجود اجتماعي طور من قبل أفراد؛ لتحقيق أشياء لا يمكن تحقيقها بغير أخذ أفراد ذلك متنوعي المعرفة... ووضعتهم في هيكل ونظام يعبر عن وحدة متكاملة"³.

يميل الباحث إلى التعريف الأخير؛ لأنه يعبر عن المضمون الذي يقصده للتنظيم.

2. السلوك التطوعي:

كلمة تطوع في اللغة مأخوذة من الطاعة، وتعني التبعية والانقياد. التطوع هو: التكلف بالطاعة بالقبول والرضا، ومنها: التطوع في الجندية⁴.

من تعريفاته الاجتماعية:

محمد رزمان: "الجهد الذي يقدمه الإنسان لمجتمعه بدافع من إرادته الحرة، ودون انتظار مقابل له، قاصداً بذلك تحمل بعض المسؤوليات في مجال العمل الاجتماعي؛ لسد ثغرة فيه قصرت الإدارة العامة عن الوفاء بها، ويكون بالجهد البدني، كما يكون بالجهد العقلي، والتبرع المالي"⁵.

تعريف الأمم المتحدة: "تخصيص وقت وجهد بشكل إرادي حر، ودون الحصول على أرباح مادية؛ لمساعدة الآخرين، والإسهام في تحقيق النفع والصالح العام"⁶.

¹ منصور الجمري، ما التنظيم السياسي أو الحزب السياسي؟، صحيفة الوسط البحرينية، العدد 1910، الخميس 2007/11/28، <http://www.alwasatnews.com>

² صلاح الدين عبد الرحمن الدومة، المدخل إلى العلوم السياسية، ط2، مطبعة جي تاون، الخرطوم، 2003، ص378. نقلاً عن: صهيبي العمادي، التعددية السياسية في الفكر الإسلامي المعاصر.. مفهوم الحزب والحزب السياسي (1)، المركز العالمي للوسطية، <http://wasatiaonline.net/news/details.php?data-id=317>

³ دائرة التعبئة والتنظيم، مفهوم التنظيم، منشورات حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح، د.ت، ص3.

⁴ بتصرف عن: أحمد الأصفر، العمل التطوعي والحد من انتشار الأمية، ورقة علمية مقدمة إلى: "مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي (الأمن مسؤولية الجميع)، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2000/9/27-25، ص12.

⁵ صابر أحمد عبد الباقي، العمل التطوعي، جامعة الملك فيصل، د.ت، نقلاً عن: ibtrialino.blogspot.com، ص3.

⁶ المرجع نفسه، ص4.

رزق عبد الرحيم: "مشاركة الأفراد والجماعات والقيادات على أساس من الشعور بالمسؤولية الاجتماعية، مما يؤدي إلى التطوع في عدد من المشاريع المحلية المبنية على تقدير ومبادئ محددة هدفها رفع مستوى معيشة الناس"¹.

برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين: "عمل غير ربحي، لا يقدم نظير أجر معلوم، وهو غير وظيفي أو مهني، يقوم به الأفراد من أجل مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين من جيرانهم أو المجتمعات البشرية بصفة مطلقة"².

يعرفه الباحث تعريفاً إجرائياً: "هو كل جهد جسدي، أو عقلي، أو مالي يبذله الفرد في خدمة الآخرين قد يكونوا أفراداً، أو جماعات، أو المجتمع عموماً دون مقابل مادي".

3. الإطار الطلابي:

"مجموعة طلاب ينتمون لأحد التنظيمات السياسية، ويعملون على خدمة الطلاب في المؤسسات التعليمية: المدارس، والمعاهد، والكليات، والجامعات".

4. الرابطة الإسلامية:

هي الإطار الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، مرت في عدة مراحل منذ نشأتها إلى اليوم.

أول إطار طلابي شكلته الحركة كان سنة 1982م بعد عودة جيلها المؤسس من مصر، تحت مسمى: "كتلة الإسلاميين المستقلين"؛ بهدف المشاركة في انتخابات مجلس طلاب الجامعة الإسلامية بغزة، وفي بدايات تسعينات القرن الماضي، مع عودة السلطة الفلسطينية إلى فلسطين، غيرت اسمها ليصبح: "الجماعة الإسلامية"؛ كي تحصل على ترخيص رسمي؛ لمزاولة عملها، وفي مطلع الألفية الثانية غيرت اسمها ليصبح: "الرابطة الإسلامية".

5. الجامعة:

معجم اللغة العربية المعاصر: "مجموعة معاهد علمية تسمى كليات، تدرس فيها الآداب، والفنون، والعلوم بعد مرحلة الدراسة الثانوية"³.

"مؤسسة تعليمية يلتحق بها الطلاب بعد إكمال دراستهم بالمدرسة الثانوية، وهي أعلى مؤسسة معروفة في التعليم العالي، وتطلق أسماء أخرى على الجامعة وبعض المؤسسات التابعة لها مثل: الكلية، والمعهد، والأكاديمية، ومجمع الكليات التقنية، والمدرسة العليا"⁴.

"مؤسسة تعليمية تحتوي على كليات لدراسات الآداب، والفنون، والقانون، والطب، والهندسة، والعلوم الاجتماعية والإنسانية، ومدارس أو كليات للدراسات المهنية، وتقدم الدراسات لطلاب المرحلة الجامعية الأولى، كما تقوم بالدراسات العليا والبحوث في الكليات والمدارس المذكورة، أو عن طريق كلية الدراسات العليا والبحوث"⁵.

1 زهير حطب، العمل التطوعي والرعاية الاجتماعية، بحث مقدم إلى مؤتمر: "العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي"، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 25-27/9/2000، ص26.

2 عاذرة عمر بوغندوره، مشاركة المرأة الليبية في العمل التطوعي. دراسة تحليلية، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، العدد28، جامعة بنغازي، 2مارس2017، ص4.

3 المعاني، جامعة، <https://www.almaany.com/>

4 روابحية رضا، مفهوم الجامعة، منتدى إبداع للتربية والتعليم، 13/9/2008، <http://rouabhia.ahlamontada.net/t7-topic>

5 نجوم مصرية، الجامعة والمجتمع، 1/11/2012، <https://www.nmisr.com/vb/showthread.php?t=433236>

"المستوى التعليمي الذي يأتي مباشرة بعد التعليم الثانوي، ويجب أن يُحقق المتعلم معدلاً دراسياً في المرحلة الثانوية يُؤهله للدراسة الجامعية، أو للالتحاق بالتخصص الجامعي الذي يهتم بدراسته، وبعد التخرج من التعليم الجامعي يحصل المتعلم على شهادة تؤهله من الحصول على عمل معين ضمن مؤهلاته التعليمية، أو تساعده في الاستمرار بدراسة مراحل متقدمة من الدراسات العليا في الجامعة"¹.

يمكنني تعريفها إجرائياً: "مؤسسة تعليمية يلتحق بها الطلبة بعد إنهاء دراستهم الثانوية بنجاح، تمنح درجة البكالوريوس أو الليسانس في التخصصات المعتمدة لديها، وقد تمنح درجة الماجستير أو الدكتوراه في بعض التخصصات العلمية".

الإطار النظري

التطوع في الإسلام:

التطوع في القرآن:

ورد التطوع في القرآن الكريم بمعاني كثيرة، منها: (البر، والتقوى، والخير، والطاعة، والإحسان، والحسنة، والهدى، والعبادة، والخيرات، والاستقامة)². فالآيات التي تحت على التطوع كثيرة جداً، منها على سبيل المثال:

• {يَأْتِيَا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}³.

من صور التطوع في القرآن الكريم:

❖ قال تعالى: {وَمَا تَقْدِمُوا أَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ}⁴. هذه دعوة موجهة من الله تعالى لعباده المؤمنين؛ لحثهم على التطوع، ولطمأنتهم على أن ما يبذلوه من عمل خيري في خدمة ومساعدة الآخرين، إنما هو في الحقيقة خدمة لأنفسهم؛ لأنه سيدون ويحفظ في سجل حسناتهم، وسيؤجرون عليه.

❖ قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ}⁵. بينت الآية أن العبادة لا تقتصر على الطقوس التعبدية فقط، لكنها أضافت صورة للتطوع، هي: إنفاق المال على مستحقيه (الأقارب، والأيتام، والمساكين، وابن السبيل، والسائلين، وفي الرقاب).

❖ قال تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ* فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ}⁶. تحدثنا الآية عن موقف موسى عليه السلام عندما كان فاراً خائفاً من بطش فرعون إلى أن وصل به المطاف إلى بئر مدين، وهناك وجد الناس يتسابقون على سقي الأغنام،

¹ مجد خضر، مفهوم التعليم الجامعي، موقع: موضوع.كم، 2016/8/14، <https://mawdoo3.com>

² محمد علي الخطيب، مفهوم العمل التطوعي ومكانته في الكتاب والسنة، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 532، 2012/9/3، م، الكويت، تصدر عن:

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، <http://alwaei.com>

³ البقرة:184.

⁴ البقرة:110.

⁵ البقرة:177.

⁶ القصص:23-24.

ووسط الزحام رأى فتاتين تنتظران جانباً؛ حتى يخف الزحام، ثم تسقيان أغنامهما. في هذه الحالة تقدم موسى وسقى لهما دون أن تطلبا منه ذلك، ودون أن ينتظر منهما أجرًا على فعله، رغم أنه كان في أشد الحاجة لأي شيء يسد جوعه، ويوفر له الأمن. هذا السلوك هو تطبيق فعلي لمضمون التطوع.

❖ قال تعالى: {وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} ¹. أي يقدم المؤمنون مصلحة الآخرين على مصلحتهم، وهذا هو قمة التطوع.

❖ قال تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا} ². بينت الآية صورة جديدة للتطوع هي: تقديم العون المادي، والمساعدات الغذائية للمساكين والأيتام والأسرى نظير الحصول على الأجر من الله وليس منهم.

❖ قال تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} ³. تبين الآية أن العمل الذي يقوم به الإنسان مهما صغر وقيل سيثاب عليه الفرد.

التطوع في السنة:

لقد اشتملت السيرة النبوية على كثير من المواقف التي تحث على التطوع، منها:

❖ قوله عليه الصلاة والسلام: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: إصلاح ذات البين" ⁴. قدم رسول الله عليه الصلاة والسلام سلوك التطوع المتمثل في "إصلاح ذات البين"، وفضله على عبادتي (الصلاة، والصيام)، رغم أنهما من أركان الإسلام، ولا يكتمل إسلام الفرد بدونهما. وجه التفضيل أنهما عبادتان فرديتان، ولا يجني ثمارهما إلا المتعبد ذاته، أما المساهمة في حل الخلافات تكون آثارها الإيجابية على عموم المجتمع بحلول السلم الاجتماعي.

❖ قال عليه الصلاة والسلام: "من نَفَسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نَفَسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن يَسَّرَ على معسر، يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة. ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" ⁵. بيّن الحديث صوراً أخرى للتطوع، هي: مساعدة الأفراد الذين يعانون من الضائقة، أيًا كان شكلها (مادية، أو معنوية)، وتقديم المساعدة للمعسرين، والستر على الأفراد، وعدم فضحهم والتشهير بهم.

❖ قال عليه الصلاة والسلام: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله" ⁶. في الحديث دعوة إلى نشر ثقافة التطوع بين أفراد المجتمع؛ لتعم الفائدة على كافة جوانب وشرائح المجتمع.

¹ الحشر:9.

² الإنسان:8-9.

³ الزلزلة:7.

⁴ سنن أبو داود:4919.

⁵ صحيح مسلم:2699.

⁶ صحيح مسلم:1893.

❖ قال عليه الصلاة والسلام: "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة. فأفضلها قول لا إله إلا الله. وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"¹. بيّن الحديث صوراً أخرى للتطوع، هي: رفع الأذى عن طريق المارة التي قد تؤذيهم وتعيق حركتهم، كالقيام بحملات تنظيف الشوارع، أو تزيينها، أو تشجيرها، أو إنارتها... إلخ.

من صور التطوع المحمدية والصحابية:

بداية يجب من التنويه أن حياة رسول الله عليه الصلاة والسلام، ومن قبله الأنبياء والرسل الكرام كانت كلها تطوعاً وخدمة لدين الله تعالى (الإسلام)، قال تعالى على لسانهم: {يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي}². فالأنبياء نذروا أنفسهم، وسخّروا كل ما يملكون في سبيل أن ينجو بأمتهم وأتباعهم إلى بر الأمان، ونقلهم من حياة الكفر والضلال إلى حياة الإيمان والهداية، ولا يبتغون من الناس أجراً، إنما ينتظرون الأجر من الله فقط. وبما أن المقام لا يسع للحديث عن التطوع في سيرة الأنبياء عليهم السلام، سأقصر حديثي على نماذج من التطوع في حياة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وصحابته.

لقد كانت جهود النبي عليه الصلاة والسلام التطوعية قبل نبوته، وقبل تحمّل أعباء الرسالة كجهده في حمل حجارة بناء الكعبة³، ومساهمته في بناء مسجدي (قباء، والنبوي)، وحفر الخندق، وإنفاق المال والطعام. لم يكن الأمر مقتصرًا عليه وحده، بل كان يحث صحابته على ذلك. نذكر هنا الموقف التنافسي بين عمر بن الخطاب، وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما أيهما ينفق أكثر؛ ليجيز جيش المسلمين، فأنفق عمر نصف ماله، وأنفق أبو بكر كل ماله⁴، كذلك تجهيز عثمان بن عفان جيش العسرة بأكمله، أضف لذلك عندما آخى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين سعد بن الربيع (الأنصاري)، وعبد الرحمن بن عوف (المهاجر)، وقد بلغ الحد بسعد أن عرض على بن عوف أن يطلق إحدى زوجتيه؛ ليزوجها له، ويقاسمه في أمواله، إلا أن بن عوف أبى، وشكر سعدًا على عرضه⁵. في الحقيقة لا أدري من أيهما أعجب: أمن كرم وسخاء الأنصاري أم من عفة وقناعة بن عوف؟!

أهمية التطوع:

1. يؤدي العمل التطوعي دورًا مكملًا لجهود الحكومة في حل مشكلات المجتمعات المحلية والجماعات المهمشة، ورفع مستوى الخدمات، وتلبية حاجات الأفراد.
2. يتسم العمل التطوعي بالمرونة والسرعة في تقديم الخدمات، فهو يبتعد عن بيروقراطية الإجراءات الحكومية المعقدة التي تعرقل وتؤخر تقديم الخدمة لمستحقيها.
3. قدرة العمل التطوعي على الاستمرارية بغض النظر عن العوائد المادية؛ لأنه لا يسعى إلى الربح المادي، إنما هو يستثمر اجتماعيًا، وهذا الاستثمار يحتاج إلى سنوات عديدة كي يجني ثماره.
4. العمل التطوعي لا يحصر نفسه في شريحة اجتماعية محددة، بل لديه القدرة على التعامل مع كافة شرائح المجتمع: (الأطفال، والشباب، والمسنين، والرجال، والنساء، والأصحاء، والمرضى، والمعاقين... إلخ).

¹ صحيح مسلم:35.

² هود:51.

³ للاطلاع على النص كاملاً انظر: مجمع الزوائد، 292/3.

⁴ للاطلاع على النص كاملاً انظر: سنن أبو داود 1678، سنن الترمذي 3675.

⁵ للاطلاع على نص الرواية كاملة راجع: صحيح البخاري، 2048.

5. يقدم العمل التطوعي خدمات قد لا تقدمها الحكومة، ولا يدخل في نطاق عملها التقليدي، كالمبادرات الشبابية لتنظيف المشردين وتهذيب شعرهم، وتوزيع بطاريات الإنارة على بيوت الفقراء، وتوزيع النظارات الطبية على محتاجيها من المسنين الفقراء، تقديم الخدمات الإسعافية للجرحى في بيوتهم... إلخ.

6. العمل التطوعي المؤسسي نتائجه أفضل من التطوع الفردي، حيث أن الأول يمكنه جمع الجهود المتناثرة وينسق فيما بينها، وينظمها؛ لتكون أكثر فعالية وفائدة.

7. تبادل الخبرات، والمهارات، والمعلومات مع المؤسسات التطوعية الأخرى (داخلية، وخارجية).

8. يجسد العمل التطوعي مفهوم التضامن؛ للحفاظ على تماسك ووحدة المجتمع، وحمايته من التمزق والتفكك.

خصائص التطوع:

❖ يُقْبَل الفرد على التطوع من تلقاء نفسه، أي بدافع ذاتي، دون إكراه أو إجبار من أحد، فهذا يجعله يقبل على العمل بحماس ودافعية، وهذا على خلاف الأعمال الإلزامية التي يعملها كواجب من واجباته، ودفعاً للمسائلة أو العقوبة.

❖ لا ينتظر المتطوع أن يحصل على مردود مادي نظير جهده التطوعي.

❖ يهدف التطوع لإشباع حاجة مجتمعية، أو حل مشكلة اجتماعية، أو تعديل سلوك، أو تغيير عادة اجتماعية سيئة.

❖ يمارس التطوع بجهود قد فردية ذاتية أو مؤسسية.

❖ لا يسعى التطوع إلى تحقيق الربح المادي.

❖ يستند التطوع على قيم إيجابية كالخير، والتعاون، والتكافل، والصدق، والأمانة... إلخ.

❖ للتطوع صور متعددة: قد يكون بالمال، أو الجهد، أو الوقت، أو الاستشارة، أو أكثر من صورة.

شروط نجاح التطوع:

إذا رغبتنا أن ينجح العمل التطوعي لابد من توفر عدة شروط، يمكن إيجازها في النقاط الآتية¹:

1. الإخلاص: إخلاص النية لله، والابتعاد عن الرياء: قال عليه الصلاة والسلام: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"².

2. التخطيط: يعد ركناً أساسياً من أركان العمل الإداري الناجح، فهو يخلص العمل من شوائب الفوضى، والتخبط، والعشوائية، ويحقق أهدافه بأقصر الطرق، وبجهد وتكلفة مادية أقل.

3. تعريف المتطوع بالمؤسسة، وأهدافها، ورسالتها، وبرامجها، والفئات التي تخدمها، والخدمات التي تقدمها، والنطاق الجغرافي الذي تخدمه، وهيكلها الإداري.

4. تعريف المتطوع بمشروع ونشاط التطوع، وأهدافه، ومراحله، ومدته، والفئة المستهدفة.

5. تحديد الصفات التي يجب توافرها في المتطوع بحسب طبيعة المشروع التطوعي، فالمشروع الصحي يحتاج إلى: (طبيب،

¹ بتصرف عن: إبراهيم بن محمد السماعيل، الوسائل النفسية لاستقطاب المتطوعين، مكتبة صيد الفوائد الإلكترونية،

<http://saaaid.net/Anshatah/dole/75.htm>

² صحيح البخاري: 1.

- ممرض، مسعف، فني تحاليل طبية، مثقف صحي... إلخ)، والمشروع الاجتماعي الذي يحتاج إلى: (باحث أو أخصائي اجتماعي)، وهذه تختلف عن المشروع التعليمي، أو النسوي، أو المعاقين، أو المسنين... إلخ.
6. التدريب والتأهيل: يجب إخضاع المتطوع لدورات تدريبية وتأهيلية قبل النزول إلى الميدان؛ حتى يتمكن من تنفيذ عمله بشكل صحيح، ومهنية عالية؛ حتى يؤتي العمل أكله.
7. تعريف المتطوع بطبيعة المجتمع الذي سيتطوع فيه من حيث عاداته وتقاليده وأعرافه الاجتماعية.
8. التأكيد على مهنية العلاقة بين المتطوع والفئة المستهدفة؛ لإبعادها عن الشخصية، والحفاظ على موضوعيتها قدر الإمكان.
9. توفير الموارد المادية اللازمة، فبدونها لا يمكن إنجاز أي عمل.
10. وضع الأنظمة واللوائح التي تنظم العمل التطوعي؛ حتى يعرف المتطوع ما له من حقوق، وما عليه من واجبات، ومركزه داخل المؤسسة؛ منعاً لتداخل الصلاحيات.
11. سيادة العلاقات الإيجابية والحسنة بين المتطوعين؛ لأن ذلك يساهم في استمرارية العمل وحمايته من التصدع.
12. تقديم الشكر والحوافز للمتطوعين على جهودهم، فهذه من شأنها توفير أجواء المنافسة والعطاء أكثر. قال عليه الصلاة والسلام: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله".¹
13. الاهتمام بالجانب الإعلامي الذي يبرز جهود المتطوعين ونتائجها.
14. أن يجد المتطوع الوقت الكافي الذي يقضيه في التطوع؛ لإنجاز ما يكلف به، ويختار من الأعمال ما يوافق تخصصه، ورغباته.
15. نشر ثقافة التطوع في المجتمع من خلال الأنشطة التثقيفية والتوعوية.

دوافع التطوع:

1. الرغبة في تطوير الذات، وتنمية الثقة في النفس.
2. اكتساب المتطوع خبرات، ومهارات، ومعارف جديدة.
3. اكتساب المتطوع علاقات اجتماعية جديدة.
4. شغل وقت فراغ المتطوع بأعمال مفيدة تعود بالنفع عليه، وعلى المجتمع عمومًا.
5. ابتغاء الأجر والثواب من عند الله تعالى.
6. مساعدة الآخرين، والشعور بالمسؤولية الاجتماعية تجاه المجتمع.

معوقات التطوع:

- 1- الشعور بالخجل وفقدان الثقة في النفس مما يصعب على الفرد مواجهة المواقف الاجتماعية المختلفة، فيلجأ إلى الانسحاب الاجتماعي.
- 2- انتشار العادات الاجتماعية الجامدة التي تعرقل الجهود التطوعية، كخوف الناس، - لاسيما المسنين والنساء-، مما هو

¹ الألباني، صحيح الجامع:3014.

جديد، أو خشيتهم من التعاون مع الغرباء، أو اعتقادهم أنه لا جدوى من الأعمال التطوعية... إلخ.

3- ضعف الوعي بمفهوم التطوع، حيث يعتبره البعض مضيعة للوقت.

4- عدم السماح للمتطوعين بالمشاركة في وضع الخطط، وتقديم الاقتراحات، واتخاذ القرارات في المؤسسات، الأمر الذي يخفت من عزيمتهم للاستمرار والعطاء.

5- فرض الضرائب الحكومية على معدات وأجهزة المؤسسات التطوعية.

6- غالبًا لا تتوفر مباني خاصة بالمؤسسات التطوعية، أو توجد أكثر من مؤسسة في شقة واحدة.

7- عدم وضع المتطوع في العمل المناسب الذي يتماشى مع قدراته وميوله واستعداداته.

8- عدم وضوح أهداف ونشاطات المؤسسة.

9- بُعد أماكن التطوع عن أماكن إقامة المتطوعين.

10- سيادة الشللية في المؤسسات التطوعية القائمة على أساس: القرابة، والمناطقية، والحزبية.

11- الضائقة الاقتصادية التي تعاني منها المؤسسات الفلسطينية، أدت لعزوف الشباب عن التطوع.

نتائج التطوع على صعيد الفرد والمجتمع:

1. شعور الفرد بالراحة النفسية والرضا عن ذاته عند قيامه بأي جهد تطوعي.

2. إيمان الفرد بأن جهده الخيري التطوعي يترتب عليه الأجر والثواب من الله تعالى.

3. شعور الفرد بأن التطوع يسهم في تحقيق التماسك والتضامن الاجتماعي.

4. القضاء على الملل والرتابة الناجمة عن أوقات الفراغ، وشغلها بعمل مفيد ونافع.

5. زيادة إحساس الفرد بذاته الفرد وأهميته في المجتمع، وتنمية الثقة في نفسه.

6. تنمية روح التنافس بين الجماعات التطوعية.

التطوع في فلسطين:

أولاً| الجذور التاريخية:

العمل التطوعي ليس غريبًا على المجتمع الفلسطيني، بل له قدم راسخة في المجتمع، وسلوك مرافق للجماهير الفلسطينية، وجزء لا يتجزأ من تركيبة الشخصية الفلسطينية، ومكون من مكونات الثقافة الفلسطينية، وهو انعكاس للحالة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والتعليمية، والأمنية السائدة في المجتمع، حيث يتنافس الفلسطينيون في تقديم خدماتهم التطوعية، التي عرفت سابقًا بـ(العونة) في مواسم قطف الزيتون والحمضيات، وحصاد القمح والشعير، وإحياء المناسبات الاجتماعية، ونصرة المظلوم، وإغاثة المهوف، وإيواء الغريب وذوي الحاجة... إلخ.

إن المتتبع لمسيرة التطوع في فلسطين في العهدين (العثماني، والبريطاني) يجد أنه لم تكن هناك مؤسسات رسمية يمارس من خلالها التطوع، إنما مورس بدافع ذاتي، ولم يكن يوجد ناظم ينظم عملهم، وكان التطوع محصوراً في مجالات البر والإحسان. رغم ذلك وجدت القليل من الجمعيات التي كانت فاعلة خلال العهدين المذكورين، منها¹:

م	الجمعية	المكان	سنة التأسيس
1	الجمعية الأرثوذكسية الفلسطينية	-	1892
2	جمعية الشابات المسيحيات	-	1893
3	جمعية الآداب الزاهرة	القدس	1898
4	الجمعية الإسلامية	القدس	1911
5	النادي العربي، برعاية الحاج أمين الحسيني	القدس	1918
6	الجمعية الإسلامية. المسيحية	القدس، ويافا	1918
7	جمعية الاتحاد النسائي العربي	نابلس	1921
8	جمعية حاملات الطيب	القدس	1924
9	جمعية النهضة النسائية الله	رام الله	1925
10	جمعية الاتحاد النسائي العربي	القدس	1929
11	جمعية السيدات العربيات	القدس	1929
12	جمعية الاتحاد النسائي العربي	رام الله	1939
13	جمعية السيدات لرعاية الطفل	بيت جالا	1944
14	جمعية رعاية الطفل	رام الله	1944
15	جمعية الاتحاد النسائي العربي	بيت لحم	1947

¹ لمزيد من المعلومات انظر: ذياب عيوش، وفيصل الزعنون، الرعاية الاجتماعية، ط2، عمان، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 2008، ص200-

بالنظر إلى الجمعيات السابقة، نلاحظ الآتي:

1. تمركزت غالبية الجمعيات في مدينة القدس.
2. الجمعيات المسيحية كان لها السبق في تقديم خدماتها للمجتمع مقارنة بالجمعيات الإسلامية.
3. أكثر الجمعيات غلب عليها الطابع النسوي، مما يعني أن المرأة الفلسطينية لها إسهامات مبكرة وكبيرة ومتقدمة في العمل التطوعي، وتعتبر عضواً فاعلاً ومنتجاً في المجتمع، ولم يقتصر دورها على العمل التقليدي (الأعمال المنزلية، وتربية الأبناء). بعد نكبة فلسطين سنة 1948م، وقيام ما يسمى بـ"إسرائيل" ظهرت العديد من الجمعيات، تمركز كلها في مدينة القدس أيضاً، منها¹:

م	الجمعية	المكان	سنة التأسيس
1	جمعية دار الطفل العربي	القدس	1948
2	جمعية دار الأولاد	القدس	1948
3	دار الفتاة اللاجئة	القدس	1949
4	جمعية المناضل الجريح	القدس	1949
5	جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني	القدس	1950
6	جمعية روضة الزهور	القدس	1952
7	جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية	القدس	1956
8	ملجأ العجزة	القدس	1957
9	جمعية المعهد العربي	القدس	1957

ثانياً| التطوع في فلسطين من الانتفاضة الأولى حتى الآن:

خلال سنوات الانتفاضة الأولى، التي عرفت بانتفاضة الحجارة (1987-1993م) برز العمل التطوعي في أنقى وأبهى صوره، فقد كان الدور البارز والفاعل للشباب، فهم الدينامو المحرك لفعاليات الانتفاضة المختلفة: (الإضرابات التجارية، والاحتجاجات الشعبية، والمواجهات مع جيش الاحتلال الإسرائيلي، وتنظيم مسيرات دفن الشهداء، والكتابة على الجدران، كوسيلة إعلام في حينه... إلخ)، فقد شكلت الانتفاضة نقلة نوعية في فكرهم، وطريقة تفكيرهم، وثقافتهم، وسلوكهم، وزادت من وعيمهم السياسي والاجتماعي والأمني، ورفعت من درجة إحساسهم بالمسؤولية الاجتماعية، فقادوا المجتمع ممّا غابت المؤسسات الوطنية بسبب الاحتلال، فشكّلوا اللجان الشعبية في المدن، والقرى، والمخيمات؛ لحراسة الناس ليلاً خشية من هجوم جيش الاحتلال أو

¹ لمزيد من المعلومات انظر: المرجع نفسه، ص200-202.

قطعان المستوطنين على البيوت الآمنة والاعتداء على ساكنها وسرقة أمتعتهم، ويهبون لإسعاف الجرحى وانتشالهم من مواضع الاشتباك؛ لئلا يعتقلهم جيش الاحتلال، وتنظيم حملات التبرع بالدم للمصابين، وإيواء المطاردين من الاحتلال في بيوت آمنة، وتنفيذ حملات تنظيف الشوارع والأماكن العامة وتزيينها؛ لإحياء المناسبات الدينية والوطنية، وجمع التبرعات من أموال، وملابس، وطعام، وأدوية وإيصالها للمناطق المحاصرة في فترات منع التجول الطويلة، كانت تمتد لأكثر من شهر أحياناً، عدا ساعتين في الأسبوع؛ لقضاء الحاجات الضرورية، كان الشباب، لاسيما في الريف، يجمعون الخضار من الحقول ويوزعونها بالمجان على سكان المدن والمخيمات، ناهيك عن التضامن بين الأسر، حيث تتقاسم الأسر المتجاورة (الطبخة)، ويوزعون فائض الملابس والأواني على الفقراء، والمحتاجين، والمعسرين.

بعد عودة السلطة الفلسطينية سنة 1993م إلى الأراضي الفلسطينية (الضفة الغربية، وقطاع غزة)، بدأت مرحلة تاريخية جديدة في حياة الفلسطينيين، فمع إنشاء مؤسسات السلطة كان للشباب نصيب فيها من خلال تشكيل وزارة الشباب والرياضة، ثم توالى بعدها تشكيل مجموعات شبابية وكشفية، لكن في الفترة ما بين (1993-2000م)، أي ما بين عودة السلطة الفلسطينية من الخارج حتى اندلاع انتفاضة الأقصى، شهدت تراجعاً ملحوظاً في الدور التطوعي للجمعيات الأهلية والتنظيمات الفلسطينية وأطرها الطلابية في مؤسسات التعليم، عدا المؤسسات التابعة لحركة فتح، باعتبارها الحزب الحاكم. مع انطلاق انتفاضة الأقصى في تاريخ (28/9/2000م) عادت العافية إلى المؤسسات الأهلية والتنظيمات الفلسطينية فمارست جهودها المجتمعية بشكل أقوى في كل الميادين؛ لمواجهة ما يتعرض له الشعب من حصار ودمار من قبل الاحتلال، ويمكن حصر المؤسسات التي يمارس من خلالها التطوع، في أربع نواحي، هي:

❖ الجمعيات الخيرية التي تقدم خدماتها لشرائح مختلفة في المجتمع.

❖ المؤسسات الدينية التابعة للكنائس.

❖ لجان الزكاة التابعة لوزارة الأوقاف.

❖ اللجان الشعبية والمبادرات الشبابية.

ثالثاً | مجالات التطوع في فلسطين:

❖ رعاية المسنين.

❖ رعاية المعاقين.

❖ الشباب.

❖ المرأة.

❖ التدريب والتأهيل.

❖ رعاية الأحداث.

❖ رعاية الأيتام.

❖ مساعدة الفقراء.

❖ رياض الأطفال.

❖ محو الأمية.

❖ المشاريع الإنتاجية.

على الرغم مما كتب سابقًا عن نضارة وروعة التطوع في فلسطين، إلا أنه يشهد تراجعًا حادًا بسبب الشعور بالإحباط واليأس، والتدمير من الوضع الداخلي الممزق، وتفسخ العلاقات الاجتماعية، وشلل الحياة الاقتصادية، وغلبة الطابع الحزبي على كافة نواحي الحياة، وعدم إعطاء الفرصة الكافية للمتطوعين للتعبير عن أفكارهم وطموحاتهم، فضلًا عن استغلالهم.

رابعًا | التنظيمات الفلسطينية والعمل التطوعي:

أغلب التنظيمات الفلسطينية، تحديدًا الرئيسية منها: (فتح، وحماس، والجهاد الإسلامي، والجهبة الشعبية، والجهبة الديمقراطية) لها مؤسسات اجتماعية فاعلة في المجتمع، تنفذ برامج وأنشطة اجتماعية، وصحية، وتعليمية، وثقافية، وسياسية؛ تحقيقًا لأكثر من هدف، منها:

أ. التخفيف من الضائقة الاقتصادية التي يمر فيها المجتمع الفلسطيني.

ب. حشد أكبر عدد من المناصرين؛ لزيادة قاعدتها الجماهيرية.

ج. القيام بدور مكمل لدور المؤسسات الحكومية في تقديم الخدمات الاجتماعية، والصحية، والثقافية.

بما أن التنظيمات السياسية تعد واحدة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية والسياسية التي تغرس في الناشئة الفكر، والثقافة، وأنماط السلوك، فهي بشكل أو بآخر تنمي سلوك التطوع في أبنائها وأنصارها، لكنه ليس بالمعنى البريء الطاهر النقي، إنما في صورته التنظيمية الضيقة. وعليه، فإن المؤسسات التابعة للتنظيمات السياسية هي انعكاس للحالة السياسية في المجتمع، ويمكن ملاحظة ذلك دون عناء، كيف انعكس الانقسام (2007 إلى الآن) على كافة نواحي الحياة، بما فيها التطوع، حيث وظف التطوع في الصراعات التنظيمية بين حركتي (فتح، وحماس)، فبدلًا من العمل لصالح فلسطين والفئات المهمشة، صار العمل لصالح التنظيم السياسي، وتغذية التعصب الحزبي والانغلاق الفكري، وتعميق الانقسام السياسي والاجتماعي، فحرف التطوع عن جوهره. لذا، المجتمع بحاجة ملحة لتكثيف الجهود لإتمام المصالحة المجتمعية والنفسية قبل المصالحة السياسية، ولا يمكن للمصالحة السياسية أن تنجح ما لم تتحقق المصالحة النفسية والمجتمعية.

خامسًا | إسهامات التطوع في تنمية المجتمع الفلسطيني:

1. يعد العمل التطوعي دعوة مفتوحة لكل مكونات المجتمع الفلسطيني (أفراد، وجماعات، ومؤسسات)، وليس حكرًا على جهة بعينها؛ من أجل أن يسهم كل حسب جهده وإمكانياته (الجسدية، والعقلية، والمالية، والمعرفية، والمهنية).

2. يسهم التطوع في التصدي للأفكار الضالة والمنحرفة التي يحاول أعداء المجتمع (الداخليين، والخارجيين) ترويجها بهدف زعزعة أمن واستقرار المجتمع، والعمل على كشفها، ومحاربتها.

3. يسهم التطوع في تعميق الحس الوطني، وتقوية شعور الانتماء إلى المجتمع من خلال تنفيذ أنشطة تعزز في الأفراد روح الانتماء لدينهم، ووطنهم، وثقافتهم، وتاريخهم، لاسيما في وقت انتشرت فيه ثقافة العولمة المادية التي تسعى إلى سلخ الأفراد عن مجتمعاتهم، وثقافتهم، وواقعهم.

4. يسهم التطوع في تنمية القدرات المعرفية، والحياتية، والمهارية للمتطوعين من خلال الدورات التدريبية والتأهيلية، والأنشطة التطوعية.

5. يسهم التطوع في تعريف المتطوعين بمشكلات المجتمع، ويستثير طاقتهم وإمكانياتهم للمساهمة في وضع حلول لها أو التخفيف من حدتها بما يملكونه من أفكار، وتصورات، ومعلومات.
6. يسهم التطوع في استغلال أوقات الفراغ في أعمال تعود بالفائدة على المتطوع والمجتمع.
7. يسهم التطوع في مساندة المؤسسات الحكومية فيما يتعلق بخدمات الرعاية الاجتماعية.
8. يعتبر التطوع علامة من علامات تطور المجتمعات وتقدمها.

الدراسات السابقة

❖ العمل التطوعي في المجتمع المدني: دراسة لدور المرأة التطوعي في محافظة جدة بالمملكة العربية السعودية¹.

هدف البحث للتعرف على دور المرأة التطوعي، اختيرت العينة من المتطوعات في مؤسسات المجتمع المدني في مدينة جدة، بلغ عددها ثلاثمائة وسبع وسبعين متطوعة. استخدمت الباحثة منهج تحليل المضمون، وأداة: الاستبيان. أهم نتائج الدراسة: أكثر المتطوعات من الفئة العمرية (20-29) سنة، وأكثرهن من: (المتزوجات، والمتعلمات)، و(77.5%) جامعات، ورتبت مجالات التطوع كالآتي: (الخييري العام، ومؤسسات الشباب، والديني، والطبي، والطفولة، والاجتماعي)، و(80.6%) لم يتلقين التدريب قبل نزولهن للتطوع، والدافع الرئيسي للتطوع هو: ابتغاء الأجر والثواب، (92.6%) اعتبرن التطوع يسهم في التنمية الاجتماعية، والتطوع أكسبهن مهارات وخبرات جديدة.

❖ عزوف الشباب عن العمل التطوعي في الجهات الخيرية في منطقة الباحة من وجهة نظر القائمين عليها².

هدف البحث للتعرف على: العلاقة بين انخراط الشباب في العمل التطوعي ومتغيرات: (الجنس، والعمر، والمؤهل العلمي). اختيرت العينة بطريقة عمدية، تكونت من ثلاثين شخصاً من: الرؤساء، والإداريين، وأمناء الصناديق الذين يعملون في المؤسسات الاجتماعية في منطقة الباحة، استخدم المنهجان: (الوصفي، والإحصائي)، وأداة الاستبيان. أهم نتائج الدراسة: تنوع مجالات التطوع الخاصة بالرجال، وأعداد المتطوعين من الرجال تفوق أعداد المتطوعات من النساء، ولا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين التطوع والمؤهل العلمي.

❖ اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي³.

هدف البحث للكشف عن: اتجاهات الشباب الجامعي نحو ممارسة العمل التطوعي، وماهية الأعمال التطوعية التي يرغبون في ممارستها، وتحديد معوقات التطوع. استخدم المنهج الوصفي، والمسح الاجتماعي بالعينة، حيث بلغ مجموع العينة (373) من طلبة جامعة الملك سعود، وقد اختيرت بطريقة عشوائية طبقية، واستخدم أداة الاستبيان.

أهم نتائج الدراسة: متوسط مشاركة الشباب في العمل التطوعي ضعيفة جداً، واتجاهات الشباب إيجابية نحو التطوع، أكثر مجالات التطوع ممارسة بالترتيب: (مساعدة الفقراء والمحتاجين، وزيارة المرضى، والمشاركة في الإغاثة الإنسانية، ورعاية

¹ سعاد عبود بن عفيف، العمل التطوعي في المجتمع المدني: دراسة لدور المرأة التطوعي في محافظة جدة بالمملكة العربية السعودية، أطروحة دكتوراه، قسم الاجتماع، جامعة الملك بن عبد العزيز، 2008.

² فايق سعيد علي الضرمان، عزوف الشباب عن العمل التطوعي في الجهات الخيرية في منطقة الباحة من وجهة نظر القائمين عليها، دن، 1428هـ.

³ فهد سلطان السلطان، اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي. دراسة تطبيقية على جامعة الملك سعود، مجلة رسالة الخليج،

المعاقين، والمحافظة على البيئة، ومكافحة المخدرات والتدخين)، وأقل المجالات مشاركة: (الدفاع المدني، وتقديم العون للنوادي الرياضية، ورعاية الأطفال). من فوائد التطوع: (اكتساب مهارات جديدة، وزيادة الخبرة، وشغل وقت الفراغ في أمور مفيدة، وخدمة المجتمع، والثقة بالنفس، وتنمية الشخصية الاجتماعية). ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات الشباب نحو العمل التطوعي تبعاً لمتغيري: (التخصص، والكلية).

❖ العمل التطوعي وقيم المواطنة لدى الشباب السعودي¹.

هدف البحث للتعرف على: الواقع الاجتماعي للتطوع عند الشباب السعودي، وأنواع المبادرات التطوعية التي يشارك فيها الشباب، ودوافع التطوع. استخدم منهج المسح بالعينة على المتطوعين في المراكز والمبادرات التطوعية الذين تتراوح أعمارهم بين (15-30 سنة)، في ثلاث مناطق، هي: (الرياض، ومكة، والشرقية)، بلغ إجمالي العينة (109) متطوعاً ومتطوعة. وقد صممتا الباحثتان استبياناً إلكترونيًا وزع على مواقع التواصل الاجتماعي لمدة أسبوع.

أهم نتائج البحث: (82.6%) من المتطوعين من طلبة الجامعات وحديثي عهد بالتخرج، والتطوع عند الإناث أعلى من الذكور حيث بلغت عندهن (70.6%)، و(52.3%) مارسوا التطوع من خلال مراكز تطوعية، (24.8%) تطوعوا من خلال مبادرات جامعية. أما دوافع التطوع كانت بالترتيب الآتي: (ابتغاء الأجر والثواب، ومساعدة الآخرين، وتنمية القدرات، وتطوير الذات).

❖ ثقافة العمل التطوعي لدى طلبة كلية التربية الأساسية بدولة الكويت².

هدف البحث للتعرف على: أشكال ومجالات العمل التطوعي، وواقع التطوع لدى طلبة كلية التربية، والعلاقة بين التطوع ومتغيرات: (الجنس، والسنة الدراسية، والمشاركة في الأعمال التطوعية). استخدم المنهج الوصفي، وأداة الاستبيان، بلغ مجموع العينة (750) طالباً وطالبة من كلية التربية من العام الجامعي (2014-2015م)، وقد اختيرت بطريقة عشوائية طبقية.

أهم النتائج: مفهوم التطوع من وجهة نظر الطلاب هو: "المساعدة في تنمية المجتمع الكويتي"، وأبرز معوقات التطوع، هي: (الانشغال بالدراسة، وعدم وجود القدوة تمارس التطوع، وقلة العمل التطوعي داخل الجامعة، صعوبة التوفيق بين التطوع والدراسة)، وآليات تعزيز التطوع، هي: (تكريم الرموز المتطوعة، وتوضيح قيمة التطوع الإسلامية، وإقامة الندوات التوعوية للتطوع، وتوضيح العلاقة بين التطوع ونهضة المجتمع)، والتطوع عند الإناث أكثر من الذكور، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التطوع ومتغيري: (العمل التطوعي، والسنة الدراسية).

❖ الشباب والعمل التطوعي في فلسطين³.

هدفت الدراسة إلى: بلورة رؤية حول واقع التطوع في فلسطين، وتقييمه، والإطلاع على التشريعات الفلسطينية التي تنظمه، والتعرف على ما تحتاجه هذه التشريعات من تعديلات؛ لسد الفجوة بين ما هو قائم وما هو مأمول. استخدم الباحث المناهج: (التاريخي، والوصفي التحليلي، والمقارن). أما الأدوات، هي: (الكتب، والدوريات، والإنترنت، والصحف، والنصوص القانونية، والوثائق، والمقابلات مع ذوي الاختصاص). وتمثلت العينة في المؤسسات الشبابية.

¹ أمينة بنت أحمد الزير، ومشاعل بنت فهد المقبل، العمل التطوعي وقيم المواطنة لدى الشباب السعودي. دراسة ميدانية مطبقة على عينة من المتطوعين في المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، 1436هـ.

² جاسم علي الكندري، ثقافة العمل التطوعي لدى طلبة كلية التربية الأساسية بدولة الكويت. دراسة ميدانية، مجلة العلوم التربوية، العدد 1، ج 1، يناير 2016، ص 158-189.

³ عمر رحال، الشباب والعمل التطوعي في فلسطين، رام الله، مؤسسة الحياة للإغاثة والتنمية، 2006.

أهم نتائج الدراسة: تراجع الإقبال على العمل التطوعي في فلسطين بدرجة كبيرة مع تشكيل السلطة الوطنية الفلسطينية، وينظر إلى العمل التطوعي أنه من اختصاص قوى اليسار، وانعكس ضعف الوضع الاقتصادي على ضعف نسبة التطوع في المجتمع، وضعف الوعي الاجتماعي بمفهوم التطوع، وعدم وجود برامج تعريفية بالأنشطة التطوعية، ولا يشارك المتطوعون في القرارات داخل المؤسسات التطوعية، وقلة البرامج التدريبية التي يخضع لها المتطوعون.

❖ اتجاهات الشباب نحو العمل التطوعي في المؤسسات الأهلية¹.

هدف الدراسة إلى: التعرف على اتجاهات الشباب الفلسطيني نحو المشاركة في برامج العمل التطوعي في المؤسسات الأهلية، وفوائد التطوع، ومجالاته. استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وصممت مقياس لقياس اتجاهات الشباب نحو العمل التطوعي، واختارت العينة البالغ عددها (600) طالبًا وطالبة من أربع جامعات، هي: (الأقصى، والإسلامية، والأزهر، والقدس المفتوحة).

أهم نتائج الدراسة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى اتجاهات الشباب نحو العمل التطوعي في المؤسسات الأهلية تبعًا لمتغيري: (النوع الاجتماعي، ومكان الإقامة). وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى اتجاهات الشباب نحو العمل التطوعي في المؤسسات الأهلية تبعًا لمتغيري: (الجامعة، والمستوى الدراسي).

❖ اتجاهات الطلبة نحو العمل التطوعي في جامعات محافظات غزة وسبل تفعيله في ضوء بعض المتغيرات².

هدف البحث للتعرف على: اتجاهات الطلبة في الجامعات الفلسطينية نحو العمل التطوعي، والكشف عن علاقة العمل التطوعي بمتغيرات: (الجنس، والكلية، والجامعة)، واقتراح سبل تفعيل العمل التطوعي لدى الطلبة. استخدم المنهج الوصفي المسحي، وأداة الاستبيان، وبلغ مجموع العينة (309) طالبة وطالبة من جامعتي: (الأقصى، والإسلامية) للفصل الدراسي الثاني (2012-2013م)، وقد اختيرت العينة بطريقة عشوائية طبقية.

أهم نتائج البحث: (44.63%) لديهم الرغبة في المشاركة بالعمل التطوعي، و(37.20%) مارسوا العمل التطوعي، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات الطلبة نحو العمل التطوعي تبعًا لمتغيرات: (الجنس، والكلية، والجامعة).

تعقيب على الدراسات السابقة:

التقت الدراسات السابقة مع دراستنا في التعرف على: التطوع، ودوافعه، ومجالاته، وفوائده، ومعوقاته، وأسباب تفضيل مجال تطوعي على غيره، ومقترحات تجويده. أغلبها استخدمت المنهج الوصفي، وأداة الاستبيان، والعينة العشوائية. قليل من استخدم مناهج أخرى كالمسح بالعينة، والتاريخي، والتحليلي. النتائج التي اتفقت فيها جميع الدراسات: من فوائد التطوع: يسهم في تنمية المجتمع، ويكسب المتطوع مهارات جديدة، وزيادة الخبرة، وشغل وقت الفراغ، وعدم وجود علاقة بين التطوع والجنس، والكلية، والمستوى الدراسي، والجامعة. دوافع التطوع: ابتغاء الأجر والثواب، تنمية القدرات، وتطوير الذات، ومساعدة الآخرين. معوقات التطوع: ضعف الاهتمام بالتطوع، عدم وجود برامج تدريبية للمتطوعين، عدم تكريم الرموز التطوعية.

¹ سحر خضر محمود درويش، اتجاهات الشباب نحو العمل التطوعي في المؤسسات الأهلية. دراسة حالة الشباب في محافظات قطاع غزة 1994-2009، رسالة ماجستير، كلية الآداب، برنامج دراسات الشرق الأوسط، جامعة الأزهر، 2015.

² سليمان حسين موسى المزين، اتجاهات الطلبة نحو العمل التطوعي في جامعات محافظات غزة وسبل تفعيله في ضوء بعض المتغيرات، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، مج4، عدد16، تشرين الأول 2016، ص323-360.

مناهج الدراسة:

1. الوصفي: استخدمه الباحث لوصف سلوك التطوع.
2. المنهج الإحصائي: استخدمه الباحث من خلال تحليل البيانات "يدويًا"، التي جمعها من العينة، والاسترشاد بالمعطيات الإحصائية التي نشرت في الدراسات السابقة، والنشرات الرسمية، والدوريات العلمية.

أدوات الدراسة:

1. الاستبيان: صمم الباحث استبياناً حول موضوع البحث، ووزعه على العينة.

الدراسة الميدانية والتحليل السوسولوجي

أولاً | البيانات الأولية:

جدول رقم (1) العمر

النسبة	التكرار	الفئة العمرية
30%	9	20-18
46.6%	14	23-21
23.3%	7	24 فأكثر
99.9%	30	المجموع

يتضح من الجدول أن نسبة الطلاب الذين يقعون في الفئة العمرية (20-18) سنة (30%)، والفئة العمرية (23-21) سنة (46.6%)، والفئة العمرية (24) سنة فأكثر (23.3%). وعليه، فإن النسبة الأكبر يقعون في الفئة العمرية (23-18) سنة، وأقلها في الفئة (24 سنة فأكثر). هذه نتيجة طبيعية ومتوقعة إذ يدخل المتعلم الجامعة في الثامنة عشر، ويتوقع تخرجه بين الحادية والعشرين والثالثة والعشرين بحسب التخصص الذي التحق به.

جدول رقم (2) الحالة الاجتماعية

النسبة	التكرار	الحالة الاجتماعية
76.6%	23	أعزب
23.3%	7	متزوج
0	0	مطلق
0	0	أرمل
99.9%	30	المجموع

يتضح من الجدول أن نسبة العزاب (76.6%)، والمتزوجين (23.3%)، ولا توجد أية حالات تذكّر للمطلقين، أو الأرامل. فأعلى نسبة من العزاب؛ لأن الطلاب في هذه المرحلة منشغلين بالدراسة، ولا يتوفر لهم عمل يعتمدون عليه لتوفير نفقات زواجهم.

جدول رقم (3): المستوى الجامعي

النسبة	التكرار	المستوى الجامعي
6.6%	2	الأول
23.3%	7	الثاني
26.6%	8	الثالث
43.3%	13	الرابع
99.8%	30	المجموع

يتضح من الجدول أن نسبة طلاب المستوى الأول (6.6%)، والمستوى الثاني (23.3%)، والمستوى الثالث (26.6%)، والمستوى الرابع (43.3%). وعليه، فإن أعلى نسبة عند طلاب المستوى الرابع، وأدناها عند طلاب المستوى الأول، هذا الدنو راجع لعدم معرفة الطلاب بالأطر الطلابية ولا عناوينها؛ لحدائثة وجودهم في الجامعة.

جدول رقم (4): الكلية

النسبة	التكرار	الكلية
6.6%	2	الأداب والعلوم الإنسانية
40%	12	التربية
6.6%	2	العلوم التطبيقية
6.6%	2	الإعلام
6.6%	2	الفنون الجميلة
6.6%	2	التربية البدنية والرياضية
20%	6	العلوم الإدارية
6.6%	2	لم يجب
99.6%	30	المجموع

يتضح من الجدول أن نسبة طلاب كليات: (الأدب والعلوم الإنسانية، والعلوم التطبيقية، والإعلام، والفنون الجميلة، والتربية البدنية والرياضية) بلغت (6.6%)، وطلاب كلية التربية (40%)، ويوجد (6.6%) لم يبينوا الكلية التي ينتسبون إليها. وعليه، فإن النسبة الأكبر من العينة من طلبة كلية التربية بتخصصاتها المتنوعة.

ثانيًا | العمل التطوعي:

جدول رقم (5): هل شاركت في أي عمل تطوعي؟

النسبة	التكرار	
93.3%	28	نعم
6.6%	2	لا
99.9%	30	المجموع

يتضح من الجدول أن الذين نسبة المشاركين في التطوع بلغت (93.3%)، وغير المشاركين (6.6%).

الغالبية العظمى من الطلبة لهم إسهامات تطوعية، وهذا يعطي مؤشرًا إيجابيًا حول واقع التطوع في أوساط الشباب الفلسطينيين، فهم من الأوتاد الرئيسية التي يستند عليها التطوع. هذه النتيجة تختلف مع دراسات: (رجال، والسلطان، والمزين) اللواتي أشرن لضعف إقبال الشباب على التطوع.

جدول رقم (6): طبيعة العمل التطوعي

النسبة	التكرار	طبيعة العمل التطوعي
10%	3	فردى
6.6%	2	مؤسسى
83.3%	25	تنظيى
99.9%	30	المجموع

يتضح من الجدول أن نسبة التطوع الفردي بلغت (10%)، والمؤسسى (6.6%)، والتنظيى (83.3%).

غالبية الطلاب تطوعوا من خلال التنظيم السياسى الذى ينتمون إليه، وهذا يعكس الدور الاجتماعى للتنظيمات السياسية فى المجتمع إلى جانب دورهم السياسى من جهة، كما يعكس ضعف دور مؤسسات المجتمع المدنى فى تعزيز وتعميق الحس التطوعى لدى الشباب من جهة أخرى. هذه النتيجة تختلف مع دراسة "الزير" التى توصلت إلى أن أكثر من نصف العينة تطوعوا فى مؤسسات.

جدول رقم (7): عدد سنوات العمل التطوعي

النسبة	التكرار	سنوات التطوع
30%	9	أقل من سنة
46.6%	14	1-2 سنة
13.3%	4	3-4 سنة
10%	3	5 فأكثر
99.9%	30	المجموع

يتضح من الجدول أن نسبة الذين لهم إسهامات تطوعية لأقل من سنة بلغت (30%)، و(2-1) سنة (46.6%)، و(3-4) سنوات (13.3%)، وخمس سنوات فأكثر (10%). وعليه فإن أعلى نسبة عند المتطوعين من سنتين فأقل، وأدناها عند خمس سنوات فأكثر. ربما هذا راجع لانشغال الطلاب في الدراسة، ولا يوجد لديهم الوقت الكافي للتطوع، أو عدم قدرتهم على الموازنة بين الدراسة والتطوع، أو عدم معرفتهم بالمؤسسات الاجتماعية التي تقوم على التطوع.

جدول رقم (8): مجالات التطوع (متعدد الاختيارات)

النسبة	التكرار	مجالات التطوع
40%	12	توزيع المساعدات المالية على الطلاب
43.3%	13	توزيع الكتب والملامز الدراسية على الطلاب
43.3%	13	المشاركة في إقامة المخيمات الصيفية
53.3%	16	المشاركة في الرحلات الترفيهية، وحفلات السمر
50%	15	تنظيم المسابقات الثقافية
36.6%	11	تنظيم الدورات التثقيفية، والمحاضرات العلمية
43.3%	13	التنظيم الحركي
30%	9	كتابة مقالات في نشرات الرابطة الإسلامية
36.6%	11	توزيع المواد الإعلامية الخاصة بالرابطة الإسلامية
50%	15	المساهمة في تنظيم المهرجانات والاحتفالات التي تنظمها الرابطة الإسلامية
43.3%	13	المشاركة في الزيارات الاجتماعية التي تنظمها الرابطة الإسلامية
33.3%	10	جمع التبرعات وتوزيعها على المحتاجين
40%	12	تمثيل الرابطة الإسلامية في الفعاليات والمؤسسات المحلية

يوضح الجدول مجالات التطوع، فكانت على النحو الآتي: توزيع المساعدات المالية على الطلاب (40%)، وتوزيع الكتب والملامز الدراسية على الطلاب (43.3%)، والمشاركة في إقامة المخيمات الصيفية (43.3%)، والمشاركة في الرحلات الترفيهية وحفلات السمر (53.3%)، وتنظيم المسابقات الثقافية (50%)، وتنظيم الدورات التثقيفية والمحاضرات العلمية (36.6%)، والتنظيم الحركي (43.3%)، وكتابة المقالات في نشرات الرابطة الإسلامية (30%)، وتوزيع المواد الإعلامية الخاصة بالرابطة الإسلامية (36.6%)، والمساهمة في تنظيم المهرجانات والاحتفالات التي تنظمها الرابطة الإسلامية (50%)، والمشاركات في الزيارات

الاجتماعية التي تنظمها الرابطة الإسلامية (43.3%)، وجمع التبرعات وتوزيعها على المحتاجين (33.3%)، وتمثيل الرابطة الإسلامية في الفعاليات والمؤسسات المحلية (40%).

أكثر مجالات التطوع ممارسة عند الطلاب الترفيهية والثقافية، ممثلة في: (الرحلات الترفيهية، وحفلات السمر، والمسابقات الثقافية، والمهرجانات والاحتفالات التي تقيمها الرابطة الإسلامية).

الجدير بالذكر، الجانب الترفيهي هو أكثر شيء يفتقده الأطفال والشباب في المجتمع الغزي؛ نظراً لغياب: الحدائق والمنتزهات والملاعب العامة عن تخطيط البلديات المحلية، بالتالي لا يوجد أماكن عامة يلجئون إليها للترفيه عن أنفسهم، خاصة مع كثرة الضغوط النفسية والحياتية التي تحيط بهم من كل جانب، مثل: (انقطاع التيار الكهربائي يومياً لمدة تزيد عن اثني عشر ساعة متواصلة، والحصار الاقتصادي، وارتفاع معدلات البطالة والفقر، وغلاء رسوم الاشتراك في الملاعب والأندية الخاصة، وانعدام أفق مستقبل مشرق). فتجد الشباب يسارعون للمشاركة في الأنشطة الترفيهية هذا من ناحية، من ناحية أخرى تستثمر الأطر الطلابية تلك الأنشطة؛ لاستقطاب عناصر جدد إلى صفوفها.

أقل مجالات التطوع ممارسة، هي: (جمع التبرعات وتوزيعها على المحتاجين، وكتابة المقالات في نشرات الرابطة الإسلامية). هذا يلفت انتباهنا إلى واقع خطير يعاني منه الطلاب في مؤسسات التعليم المختلفة، وهو: عدم الرغبة في (الكتابة، أو القراءة، أو المطالعة). يعود ذلك لعدة أسباب، أهمها: عدم اهتمام مؤسسات التنشئة الاجتماعية عموماً، والأسرة والمدرسة خصوصاً بتسمية مهارات القراءة والكتابة عند الطلاب منذ الصغر. أما ما يتعلق بتدني جمع التبرعات وتوزيعها على مستحقيها هذا راجع إلى ضعف المستوى الاقتصادي للطلاب، فأغلبهم يأخذ مصروفه من والده، وبالكاد يكفي أموره الشخصية، بالتالي فإن جهود الإنفاق ضئيلة. هذه النتيجة تتفق مع دراسة (رحال) التي بينت انعكاس الوضع الاقتصادي السيئ على التطوع.

جدول رقم (9): سبب تفضيلك لنشاط تطوعي على آخر (متعدد الاختيارات)

النسبة	التكرار	العبارة
53.3%	16	تحقيق أهداف الرابطة الإسلامية
50%	15	تنفيذ أنشطة الرابطة الإسلامية
50%	15	تشجيع الأصدقاء لي للمشاركة في النشاط التطوعي
6.6%	2	هذا النشاط يناسب تخصصي
26.6%	8	وجود أفراد من أسرتي وأقاربي في هذا النشاط

يتضح من الجدول أن نسبة تحقيق أهداف الرابطة الإسلامية بلغت (53.3%)، وتنفيذ أنشطة الرابطة الإسلامية (50%)، وتشجيع الأصدقاء لي للمشاركة في النشاط التطوعي (50%)، وهذا النشاط يناسب تخصصي (6.6%)، وجود أفراد من أسرتي وأقاربي في النشاط (26.6%).

أول ثلاثة أسباب لتفضيل الطلاب نشاط تطوعي على غيره، هي: (تحقيق أهداف الرابطة الإسلامية، وتنفيذ أنشطتها، وتشجيع الأصدقاء للمشاركة في التطوع). تعكس هذه الأسباب مدى تأثير التنشئة التنظيمية على سلوك، وفكر، واتجاهات الأفراد التي

تغلب المصلحة التنظيمية على أية مصالح أخرى، كما يتضح أن أغلب الجهود التطوعية هي بتحريك من الإطار الطلابي للتنظيم السياسي، وليست نابعة من ذات الفرد، ويوجد طلاب تطوعوا بناء على دعوة أصدقائهم وليس بناء على رغبتهم الذاتية، هؤلاء الأصدقاء منتمين لتنظيم ما، فهم بدعوتهم هذه يستقطبون طلبة جدد.

أما أقل النسب كانت عند (النشاط يناسب تخصص المتعلم الجامعي). هذا الضعف طبيعي طالما التطوع يكون في إطار تنظيم سياسي، ولتحقيق أهدافه، بالتالي لا توجد مساحة للتخصص العلمي والرغبة الذاتية في الأنشطة التطوعية.

جدول رقم (10):دوافع اختيارك للعمل التطوعي (متعدد الاختيارات)

النسبة	التكرار	دوافع التطوع
73.3%	22	ابتغاء الأجر والثواب
20%	6	الحصول على مكافئة مالية
63.3%	19	الرغبة في مساعدة الآخرين
63.3%	19	شعور الرضا النفسي
26.6%	8	شغل وقت الفراغ
40%	12	اكتساب الخبرة والمهارات
33.3%	10	التعرف على زملاء جدد

يوضح الجدول دوافع التطوع، فكانت على النحو الآتي: ابتغاء الأجر والثواب (73.3%)، والحصول على مكافئة مالية (20%)، والرغبة في مساعدة الآخرين (63.3%)، وشعور الرضا النفسي (63.3%)، وشغل وقت الفراغ (26.6%)، واكتساب الخبرة والمهارات (40%)، والتعرف على زملاء جدد (33.3%).

أعلى ثلاثة دوافع للتطوع، هي: (ابتغاء الأجر والثواب، والرغبة في مساعدة الآخرين، وشعور الرضا النفسي). يعود هذا الأمر في المقام الأول إلى التنشئة الدينية التي يتعرض لها الطلاب في تنظيمهم ذي الأيديولوجية الإسلامية، ولزعة الخير في المجتمع الفلسطيني التي تحث على مساعدة الآخرين دون انتظار مقابل. كما تبين أن المتطوع يشعر بالرضا عن نفسه كونه قدم خيراً للآخرين. تتفق هذه النتيجة مع دراستي: (الزير، وعفيف) حيث كان: (ابتغاء الأجر، ومساعدة الآخرين) في مقدمة الدوافع. أما أقل دوافع التطوع، هي: (شغل وقت الفراغ، والحصول على مكافئة مالية). هؤلاء لا يدركون جوهر العمل التطوعي.

جدول رقم (11): معوقات التطوع من وجهة نظر (متعدد الاختيارات)

النسبة	التكرار	معوقات التطوع
36.6%	11	الخجل من مواجهة المواقف الاجتماعية
26.6%	8	ضعف الثقة في النفس
16.6%	5	الخوف من الفشل في إنجاز المهام الموكلة لي
33.3%	10	ضعف الانتماء للمجتمع
40%	12	التعارض بين أوقات التطوع والتزاماتي
30%	9	غياب الأنشطة الابتكارية
16.6%	5	عدم تنظيم العمل
33.3%	10	عدم وضوح أدوار المتطوعين
23.3%	7	غلبة العلاقات الشخصية في توزيع الأنشطة والخدمات على المستفيدين
30%	9	عدم بث روح التطوع في النفوس
36.6%	11	تدني وعي الطلاب بالعمل التطوعي
30%	9	عدم اهتمام الإعلام بتوعية الناس بالعمل التطوعي
33.3%	10	قلة البرامج التدريبية الخاصة بالتطوع
23.3%	7	اعتقاد البعض أن التطوع مضيعة للوقت
30%	9	عدم وضع المتطوع في العمل المناسب لقدراته وميوله

يوضح الجدول معوقات التطوع من وجهة نظر الطلاب، فكانت على النحو الآتي: الخجل من مواجهة المواقف الاجتماعية (36.6%)، وضعف الثقة في النفس (26.6%)، والخوف من الفشل في إنجاز المهام الموكلة لي (16.6%)، وضعف الانتماء للمجتمع (33.3%)، والتعارض بين أوقات التطوع والتزاماتي (40%)، وغياب الأنشطة الابتكارية (30%)، وعدم تنظيم العمل (16.6%)، وعدم وضوح أدوار المتطوعين (33.3%)، وغلبة العلاقات الشخصية في توزيع الأنشطة والخدمات على المستفيدين (23.3%)، وعدم بث روح التطوع في النفوس (30%)، وتدني وعي الطلاب بالعمل التطوعي (30%)، وقلة البرامج التدريبية

الخاصة بالتطوع (33.3%)، واعتقاد البعض أن التطوع مضيعة للوقت (23.3%)، وعدم وضع المتطوع في العمل المناسب لقدراته وميوله (30%).

وعليه، فإن أبرز معوقات التطوع، هي: التعارض بين أوقات التطوع والتزامات المتطوع، والخجل، وتدني وعي الطلاب بالتطوع، وضعف الشعور بالانتماء للمجتمع، وقلة البرامج التدريبية للمتطوعين، وعدم وضوح أدوار المتطوعين. تتفق هذه النتيجة مع دراسة (الكندري) التي بينت من معوقات التطوع: الانشغال بالدراسة، وصعوبة التوفيق بين التطوع والدراسة.

لكي يؤتي التطوع ثماره لابد من التنسيق بين التزامات المتطوع وأوقات التطوع. في حالة الطلاب يجب ألا يؤثر التطوع على تحصيلهم الدراسي، ولا يكون على حساب محاضراتهم وامتحاناتهم... إلخ. وهناك تدني في وعي الطلاب بمفهوم ومجالات التطوع؛ لعدم توعيتهم بالتطوع، واقتصارها على المؤطرين فقط، وحتى المؤطرين يمارسون أنشطة تطوعية تنظيمية فقط، ليس لها طابع مجتمعي عام، هذه تتفق مع دراسة (رحال).

أقل معوقات التطوع، هي: (الخوف من الفشل، وعدم تنظيم العمل، وغلبة العلاقات الشخصية في توزيع الأنشطة والخدمات على المستفيدين، واعتقاد البعض أن التطوع مضيعة للوقت). هذا الخوف راجع إلى خلل في التنشئة الأسرية والمدرسية اللتان لم تعودا الطلاب على تحمل المسؤولية ومواجهة المواقف الاجتماعية منذ الصغر، فقد كبر هذا الخوف فأصبح ملازمًا لشخصياتهم، في حين التطوع يحتاج إلى شبكة واسعة من العلاقات الاجتماعية، والجرأة، والمواجهة. أضف لما سبق الفوضى وعدم التخطيط فهما يعرقلان الجهود التطوعية، وقد يؤديان إلى نفور المتطوعين من الاستمرار في جهودهم التطوعية، ومن عوامل التنفير اقتصار الفعاليات على: الشللية، والمناطقية. أما النقطة الأخيرة تعبر عن حالة السلبية واللامبالاة عند الطلاب، وعدم إدراكهم لأهميتهم ومكانتهم في المجتمع.

جدول رقم (12): مقترحات لتحسين العمل التطوعي (متعدد الاختيارات)

النسبة	التكرار	المقترحات
73.3%	22	تدريب المتطوعين قبل الشروع في العمل التطوعي
56.6%	17	تكريم المتطوعين على جهودهم
50%	15	وضع الخطط والبرامج التي تشجع على العمل التطوعي
50%	15	صرف مكافآت مالية كحوافز للمتطوعين
53.3%	16	مراعاة رغبات المتطوع وظروفه الخاصة
46.6%	14	التركيز على البرامج التي تشبع حاجات الأفراد
60%	18	إبراز التجارب التطوعية الناجحة

يوضح الجدول مقترحات تحسين وتجويد العمل التطوعي، فكانت على النحو الآتي: تدريب المتطوعين قبل الشروع في العمل التطوعي (73.3%)، وتكريم المتطوعين على جهودهم (56.6%)، ووضع الخطط والبرامج التي تشجع على العمل التطوعي

(50%)، وصرف مكافآت مالية كحوافز للمتطوعين (50%)، مراعاة رغبات المتطوع وظروفه الخاصة (53.3%)، التركيز على البرامج التي تشبع حاجات الأفراد (46.6%)، وإبراز التجارب التطوعية الناجحة (60%).

يتضح من الجدول أن كل المقترحات قد حظيت بقبول عالٍ، كان في مقدمتها: (تدريب المتطوعين، وإبراز التجارب التطوعية الناجحة، وتكريم المتطوعين، ومراعاة رغبات المتطوع وظروفه الخاصة، ووضع برامج وخطط تشجع على التطوع، وصرف مكافآت مالية كحوافز للمتطوعين، والتركيز على البرامج التي تشبع حاجات الأفراد).

طالما لم توجد حملات توعية بأهمية التطوع، وقلة برامج التطوع كان لزاماً أن يخضع المتطوعين لدورات تدريبية وتأهيلية قبل ممارسة أي نشاط؛ حتى يحقق النشاط أهدافه، كذلك تسليط الضوء على بعض التجارب التطوعية الناجحة؛ حتى تشكل حافزاً للمتطوعين، وتكريم المتطوعين مادياً أو معنوياً له دور في حثهم على الاستمرارية والعطاء، كلما شكرت إنساناً واستحسن عمله زاد في البذل والعطاء. هذه الأمور المتطوع في أمس الحاجة إليها، وقد مر معنا سابقاً من معوقات التطوع: التعارض بين أوقات التطوع والتزامات المتطوع؛ لذلك لا بد أن يكون هذا الأمر بالتنسيق مع المتطوع حتى يزول التعارض ولا يتضرر المتطوع أو النشاط التطوعي، وحتى ينجح التطوع لا بد من التخطيط والتنظيم حتى لا يسير العمل بتخبط وعشوائية وتداخل الصلاحيات. أما عن صرف المكافآت المالية لا يقصد بها الرواتب المنتظمة إنما تحفيز المتطوعين لاسيما من محدودي الدخل، خاصة أن الشريحة التي أجريت عليها الدراسة من الطلاب، جلهم يعتمدون على أسرهم مادياً، فلو قدمت المؤسسة بدل مواصلات واتصالات فإنها تخفف من عبء التطوع على نفس المتعلم. أخيراً على المؤسسات أن تختار من البرامج والأنشطة التي تحل مشكلة أو تشبع حاجة؛ حتى تحظى بالقبول الاجتماعي.

النتائج:

أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة:

1. أغلب المتطوعين انحصروا في الفئة العمرية (18-23) سنة، وهو ما نسبته (76.6%).
2. أغلب المتطوعين من العزاب (76.6%).
3. الغالبية العظمى مارسوا التطوع (93.3%).
4. أغلب الطلاب تطوعوا من خلال الرابطة الإسلامية، أما الجهود المؤسسية ضعيفة جداً لا تتجاوز (6.6%).
5. أغلب الجهود والخبرات التطوعية حديثة وقليلة، لا تتجاوز سنتين.
6. يغلب على مجالات التطوع الأنشطة الترفيهية: الرحلات، وحفلات السمر، والمسابقات الثقافية، وأقلها: كتابة المقالات، وجمع التبرعات وتوزيعها على المحتاجين.
7. أسباب تفضيل نشاط تطوعي على غيره: تحقيق أهداف الرابطة الإسلامية، وتنفيذ أنشطتها. وقليل جداً من يختار النشاط التطوعي حسب تخصصه الجامعي.
8. أبرز دوافع التطوع، هي: ابتغاء الأجر والثواب، والرغبة في مساعدة الآخرين، وشعور الرضا النفسي. وأقلها: شغل وقت الفراغ، والحصول على مكافئة مالية.
9. معوقات التطوع: التعارض بين وقت التطوع والتزامات المتطوع، والخجل، وتدني الوعي بالتطوع، وضعف الشعور بالانتماء إلى المجتمع، وقلة البرامج التدريبية الخاصة بالمتطوعين.

10. مقترحات تحسين التطوع: تدريب المتطوعين، وإبراز التجارب التطوعية الناجحة، وتكريم المتطوعين، ومراعاة رغبات المتطوع وظروفه في تحديد وقت وزمن التطوع.

التوصيات:

- (1) قيام مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة بدءًا بالأسرة، مرورًا بـ (المدرسة، والمسجد، والأحزاب، والإعلام، والنوادي) بتنمية السلوك التطوعي في نفوس الناشئة، وإتاحة الفرصة لجميع الشرائح الاجتماعية للمشاركة في الأعمال التطوعية.
- (2) أن تعيد التنظيمات السياسية نظرتها في التنشئة التنظيمية لأبنائها بتقديم مصلحة الوطن على المصالح التنظيمية الضيقة، ولا تقتصر خدماتها على المؤطرين والمناصرين.
- (3) أن تضم المناهج الدراسية مقررات عن التطوع، توضح تعريفه، ومجالاته، وطرقه، وفوائده.
- (4) تكريم المتطوعين على جهودهم التطوعية.
- (5) وضع برامج وخطط تشجع كل الشرائح الاجتماعية للمشاركة في التطوع، مع التركيز على شريحة الشباب.
- (6) مراعاة رغبات المتطوع وظروفه الخاصة في تحديد وقت وزمن التطوع.
- (7) إبراز التجارب التطوعية الناجحة في المؤسسات الاجتماعية المحلية والخارجية.
- (8) التركيز في الأنشطة التطوعية على البرامج التي تشجع حاجات أفراد المجتمع.
- (9) تدعيم جهود الباحثين لإجراء الدراسات والأبحاث عن واقع التطوع في فلسطين.
- (10) تحييد المؤسسات الاجتماعية عن الصراعات والخلافات السياسية.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم بن حمد القعيد، وسائل استقطاب المتطوعين والانتفاع الأمثل بجهودهم، بحث مقدم إلى مؤتمر: "العمل التطوعي وآفاق المستقبل"، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 15-16/9/2012.
2. إبراهيم بن محمد السماعيل، الوسائل النفسية لاستقطاب المتطوعين، مكتبة صيد الفوائد الإلكترونية، <http://saaid.net/Anshatah/dole/75.htm>
3. أحمد الأصغر، العمل التطوعي والحد من انتشار الأمية، ورقة علمية مقدمة إلى: "مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي (الأمن مسؤولية الجميع)، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 25-27/9/2000.
4. آمنة بنت أحمد الزير، ومشاعل بنت فهد المقبل، العمل التطوعي وقيم المواطنة لدى الشباب السعودي. دراسة ميدانية مطبقة على عينة من المتطوعين في المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، 1436هـ.
5. جاسم علي الكندري، ثقافة العمل التطوعي لدى طلبة كلية التربية الأساسية بدولة الكويت. دراسة ميدانية، مجلة العلوم التربوية، العدد 1، ج 1، يناير 2016.
6. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب فلسطين الإحصائي السنوي رقم 12، رام الله، 2011.
7. الدرر السنية، <http://www.dorar.net/enc/hadith> (استندت عليه في تخرج الأحاديث).

8. ذياب عيوش، وفيصل الزعنون، الرعاية الاجتماعية، ط2، عمان، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 2008.
9. روابحية رضا، مفهوم الجامعة، منتدى إبداع للتربية والتعليم، 2008/9/13، <http://rouabhia.ahlamontada.net/t7-> topic
10. زهير حطب، العمل التطوعي والرعاية الاجتماعية، بحث مقدم إلى مؤتمر: "العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي"، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2000/9/27-25.
11. سحر خضر محمود درويش، اتجاهات الشباب نحو العمل التطوعي في المؤسسات الأهلية. دراسة حالة الشباب في محافظات قطاع غزة 1994-2009، رسالة ماجستير، كلية الآداب، برنامج دراسات الشرق الأوسط، جامعة الأزهر، غزة، 2015.
12. سعاد عبود بن عفيف، العمل التطوعي في المجتمع المدني: دراسة لدور المرأة التطوعي في محافظة جدة بالمملكة العربية السعودية، أطروحة دكتوراه، قسم الاجتماع، جامعة الملك بن عبد العزيز، 2008.
13. سليمان حسين موسى المزين، اتجاهات الطلبة نحو العمل التطوعي في جامعات محافظات غزة وسبل تفعيله في ضوء بعض المتغيرات، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، مج4، عدد16، تشرين الأول 2016.
14. صابر أحمد عبد الباقي، العمل التطوعي، جامعة الملك فيصل، دت، ibtihalino.blogspot.com
15. صالح حمد التوبجري، تفعيل العمل التطوعي، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الدولي السابع، إدارة المؤسسات الأهلية والتطوعية في المجتمعات المعاصرة، مكتبة صيد الفوائد، <http://saaid.net/Anshatah/dole/23.htm>
16. صهيب العمادي، التعددية السياسية في الفكر الإسلامي المعاصر.. مفهوم الحزب والحزب السياسي (1)، المركز العالمي للوسطية، <http://wasatiaonline.net/news/details.php?data-id=317>
17. عاذرة عمر بوغندوره، مشاركة المرأة الليبية في العمل التطوعي. دراسة تحليلية، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، العدد28، جامعة بنغازي، 2017 مارس.
18. عدنان بن خليل باشا، العمل التطوعي وأثره على الفرد والمجتمع، بحث مقدم إلى: ندوة العمل التطوعي وآفاق المستقبل، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1433هـ.
19. عمر رحال، الشباب والعمل التطوعي في فلسطين، رام الله، مؤسسة الحياة للإغاثة والتنمية، 2006.
20. فايق سعيد علي الضرمان، عزوف الشباب عن العمل التطوعي في الجهات الخيرية في منطقة الباحة من وجهة نظر القائمين عليها، دن، 1428هـ.
21. فهد سلطان السلطان، اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي. دراسة تطبيقية على جامعة الملك سعود، مجلة رسالة الخليج، 2009.
22. كمال منصور، المنظمات غير الحكومية ودورها في عوامة النشاط الخيري والتطوعي، مجلة علوم إنسانية، السنة الرابعة، العدد30، سبتمبر 2006.
23. مجد خضر، مفهوم التعليم الجامعي، موقع: موضوع.كم، 2016/8/14، <https://mawdoo3.com>

24. محمد علي الخطيب، مفهوم العمل التطوعي ومكانته في الكتاب والسنة، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 532، 2012/9/3، م، الكويت، تصدر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، <http://alwaei.com>
25. المعاني، جامعة، <https://www.almaany.com>
26. معلوي بن عبد الله الشهراني، العمل التطوعي وعلاقته بأمن المجتمع، رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2006.
27. منشورات حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح، مفهوم التنظيم، دائرة التعبئة والتنظيم، د.ت.
28. منصور الجمري، ما التنظيم السياسي أو الحزب السياسي؟، صحيفة الوسط البحرينية، العدد 1910، الخميس 2007/11/29، <http://www.alwasatnews.com>
29. نجوم مصرية، الجامعة والمجتمع، 2012/11/1، <https://www.nmisr.com/vb/showthread.php?t=433236>
30. وزارة الداخلية. الشق المدني، دليل الجمعيات الأجنبية في قطاع غزة، كانون الثاني 2014.

المرأة المعنفة في المجتمع الجزائري

Abused woman in Algerian society

د. بن عمار نوال/جامعة الحاج لخضر، باتنة 1، الجزائر

Dr. Benammar Naouel / University of Batna -1- Hajj Lakhdar, Algeria

ملخص:

تمثل مشكلة العنف ضد المرأة إحدى القضايا التي تهتم بها المنظمات الدولية وهيئات المجتمع المدني في الألفية الثانية، وقد أصبح الاهتمام بها يمثل قضية من قضايا حقوق الإنسان وميزان لتحضر الشعوب، والحكم على أهلية المجتمعات بالانتساب للإنسانية.

والهدف الرئيسي من هذه الورقة البحثية هو معالجة موضوع محوري يمس جميع المجتمعات وخاصة شريحة النساء والتي تعتبر الركيزة الأساسية في بناء المجتمعات، ألا وهو العنف ضد المرأة في المجتمع العربي بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة، وذلك راجع إلى تفشي هذه الظاهرة في مجتمعنا الجزائري بشكل رهيب في الآونة الأخيرة بحسب ما كشفت عنه الإحصاءات ووسائل الإعلام بمختلف أنواعها، وكذا الوقوف على الأسباب التي كانت وراء ممارسة العنف ضد المرأة.

الكلمات المفتاحية: العنف ضد المرأة، أشكال العنف ضد المرأة، أسبابه، خصائص النساء ضحايا العنف في الجزائر.

Abstract :

Violence against women is one of the issues of concern to international organizations and civil society organizations in the second millennium.

The main objective of this paper is to address a central issue affecting all societies, especially women, which is the main pillar in building societies, namely violence against women in Arab society in general and Algerian society in particular, due to the terrible prevalence of this phenomenon in our Algerian society. Recently, according to statistics and media of all kinds, as well as to identify the reasons behind the violence against women.

Keywords: violence against women, forms of violence against women, causes, characteristics of women victims of violence in Algeria.

مقدمة:

ربما لم تشغل الإنسان قضية عبر سنوات التاريخ المختلفة مثلما شغلته هذه الأيام قضية العنف مع أن البشرية على مدى العصور لم تخلو أبداً من صورة أو أخرى من صور العنف، فالعنف ولد وترعرع مع الإنسان، بل أصبح يمثل هاجساً يقلقه ويفقده راحته ذلك لأن الكل معرض للعنف بشتى أنواعه وصوره.

وتعتبر ظاهرة العنف ظاهرة معقدة تدخل فيها وتتشابك وإياها عدة عوامل منها: النفسية، العقلية، الوراثية، الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، العرفية وغيرها، والعنف ظاهرة عالمية تنمو في الدول النامية كما في الدول الغنية، وقد يمارس العنف في الكثير من المجالات حيث قد يبدأ داخل الأسرة بالاعتداء على الزوجة أو الزوج، أو الأولاد أو جميعهم، وخاصة الإساءة إلى المرأة بالاعتداء عليها بالضرب، كما قد يمارس في الشارع وفي ملاعب الكرة، وفي أماكن التجمعات البشرية وفي السجون... وقد يمارس بين الدول والمجتمعات أو بين الأمم، وداخل المجتمع الواحد وبين الطوائف المختلفة وفي أوقات الأزمات الاقتصادية.

ويعد العنف الموجه ضد المرأة من أبرز المشكلات العالمية التي لا يكاد يخلو منها مجتمع سواء وصف بالتقدم أو التخلف، كونه يشكل انتهاكاً لحقوقها الإنسانية والحريات الأساسية التي يجب أن تتمتع بها، وهو ما يمارس عبر التاريخ بأوجه وأشكال مختلفة كمظهر لعلاقات قوى متكافئة بين الرجل والمرأة عبر التاريخ أدت إلى هيمنة الرجل على المرأة وممارسته التمييز ضدها، فالعنف ضد المرأة ولا سيما العنف الأسري، أضى من القواعد الاجتماعية الحاسمة التي تفرض على المرأة التبعية للرجل، وينجم عن ذلك تداعيات وانعكاسات خطيرة على الأسرة والمرأة معاً، وقد يؤدي إلى معاناتها من خبرات سيئة وتجارب عاطفية فاشلة ومعاناة نفسية واضطرابات سلوكية وعلاقات اجتماعية مفككة، فضلاً عن إصابتها بعاهاث دائمة أو حتى وفاتها.

وتؤكد المنظمة الدولية للمرأة "يونيسفم" أن أشهر صور العنف الموجهة ضد النساء في أماكن مختلفة من العالم في الوقت الحالي هي:

- عمليات الختان حيث تتعرض 120 مليون فتاة سنوياً لهذه العملية.
- عمليات الاغتصاب وتتعرض لها 700 ألف امرأة سنوياً في الولايات المتحدة الأمريكية.
- نسبة عمليات قتل النساء على أيدي أزواجهن 50% من إجمالي عمليات القتل في بنغلاداش.
- في بريطانيا يتلقى رجال الشرطة مكالمات كل دقيقة من النساء اللاتي يتعرضن للعنف داخل المنازل طلباً للمساعدة.
- في جنوب إفريقيا تتعرض 1411 امرأة يومياً للاغتصاب وهو أعلى معدل في العالم.
- والصورة الأخيرة من العنف الموجه ضد المرأة على مستوى العالم هي العنف في سوق العمل، حيث تعد سريلانكا من أكثر الدول تصديراً للعاملات في البيوت، و25% منهن واجهن مشاكل تمثلت إما في الاعتداء عليهن أو على دفع أجورهن.

على الرغم من إقرار الأديان والمذاهب الإنسانية على الرحمة والرأفة والرفق بين بني الإنسان، وعلى الرغم من حجم الأضرار التي تكبدها وتكبدتها الإنسانية جراء اعتماد العنف أداة للتخاطب، وعلى الرغم من أن أي إنجاز بشري يتوقف على ركائز الاستقرار والألفة والسلام... إلا أن الإنسانية ما زالت تدفع ضريبة باهظة من أمنها واستقرارها جراء اعتمادها العنف وسيلة للحياة والتخاطب.

وتعاني المرأة في الجزائر كغيرها من النساء في العالم من سوء المعاملة في حياتها اليومية وعلى جميع الأصعدة، وتسهم مجموعة من العوامل والأسباب الاجتماعية في تكريس سلوك عنفي ضدها بأشكال مختلفة، يصل في كثير من الأحيان إلى حد قبوله والتعاطي معه على أنه من الأمور المقبولة اجتماعياً، وذلك رغم سعيها وجهادها ووقوفها إلى جانب الرجل وحاجة المجتمع إلى دورها في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهذه المشكلة ليست مقتصرة على قطاع معين في المجتمع، بل مست

مختلف القطاعات بغض النظر عن الطبقة والدين والثقافة والتحضر.

واعتبرت الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان بأن العنف ضد النساء من أكبر خروقات حقوق الإنسان التي ترتكب بحق المرأة، لأن هذا العنف والسلوك مشين يلغي حقها في المساواة والكرامة والشعور بتقدير الذات داعيا المجتمع المدني لكسر كل الطابوهات التي يعيشون فيها من سكوت وعدم تبليغ على العنف والتحرش ضد المرأة.

وفيما يخص الجزائر كشفت الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان بأن العنف ضد المرأة في الجزائر ما زال يطرح نفس الإلحاح من طرف المجتمع المدني في مجال مكافحة الظاهرة باختلاف مشاربهم، رغم دخول قانون العقوبات لحماية المرأة من العنف والتحرش من عام 2016، لمحاربة العنف الزوجي وتحسين التشريع الخاص بمكافحة التحرش الجنسي، إلا أن حسب المديرية العامة للأمن الوطني خلال 09 أشهر لسنة 2018 سجلت ارتفاع حالات الاعتداء على المرأة بنحو 7061 امرأة ضحية مختلف الاعتداءات.

1- الإشكالية:

أعلنت الجمعية العامة في هيئة الأمم المتحدة يوم 25 / تشرين الثاني - نوفمبر من كل عام، يوما دوليا للقضاء على العنف ضد المرأة، ودعت الحكومات والمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية إلى تنظيم أنشطة في ذلك اليوم تهدف إلى زيادة الوعي العام بتلك المشكلة العالمية¹.

وقد درج أنصار حقوق المرأة على الاحتفال بيوم 25 / تشرين الثاني بوصفه يوما لمناهضة العنف ضد المرأة منذ 1981، وقد استُمد ذلك التاريخ بمناسبة الاغتيال الوحشي في سنة 1961 للآخوات الثلاثة (ميرا بال) اللواتي كن سياسيات ناشطات في جمهورية الدومينيكا بناء على أوامر حاكم الدومينيكا روفاييل تروخيليو الذي حكم الدومينيكا 1936 - 1961.²

إلا أن العنف ضد المرأة لم ينشأ في هذا التاريخ وإنما منذ قديم الزمان، ولكن الاهتمام العالمي بهذه المشكلة شهد مراحل متطورة وسجل أفعالا عديدة عدها أشكالاً من العنف ضد النساء بحسب العوامل المؤثرة في المجتمعات وبحسب الأسباب الدافعة أو المساعدة على تفشي هذه المشكلة، ويعتبر المجتمع الإنساني مجتمع يواجه تحديات مختلفة وظواهر عديدة نتيجة التغيرات السائدة في الحياة الاجتماعية وما يتبعها من أحداث ذات طابع سوسيوولوجي واقتصادي وثقافي وسياسي مما يساعد على زيادة انتشار عدة ظواهر، ومن بينها ظاهرة العنف ضد المرأة الذي لا يعتبر جديد على البشرية، إنما قديم قدم الإنسانية كونها ظاهرة اجتماعية ظهرت بأشكالها المتنوعة كالعنف الجسدي، اللفظي، والرمزي.

حيث أن هذا العنف يمارس على معظم شرائح المجتمع بما فيها المرأة، والأطفال وكبار السن، ويتسليط الضوء على العنف الممارس ضد المرأة نرى بأنها ظاهرة عالمية تمس جميع المجتمعات باختلاف أجناسها ولغتها وعقائدها وثقافتها كما أنها ظاهرة لها جذور عميقة في التاريخ، رافقت المسار التاريخي للنساء، وهو عدوى عالمية قاتلة ومشوهة جسديا، نفسيا، جنسيا، اقتصاديا وهو يحرم المرأة حق الأمن والكرامة وعزة النفس.

إذ أصبح موضوع العنف ضد المرأة بجميع أشكاله موضع اهتمام وقلق لدى العديد من المجتمعات بما فيها المجتمع الجزائري وبصفة خاصة العنف الذي تتعرض له المرأة الجزائرية داخل الأسرة ولي يمارس من طرف الزوج أو الأب أو الأخ أو حتى إذا وجه من امرأة ضد أخرى كزوجة الأب أو الأخت الكبرى أو الصغرى وحتى الأم.

¹القرار رقم 34/54 في 17 كانون الأول، ديسمبر 1999.

² حسين درويش العادي، العنف ضد المرأة الأسباب والنتائج، منشور على موقع www.annabaa.org

وبالرغم من الجهود التي تقوم بها مختلف الجمعيات والمنظمات الحكومية والغير حكومية وكذا القوانين التي سنتها الحكومات من أجل الحد من هذه الظاهرة وكذا العقوبات الصارمة في حق مرتكبي العنف ضد المرأة إلا أنه لا تزال الإحصائيات التي تكشفها المصالح المختصة تشير ارتفاع هذه الظاهرة وبأرقام مخيفة فلقد تم تسجيل أزيد من 7500 امرأة تعرضت إلى العنف في الجزائر خلال 9 أشهر الأولى من السنة الجارية (2019) وتشير هذه الأرقام إلى ارتفاع حالات العنف ضد النساء في الجزائر بشكل رهيب يدعو إلى دراسة علمية للموضوع على الرغم من الخصائص السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري باعتباره مجتمع تغلب عليه الهيمنة الذكورية والتي تضيء نوع من الشرعية على هذا السلوك باعتبار أن الرجل في الأسرة الجزائرية هو المسؤول الأول والأخير وصاحب الكلمة الأعلى داخل الأسرة بالإضافة إلى التنشئة الاجتماعية للمرأة الجزائرية التي تفرض عليها تقبل هذه السلطة وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل حول: ما هي الأسباب التي تدفع إلى ممارسة العنف ضد المرأة داخل المجتمع الجزائري؟

2- أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية الدراسة من خلال طبيعة الموضوع نفسه، حيث يعد من المواضيع الهامة خاصة في هذه المرحلة التي يمر بها المجتمع الجزائري، والتي تميزت في معظمها بانتشار العنف الممارس ضد المرأة بمختلف أشكاله، وبالتالي تتضح خطورة الظاهرة في شموليتها وفي تعدد أشكالها وأسبابها وما لها من آثار نفسية واجتماعية واقتصادية، مما يعني أهمية دراستها وتحليلها للوصول إلى الحلول الممكنة في ظل التغيرات التي يعيشها المجتمع.

3- تحديد المفاهيم العامة:

1-3 مفهوم العنف:

تعددت وتداخلت تعاريف العنف، مما خلق قدرا من الاضطراب واللبس في استعمالاته في أدبيات العلوم الإنسانية والاجتماعية ويعود عدم الاتفاق إلى اعتبارات متعددة منها: أن العنف ظاهرة اجتماعية مركبة ومعقدة ومتعددة، ودوافعها متداخلة ومتباينة تتنوع من مجتمع إلى آخر كذلك فإن مستويات العنف وممارساته متعددة ومتباينة حسب الزمان والمكان، ولظاهرة العنف أبعاد اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية ودينية ونفسية، ويتضمن سلوكيات مختلفة متنوعة.¹

✚ فكلية العنف في اللغة العربية من الجذر (ع، ن، ف) وهو الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو عنيف إذا لم يكن رقيقا في أمره، وفي الحديث الشريف: "إن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف"²، وعنف به أو عليه عنفا وعنفاة، أي أخذه بشدة وقسوة³، واعتنف الأمر: أخذه بعنف وأتاه وليكن على علم ودراية به، واعتنف العام والأرض: كرهها واعتنف الأرض نفسها: نبت عليه.⁴

✚ المفهوم الاصطلاحي للعنف: اختلفت تعريفات العنف كمفهوم من بيئة ثقافية إلى أخرى باختلاف الهدف إذا كان

¹هاشم محمد الطويل، الأسباب الاجتماعية والاقتصادية للعنف المجتمعي من وجهة نظر الطلبة الجامعيين، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد4، العدد الأول، الأردن، 2011، ص1.

²معتوق جمال، مدخل إلى علم الاجتماع الجنائي "أهم النظريات المفسرة للجريمة والانحراف"، ج1، دار مرابط، الجزائر، 2008، ص303.

³الباشا محمد الكافي، المعجم العربي الحديث، ط1، شركة المطبوعات، بيروت لبنان، ص711.

⁴علي مهنا عبد الإله، لسان اللسان، تهذيب لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين، محمد بن مكرم ابن منظور، بعناية مكتب التفاني لتحقيق الكتب، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993، ص231.

أخلاقيا، أو سياسيا، أو نفسيا أو اجتماعيا

يرى السمرري أن العنف كمصطلح ليس من السهل تعريفه، حيث يميز الباحثون بين أفعال القوة، أو العنف المشروعة، وأفعال العنف غير المشروعة، فمثلا كثيرا ما يعد الضرب داخل الأسرة أمرا مقبولا ثقافيا ومعياريًا، أما إذا تعرض أحد أفراد الأسرة للضرب من أحد الغرباء فإنه يعد سلوكا غير مشروع، ومن هذا المنطلق يصل إلى تعريف العنف بأنه: "أي سلوك يصدر من فرد أو جماعة، تجاه فرد آخر أو آخرين ماديا كان أو لفظيا مباشرا أو غير مباشر، نتيجة للشعور بالغضب، أو الإحباط أو للدفاع عن النفس أو الممتلكات، أو الرغبة في الانتقام من الآخرين، أو الحصول على مكاسب معينة".¹

العنف هو ممارسة القوة البدنية لإنزال الأذى بالأشخاص أو الممتلكات، كما أنه الفعل أو المعاملة التي تحدث ضررا جسما أو التدخل في الحرية الشخصية.²

عرفت منظمة الصحة العالمية³ العنف بأنه الاستعمال المتعمد للقوة المادية، سواء بالتهديد أو الاستعمال المادي الحقيقي، ضد الذات أو ضد شخص آخر، أو ضد مجموعة أو مجتمع، بحيث يؤدي إلى حدوث إصابة أو موت أو إصابة نفسية أو حرمان من أي نوع كان.

العنف: "استجابة سلوكية تتميز بصفة انفعالية شديدة قد تنطوي على انخفاض في مستوى البصيرة والتفكير، ويدو العنف في استخدام القوى المستمدة من المعدات والآلات وهي محاولة الإيذاء البدني الخطير".⁴

4- العنف ضد المرأة:

وكما جاء في تصريح للحد من العنف ضد النساء والذي تم تحديده من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1993 ما يلي: "أي فعل عنيف قائم على أساس الجنس ينجم عنه أو يحتمل أن ينجم عنه أذى أو معاناة نفسية أو جسدية للمرأة، بما في ذلك التهديد باقتراف هذا الفعل أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء وقع ذلك في الحياة العامة أو الخاصة، كما يشمل كذلك العنف الذي ترتكبه الدولة أو تتغاضى عنه".⁵

ويعرف البعض العنف ضد المرأة بأنه "ذلك السلوك أو الفعل الموجه إلى المرأة سواء كانت زوجة أو أما أو أختا أو ابنة، ويتسم بدرجات متفاوتة من التمييز والاضطهاد والقهر والعدوانية الناجم عن علاقات القوة غير المتكافئة بين المرأة والرجل نتيجة لسيطرة النظام الأبوي على أغلبية الأسر".⁶

وتشير الوثيقة الصادرة عن المؤتمر العالمي الرابع للمرأة في بكين 1995، أن العنف ضد النساء هو أي عنف مرتبط بنوع الجنس، يؤدي على الأرجح إلى وقوع ضرر جسدي أو جنسي أو نفسي أو معاناة للمرأة بما في ذلك التهديد بمثل تلك الأفعال، والحرمان من الحرية قسرا أو تعسفا سواء حدث ذلك في مكان عام أو في الحياة الخاصة.

ويرى عبد الله عطوي في كتابه "السكان والتنمية البشرية" بأن العنف القائم على أساس نوع الجنس يشمل مجموعة متنوعة

¹ أميمة منير جادو، "العنف المدرسي بين الأسرة والمدرسة والإعلام"، الطبعة الأولى، دار السحاب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص4.

² حويطي أحمد وخياطي مصطفى، العنف المدرسي: الأسباب والمظاهر، دراسة ميدانية في ثانويات بالجزائر العاصمة، مرصد حقوق الطفل، فورام للنشر والتوزيع، 2004، ص12.

³ منظمة الصحة العالمية، التقرير العالمي حول العنف والصحة، المكتب الإقليمي للشرق المتوسط، القاهرة، 2003، ص5.

⁴ حسين فايد، علم النفس المرضي، مؤسسة حورس الدولية ومؤسسة طبية للنشر، القاهرة، 2003، ص76.

⁵ Heise Pitangny, *La violence contre les femmes*, Ed. O.M.S, Genève, 1997, p7.

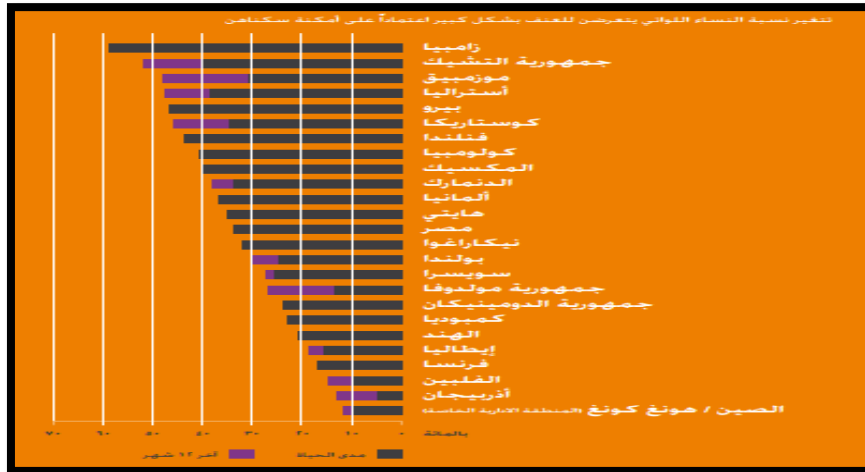
⁶ عبد الوهاب ليلي، العنف الأسري، الجريمة والعنف ضد المرأة، دار الهدى للثقافة والنشر، بيروت، 1994، ص36.

من الأفعال التي تعرض للخطر حياة المرأة أو جسمها أو سلامتها النفسية أو حريتها والتي تؤدي عموماً نتيجة للقصد أو بالفعل أثرها إلى إدامة سلطة الذكر وسيطرته.¹

فالعنف ضد المرأة هو سلوك أو فعل موجه إلى المرأة يقوم على القوة والشدة والإكراه، ويتسم بدرجات متفاوتة من التمييز والاضطهاد والقهر والعدوانية، ناجم عن علاقات القوة غير المتكافئة بين الرجل والمرأة في المجتمع والأسرة على السواء، ويلحق بها ضرراً مادياً (الضرب، الجرح، الحرق، الاغتصاب..) أو ضرراً معنوياً (الإهانة، الشتم، السب، التحقير..) أو كليهما معاً.

وفقاً لهذه التعاريف فإن العنف ضد المرأة يعني أي عمل أو تصرف عدائي أو مؤذ أو مهين يرتكب بأية وسيلة وبحق أية امرأة، ويخلق لها معاناة جسدية وجنسية ونفسية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من خلال الخداع أو التهديد أو الاستغلال أو التحرش أو الإكراه أو العقاب أو إجبارها على البغاء أو أية وسيلة أخرى، كما يشمل إنكار وإهانة كرامة المرأة الإنسانية أو سلامتها الأخلاقية أو التقليل من أمن شخصها ومن احترامها لذاتها أو شخصها أو الانتقاص من إمكانياتها الذهنية والجسدية، ويتراوح بين الإهانة بالكلام حتى القتل، ويمكن أن يمارس العنف ضد المرأة من قبل أفراد أو جماعات أو مؤسسات بشكل منظم أو غير منظم.

شكل رقم 01: العنف بناء على نوع الجنس (الجندر) صورة عالمية.



المصدر: الملحق الإحصائي للأمم المتحدة، عالم المرأة (2010)، اتجاهات وإحصاءات.

يوضح الشكل أعلاه نسبة النساء اللواتي يتعرضن للعنف الجسدي (بغض النظر عن مرتكب الجريمة)، وعلى الأقل مرة واحدة في حياتهن في آخر ستة أشهر.

5- العنف ضد المرأة في أدبيات الأمم المتحدة:

بدأ الحديث عن قضية العنف ضد المرأة يأخذ حيزاً كبيراً من اهتمامات المنظمات النسائية منذ أواخر القرن 20، مع بدأ صدور الاتفاقيات الدولية الخاصة بالمرأة وبعد ذلك بدأ هذا الموضوع يأخذ منحى خاصاً ومستقلاً مع صدور الإعلان العالمي للقضاء

¹عبد الله عطوي، السكان والتنمية البشرية، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2004، ص590.

على العنف ضد المرأة في عام 1993، وفي نظرة تسلسلية زمنية لهذه الاتفاقيات والإعلانات التي عنيت بقضية العنف ضد المرأة نذكر الوقائع التالية:¹

1. اتفاقية إلغاء جميع أشكال التمييز ضد المرأة سيداو التي صدرت في سنة 1979 ودخلت حيز التنفيذ في سنة 1981، وهذه الاتفاقية على الرغم من أنها لا تتناول بشكل صريح ومباشر "قضية العنف ضد المرأة"، إلا أن اللجنة التي تراقب عملية التقيد بها قد أوضحت في التوصيات العامة رقم 19 لسنة 1992 أن العنف ضد المرأة يشمل الاتجاهات التقليدية التي تضع المرأة في مرتبة أدنى من الرجل، وتحددها بالأدوار النمطية التي ترسخ الممارسات المنتشرة التي تستخدم العنف والإكراه، ومن ذلك العنف الأسري والإساءات الأسرية والزواج القسري وختان البنات.
2. مؤتمر نيروبي 1985: الذي اعتبر أن العنف ضد المرأة هو من أهم المعوقات ضد السلام والتنمية والمساواة، وقد طالب المؤتمر بالخطوات القانونية تمنع العنف المؤسس على النوع، أي الجندر وتضع آليات للتعامل مع هذه الظاهرة.
3. الإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة 1993: الذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة والذي يعتبر أول أداة عملية تتناول موضوع العنف ضد المرأة، وقد عرف هذا الإعلان العنف ضد النساء في مادته الأولى على الشكل التالي، يقصد بالعنف ضد النساء أي فعل عنيف قائم على أساس الجنس ينجم عنه أو يحتمل أن ينجم عنه أذى أو معاناة جسمية أو نفسية للمرأة، لما في ذلك التهديد باقتراف مثل هذا الفعل، أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء وقع ذلك في الحياة العامة أو الخاصة.²

وبرز اهتمام الأمم المتحدة المستقل بالنساء مع منتصف السبعينات حين عقد مؤتمر المكسيك 1985، الذي صدر عنه إعلان السنة الدولية للمرأة وتبعها انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة (1985-1986) عقدا عالميا للمرأة، ومنذ ذلك الحين تكثفت الجهود والمشروعات الخاصة بالمرأة عبر العديد من المؤتمرات، كمؤتمر كوبنهاجن 1980، ونيروبي 1985، وبكين 1995، ومؤتمر فيينا 1993، ومؤتمر القاهرة 1994، ومؤتمر التنمية الاجتماعية 1995، واتفاقية القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة سيداو 1979، ووثيقة المرأة في بكين 1995، إضافة إلى التقارير الولية آخرها سنة 2000، وعرفت المنظمة العالمية للصحة العنف في عام 2002 بأنه كل سلوك يصدر في إطار علاقة حميمية ويسبب أضرارا أو ألما جسمية أو نفسية أو جنسية لأطراف تلك العلاقة.³

وفي عام 1996 أعلنت جمعية الصحة العالمية أن العنف ضد النساء مشكلة كبرى للصحة العامة تتطلب الاهتمام العاجل من الحكومات والمنظمات الصحية، ويتسبب العنف النوعي في الكثير من المشكلات الصحية التي تستنزف موارد النظام الصحي وتحد من نمو المرأة وإنتاجيتها، وتعوق الحكومات عن تحقيق أهدافها المتعلقة بالصحة الوطنية، ويعتبر العنف ضد النساء أحد مشاكل الصحة العامة المكلفة والمتفشية، كما أنه انتهاك لحقوق الإنسان.⁴

وأكد إعلان مناهج بيجين الذي اعتده 189 بلدا في المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة سنة 1995، على أن العنف ضد المرأة انتهاك لحقوق الإنسان وعائق لتمتع المرأة التام بكل حقوق الإنسان، وتحول التركيز إلى المطالبة بمساءلة الدولة عن تدابير

¹ ناصر الدين محمد الشاعر، "العنف العائلي ضد المرأة، أسبابه والتدابير الشرعية للحد منه"، مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، المجلد 17، نابلس، فلسطين، 2003، ص 12.

² ناصر الدين محمد الشاعر، مرجع سابق، ص 13.

³ نادية محمد مصطفى، الأمة الإسلامية في عصر العولمة وقضية المرأة بين التحديات والاستجابات، مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة، ب، س، ن، ص 18.

⁴ خربوش إبراهيم وآخرون، العنف الزوجي في مصر، المكتب المرجعي للسكان، القاهرة، مصر، 2010، ص 01.

منع العنف ضد المرأة والقضاء عليه، وعين منهاج عمل يبيح مجالات القلق الهامة التي تستدعي اتخاذ تدابير ملحة لتحقيق أهداف المساواة والتنمية والسلام، وكان أحد هذه المجالات العنف ضد المرأة، فالاعتراف بأن العنف ضد المرأة انتهاك لحقوق الإنسان يوضح الواجبات الملزمة للدول بمنع هذا العنف والقضاء عليه والمعاقبة عليه ومساءلتها بأنها قصرت عن أداء هذه الواجبات، وبذلك تتحرك مطالبات الدولة باتخاذ كل التدابير الملائمة للرد على العنف ضد المرأة من مجال حسن التقدير فتصبح حقوق شرعية، وينص إطار حقوق الإنسان على الوصول إلى عدد ممن الأدوات التي وضعت لتحميل الدول مسؤولية على الصعيدين الدولي والإقليمي.¹

إن الجمعية العامة للأمم المتحدة تدرك أن تنفيذ اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة بشكل فعال من شأنه أن يسهم في القضاء على العنف ضد المرأة، وأن إعلان القضاء على العنف ضد المرأة المرفق بهذا القرار من شأنه أن يعزز هذه العملية ويكملها، وإذ تؤكد أن العنف ضد المرأة يمثل عقبة أمام تحقيق المساواة والتنمية والسلام، ويشل انتهاك لحقوق الإنسان والحريات الأساسية، ويعوق أو يلغي تمتع المرأة بهذه الحقوق والحريات الأساسية، وأن العنف ضد المرأة هو مظهر لعلاقات قوى غير متكافئة بين الرجل والمرأة عبر التاريخ أدت إلى هيمنة الرجل على المرأة وممارسة التمييز ضدها، وأن العنف ضد المرأة سواء في الأسرة أو في المجتمع ظاهرة منتشرة تتخطى حدود الدخل والطبقة والثقافة.²

6- أشكال العنف ضد المرأة:

يتخذ العنف ضد المرأة أشكالاً عدة ويمكن أن تشمل عنفاً بدنياً وجنسياً ونفسياً وإساءة معاملة اقتصادية واستغلالاً في سلسلة من الأوضاع من القطاع الخاص إلى القطاع العام، في عالم اليوم المتسم بالعمولة تتجاوز الحدود الوطنية، وتعد تسمية أشكال ومظاهر من العنف ضد المرأة خطوة هامة نحو الاعتراف بها ومعالجتها، وقد أظهر تقرير أصدرته الأمم المتحدة في عام 2001 إن واحدة من بين كل ثلاث نساء في العالم تتعرض للضرب أو الإكراه على ممارسة الجنس أو إلى إساءة المعاملة بصورة أو بأخرى، وغالبا ما تتم هذه الانتهاكات لحقوق المرأة بواسطة إنسان يعرفه.³

كما تتفاوت أشكال العنف ضد المرأة ومظاهره باختلاف السياق الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي في مجتمع ما أو دولة ما، فربما تزداد بعض أشكال العنف أهمية بينما تنخفض أهمية بعضها الآخر كلما مرت المجتمعات بتغيرات ديمغرافية وإعادة تشكيل الاقتصاد وتحولات اجتماعية وثقافية.

وبعد عشر سنوات من دعوة منهاج عمل يبيح إلى تحسين البحوث وجمع البيانات عن أشكال مختلفة من العنف ضد المرأة، فإن الأدلة المتوافرة ما زالت متفاوتة وفي بعض الأحيان غير موجودة، ويحدث كثير من أشكال العنف ضد المرأة مثالها الممارسات التقليدية المؤذية التي تكون الأسرة والمجتمع المحلي طرفاً فيها وتتغاضى عنها الدول، وثمة سلسلة من العوامل أيضاً تؤثر في أشكال العنف التي تعانيها النساء وربما تكون أشكال مختلفة من العنف ضد المرأة مرتبطة ببعضها البعض أو يعزز بعضها بعضاً.

¹ باربارا كرويس، حالة سكان العلم من النزاعات والأزمات إلى مرحلة التجديد، أجيال التغيير، صندوق الأمم المتحدة للسكان، 2010، ص 16.
² إعلان بشأن القضاء على العنف ضد المرأة، الدورة 48، البند 111 من جدول الأعمال، قرار اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة بناء على تقرير اللجنة الثالثة 48/629، أ، 1994، ص 03.

³ هيفاء أبو غزالة، تقرير حول العنف ضد المرأة، المجلس الوطني لشؤون الأسرة، ص 6.

جدول رقم 01: أشكال العنف ضد المرأة.

للعنف ضد النساء أشكال عديدة مثل (العنف الجسدي، الجنسي، واللفظي والنفسي والاقتصادي)، وأشارت دراسات عديدة من بينها دراسة لمنظمة الصحة العالمية ودراسة أخرى من إصدار صندوق الأمم المتحدة للسكان ببلبنان، إلى أنواع عديدة منتشرة من العنف ضد المرأة ويمكن تلخيصها كالآتي:

المرحلة	شكل العنف
قبل الولادة	الإجهاض الانتقائي
الطفولة وصبوة الفتاة	عنف جنسي في المجال الخاص: وأد البنات، سفاح القربى، زواج القصر، ختان الإناث، استغلال الأطفال في البغاء. تمييز جنسي في التعليم والرعاية الطبية.
البلوغ وسن الرشد	العنف الأسري والعنف الزوجي، الذي يشمل (العنف الجسدي، واللفظي والنفسي والاقتصادي، اعتداءات رش الحمض) عنف جنسي في المجال الخاص: جريمة الشرف، الزواج القسري، اغتصاب زوجي، حمل قسري، إنجاب قسري، إجهاض قسري، الاغتصاب والاعتداء الجنسي على العاملات في المنازل. العنف الجنسي في المجال العام: تحرش جنسي، اغتصاب جماعي أو فردي والتعذيب الجنسي الممنهج في السجون والمعتقلات، الاعتداءات الجنسية داخل الحرم الجامعي، بغاء قسري، الاتجار بالنساء. الاعتداء الجنسي في مناطق النزاع: الاغتصابات الممنهجة كأداة حرب، العنف ضد اللاجئات والمهاجرات، نكاح الجهاد. فرض قيود على حرية المرأة في التنقل، التنمر الإلكتروني.
مرحلة الشيخوخة	الانتحار القسري للأرامل لأسباب اقتصادية.

المصادر: <http://www.who.int/gender/violence/v4>

-جنان الأسطة ، معجم المصطلحات والمفردات المعنية بالعنف المبني على أساس النوع الاجتماعي، صندوق الأمم المتحدة للسكان ببلبنان، UNFPA، 2012، ص50.

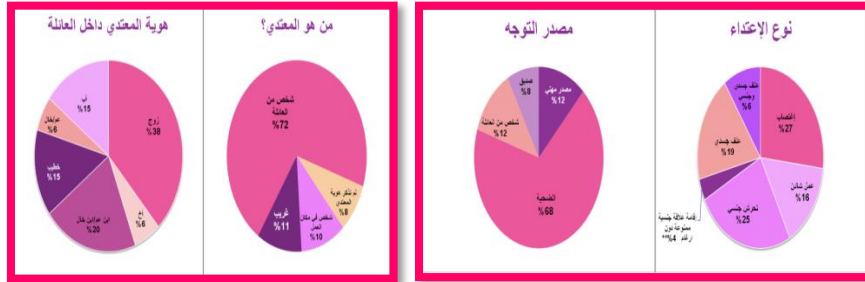
-ملخص نتائج دراسة العنف ضد النساء في مصر، دراسة صادرة عن المجلس القومي للمرأة ضمن مشروع "مناهضة العنف ضد المرأة"، الممول من هيئة المعونة الأمريكية للتنمية الدولية USAID، 2009.

-نظرة للدراسات النسوية، العنف الجنسي ضد النساء والفتيات في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، نظرة للدراسات النسوية، 2016.

1- العنف الأسري: تحول العنف في الجزائر إلى ظاهرة شديدة الخطورة، تترك المجتمع بكامله وخاصة في ظل فشل الحل الأمني، ويشكل مدى انتشار ظاهرة العنف الأسري الممارس ضد المرأة محل اهتمام معظم المختصين على اعتبار أنه من الصعوبة إمكانية تحديد إحصائيات دقيقة حول حالات العنف ضد المرأة، لأن هذه القضية حساسة والتي بدأ الحديث عنها في الجزائر منذ 5 أو 6 سنوات وهي مرتبطة بالعديد من الطابوهات، وهذا ما جعل الجزائر تدق ناقوس الخطر بسبب تراجع القيم الإنسانية والدينية والأخلاقية لما قد يترتب عن هذه الظاهرة من تبعات سلبية على الأسرة والمجتمع.¹

ولا تبلغ السلطات إلا بوسط صغير من جميع حالات العنف المرتكبة ضد المرأة في الأسرة، فقد كشفت معدلات الانتشار في المسح الوطني لعام 2006 أن حوالي نصف مليون امرأة في الجزائر تتعرض للاعتداء البدني بانتظام بل حتى يوميا، ويتنافى هذا الرقم بشكل صارخ مع العدد المتدني نسبيا للحالات المسجلة لدى السلطات القضائية²، وليس العنف ضد المرأة ظاهرة خاصة بالجزائر فهو منتشر في جميع أنحاء العالم، ولذلك فإن اهتمام بلدان عديدة موجه نحو العمل على استئصاله، وتعتبر هذه الظاهرة في جميع أشكالها بمثابة عملية تتسم بتصرفات ذات طابع عدواني وعنيف، بل ومدمر من جانب الرجل في معظم الحالات ضد المرأة، إن الضحايا ينتمين إلى جميع شرائح المجتمع، فمن بينهن النساء العاملات والنساء الماكثات في البيت في الوسطين الحضري والريفي، في الأماكن العمومية أو في الأماكن الخاصة، وفيما يتعلق بالعنف المنزلي فهي أفعال ينص عليها القانون الجزائري ويقمعهها دون شرط مسبق، وتعتبر أعمال العنف المنزلي حين ترتكب داخل المنزل بالمعنى الواسع التي تربط بين أفرادها أو أواصر القرابة أو المصاهرة، ويمكن أن تكون مساسا بالسلامة الجسدية أو إيذاء جنسيا أو نفسيا.³

شكل رقم 02: رسم توضيحي يبين نوع الاعتداء ومصدر التوجه ومن هو المعتدي وهويته داخل العائلة في الوطن العربي.



المصدر: التقريران الدوريان الثالث والرابع للجزائر، عن تنفيذ اتفاقية على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، 2009، ص 26. نشرت "الحركة النسوية العربية لدعم ضحايا الاعتداءات الجنسية (السوار)"، إحصائيات فقامت بها الحركة سنة 2013، وضحت فيه نسب العنف الجسدي والجنسي ضد المرأة، وهوية المعتدي ومكانه وغير ذلك⁴، وقد اتضح أن أعلى نسبة لهوية المعتدي تعود للزوج بالدرجة الأولى بنسبة 38%، وأعلى نسبة لنوع الاعتداء راجعة للاغتصاب بنسبة 27%.

¹ سهيل مقدم، "من أجل إستراتيجية فعالة في مواجهة العنف الاجتماعي"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 08، 2012، ص 378.

² ياكين ايتورك، المقررة الخاصة المعنية بالعنف ضد المرأة في الجزائر، الدورة السابعة، مجلس حقوق الإنسان، 2008، ص 16.

³ التقريران الدوريان الثالث والرابع للجزائر، عن تنفيذ اتفاقية على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، 2009، ص 26.

⁴ <http://www.noonpost.net/content/4439>

2- العنف الاجتماعي والمدني: والناجم عن النظرة القاصرة للمرأة كوجود ودور الوظيفة، إن التعجب لبعض الأفكار والطروحات والعادات والتقاليد التي تحط من قيمة المرأة ما أدى لتعرض هذه الأخيرة لأشكال القهر والاضطهاد، وتارة تتعرض للعنف في مجال عملها من قبل الرئيس أو الزملاء كالإهانة والتحقير وتقليل الأجر أو مصادرته في بعض الأحيان، وتارة يتم طردها من العمل إن لم يتم استغلال أنوثتها¹، إضافة إل الضغوطات العائلية التي يمارسها لأقارب الذكور على ممارسة المرأة لبعض حقوقها في مجال التنقل والاختيار للزواج والانضمام للأحزاب والمنظمات غير الحكومية، بل صداقات المرأة تكون أحيانا انعكاسا لرغبات وتوجهات الأقارب الذكور.

3- العنف الاقتصادي العائلي: فكثيرا ما تحرم المرأة من قبل أقاربها من المشاركة الاقتصادية والعمل حتى وإن كانت مؤهلة لذلك وفي بعض الحالات إذا سمح لها بالعمل فإنها لا تمنح الحرية الكاملة في التصرف بعائد عملها.²

رغم أن القانون الجزائري يعتبر أعمال العنف العمدية ضجة يعاقب عليها القانون حسب ما ورد في المادة 264 "قانون 06-23 المؤرخ في 20 ديسمبر 2006، جاء فيه أنه من أحدث جروحا للغير أو ضربة أو ارتكب أي عمل آخر من أعمال العنف أو التعدي يعاقب بالحبس من سنة إلى 5 سنوات وبغرامة قدرها 100000 إلى 500000 دج، إذا نتج عن هذه الأنواع من العنف مرض أو عجز كلي عن العمل لمدة تزيد عن (15) يوما"³ ومن 10 سنوات إلى 20 سنة إذا كان مع سبق إصرار أو ترصد وأدت إلى فقد أو بتر أحد الأعضاء أو الحرمان من استعماله حسب المادة 265 من قانون العقوبات، وإذا وقع الجرح أو الضرب أو غير ذلك من أعمال العنف أو الاعتداءات الأخرى، إلا أن قضايا العنف ضد المرأة بكل أشكاله وخاصة داخل الأسرة لا تزال أحد قضايا الطباهات في المجتمع، الأمر الذي دفع بمئات السيدات للمعاناة في صمت وتحاشي أروقة العدالة التي بالنسبة إليهن لا ترد لهن حقوقهن ولا تعيد ما فقدهن من أمان نفسي واجتماعي.

7- أسباب العنف ضد المرأة:

إن أحد المبررات والمداخل السخيفة العنف ضد المرأة، وكثيرة هي الأسباب التي تجعل الرجل عنيف ربما تربي في بيئة عرفت هذا النوع من العنف وممارسته فورثه عن أبيه أو أخيه، ليصبح هذا طبعا فيه ومفهوما ثقافيا لا يستطيع أن يتخلى عنه، أو ربما كان بطبيعته عنيفا أو خشناً يمارس هذا السلوك العنيف من المروءة بغض النظر عن كونه متعلما أو جاهلا، لذا نحتاج هنا استقصاء الأسباب وتأملها بشكل دقيق، حيث أن هناك أسباب كثيرة تدفع الإنسان نحو استخدام العنف والتي يمكننا أن نقسمها إلى: أسباب تاريخية، ثقافية وإعلامية، تعليمية، اجتماعية واقتصادية.

أ- الأسباب الإعلامية: إن لوسائل الإعلام أثرا سلبيا في رسم صورة ناقصة ومعينة للأنثى، إذ يقوم بث صور والدعايات والإعلانات التي تستخدم النساء سلعا رخيصة، ما يؤثر على انتشار العنف والنظرة الجنسية للمرأة ويحرض على الإباحة وغيرها من الأمور المسيئة للأخلاق العامة.⁴

ب- الأسباب التاريخية الثقافية: لقد أفرزت الممارسات الاجتماعية المغلوطة عبر التاريخ مفاهيم ثقافية نمطية لكل من دور الرجل والمرأة تربي عليهما كل منهما وأثرت بشكل كبير على ترسيخ العنف في حياة المرأة في كل أطوارها والذي ينبع أساساً من تلك

¹ العادلي حسين درويش، العنف ضد المرأة: الأسباب والنتائج، ص 9، من الموقع الإلكتروني <http://www.amanjadan.Nglanew>

² نفس المرجع، ص 11.

³ ديدان مولود، قانون العقوبات حسب آخر تعديل له، قانون 06-23 المؤرخ في 20 ديسمبر 2006، دار بلقيس، الجزائر، 2007، ص 82.

⁴ الخير أمال، العنف ضد النساء... أين الرجولة في ضرب المرأة أو ثقب جسمها، أبحاث المركز التقدمي للدراسات وأبحاث مساواة المرأة، ص 1،

نقلا من الموقع الإلكتروني <http://www.echconline.org/information-center>

المفاهيم والقيم الثقافية المترسخة التي أدت دوراً في انتشار هذه الظاهرة ورضوخ المرأة لها وإضافة لهذه الثقافة والعادات والتقاليد¹، وهناك سياسات تعمية وتجهيل إزاء النساء تجعلهن غير قادرات على معرفة أبسط الحقوق المتاحة لهن والتمتع بها.

ت- الأسباب الذاتية: ونعني بها تلك التي تنبع من ذات الإنسان ونفسه والتي تقوده نحو العنف، وهذا النوع من الأسباب يمكن أن يقسم إلى قسمين كذلك وهما:

● الدوافع الذاتية التي تكونت في نفس الإنسان نتيجة ظروف خارجية من قبيل الإهمال وسوء المعاملة والعنف الذي تعرض له الإنسان منذ طفولته؟ غلى غيرها من الظروف التي ترافق الإنسان والتي أدت لتراكم نوازع نفسية مختلفة تمخضت بعقد نفسية قادت في النهاية إلى التعويض عن الظروف السابقة الذكر باللجوء إلى العنف داخل الأسرة، ولقد أثبتت الدراسات الحديثة بأن الطفل الذي يتعرض للعنف فترة طفولته تكون أكثر ميلاً نحو استخدام العنف من ذلك الطفل الذي لم يتعرض للعنف فترة طفولته.

● الدوافع التي يحملها الإنسان منذ تكوينه والتي نشأت نتيجة سلوكيات مخالفة للشرع كان الآباء قد اقترفوها مما انعكس أثر ذلك (تكويناً) على الطفل ويمكن درج العامل الوراثي ضمن هذه الدوافع.²

ث- الأسباب التعليمية: حيث أن النقص وحتى الغياب الكبير في وسائل التربية والتعليم لأسس التنشئة الاجتماعية الصحيحة بشأن العلاقة بين الرجل والمرأة وضرورة الاحترام المتبادل والود والتعاون بينهما، وعدم التركيز فيها على تنمية الشخصية المتكاملة للفتى والفتاة على أساس احترام الآخر يترك المجال مفتوحاً لغزو المفاهيم الضارة لعقول الناشئة، ناهيك عن وجود بذورها أصلاً بسبب التربية أو العادات والتقاليد والأخذ بمنهج عربي في مدرسة ابتدائية أو ثانوية يعلم الولد والبنات حقوقهما كجنسين، وينشئ هذا على الاعتزاز برجولته، وهذه على التباهي بأنوثتها ويصعد بهما إلى قيم عائلية إسلامية رشيدة وصحيحة.

ج- الأسباب الاجتماعية: وأهمها عدم الاهتمام بموضوع العنف ضد المرأة ومواجهته سواء من الضحية نفسها أو من المجتمع على اعتبار أنه شأن عائلي خاص والتستر عليه في المستويات الاجتماعية كافة، وغياب الدراسات والإحصاءات عنه وعدم وجود مراكز التأهيل ومساعدة الضحايا، وهذه كلها أمور تؤدي إلى زيادة العنف ضد المرأة، إضافة إلى الفهم المغلوط للقوامة وتفسيرها بالتسلط والتسيد والإطاعة والفهم المغلوط للرجولة وترجمتها إلى الشدة والحزم والضرب وكذا الفهم المغلوط لطبيعة المرأة وللطاعة وترجمتها إلى الخضوع وتحمل المهانة وعدم الاحتجاج والشكوى، والأنماط السائدة في التربية والتفريق بين الذكر والأنثى وتفضيل الذكر.

نلاحظ إذن أن هذا النوع من الأسباب يتمثل في العادات والتقاليد التي اعتادها مجتمع ما والتي تتطلب من الرجل حسب مقتضيات هذه التقاليد قدراً من الرجولة، بحيث لا يتوسل في قيادة أسرته بغير العنف والقوة وذلك لأهمها المقياس الذي يمكن من خلاله معرفة المقدار الذي يتصف به الإنسان من الرجولة، وإلا فهو ساقط من عداد الرجال³، إن هذا النوع من الأسباب يتناسب طردياً مع الثقافة التي يحملها المجتمع، وخصوصاً الثقافة السرية فكلما كان المجتمع على درجة عالية من الثقافة والوعي، كلما تضائل دور هذه الأسباب حتى ينعدم في المجتمعات الراقية، وعلى العكس من ذلك في المجتمعات ذات

¹ الخير أمال، مرجع سابق، ص 02.

² حيدر البصري، العنف الأسري: الدوافع والحلول، الطبعة الأولى، دار المعجزة البيضاء، بيروت، لبنان، 2001، ص 131-132.

³ حيدر البصري، مرجع سابق، ص 132-133.

الثقافة المحدودة، إذ تختلف درجة تأثيرها باختلاف درجة انحطاط ثقافات المجتمعات، الأمر الذي تجب الإشارة إليه أن بعض أفراد هذه المجتمعات قد لا يكونون مؤمنين بهذه العادات والتقاليد ولكنهم ينساقون وراءها بدافع الضغط الاجتماعي.¹

ح- الأسباب الاقتصادية: أوضاع الأسرة الاقتصادية والسكنية تؤدي دورا هاما في وقوع العنف ضد المرأة في الأسرة، حيث أن انعدام المقدرة على توفير حاجات الأسرة أو التهرب من تأمينها أو ضيق المنزل وكثرة القاطنين فيه، كل ذلك يؤدي إلى حدوث خلافات مستمرة تتصاعد لحد العنف، إضافة إلى انعدام التوازن النفسي للرجل فضعف بنيته النفسية حيث يواجه بعض المصاعب في حياته اليومية، وينعكس ذلك عنفاً وخشونة على الضعيف حوله وهو ما أشار إليه مصطفى حجازي فيما يلي: "يتناسب القهر الذي يخضع له الرجل في المجتمع، فالأمر ليس مطلقاً عنيفاً ورضوخاً يقابلهما مجرد سيادة وتسلط، كلما كان الرجل أكثر عبثاً في مكانته الاجتماعية مارس قهراً أكبر على المرأة".²

8- خصائص النساء ضحايا العنف في الجزائر: تم إدخال عدة متغيرات من أجل تحديد هوية النساء ضحايا العنف وهوية المعتدين، وذلك بدراسة الخصائص الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية للضحايا.

الخصائص الديموغرافية للضحايا: لتحديد الخصائص الديموغرافية للنساء ضحايا العنف سنقوم بتوزيع أفراد العينة حسب السن والحالة الزوجية وعدد الأطفال الأحياء.

جدول رقم 02: توزيع النساء ضحايا العنف حسب العمر والحالة الزوجية.

الحالة الزوجية													
السن	19-15	24-20	29-25	34-30	39-35	44-40	49-45	54-50	59-55	64-60	+65	غير محدد	المجموع
متزوجة بعقد	2	10	48	67	71	74	57	39	13	10	2	64	457
متزوجة بالفاتحة	2	3	4	5	5	1	1	3	1	0	0	3	28
عزباء	30	30	47	24	10	11	7	2	2	1	0	16	180
مطلقة	2	6	11	19	20	22	19	3	5	3	1	14	125
أرملة	0	0	0	2	0	1	1	1	2	1	2	0	10
المجموع	36	49	110	117	106	109	85	48	23	48	5	97	800

Source : Réseau National des centres d'écoute des femmes victimes de violence en Algérie (2012), les violences contre les femmes en Algérie, Quatrièmes Résultats, BALSAM, p10.

¹ نفس المرجع، ص 133.

² مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، ط2، المركز العربي الثقافي، بيروت، لبنان، 2001، ص 202.

تعد الحالة الزوجية معيارا هاما للتمييز في التعرض للعنف، فمن خلال معطيات الجدول نلاحظ بأن أغلبية النساء ضحايا العنف متزوجات حيث بلغت نسبتهن 57.12% من مجموع النساء المعنفات، ويمكن تفسير ذلك بأن هذه الفئة من النساء أكثر عرضة لمختلف أنواع وأشكال العنف من قبل أزواجهن أو باقي أفراد الأسرة التي يعشن فيها وكذا الملاحظ أن المرأة أكثر عرضة للعنف بداية من العمر 25 حتى العمر 54، وفي المرتبة الثانية نجد فئة النساء العازبات بنسبة 22.5% ثم المطلقات بنسبة 15.62%، في حين لم تتجاوز هذه النسبة 1.25% عند الأرامل.

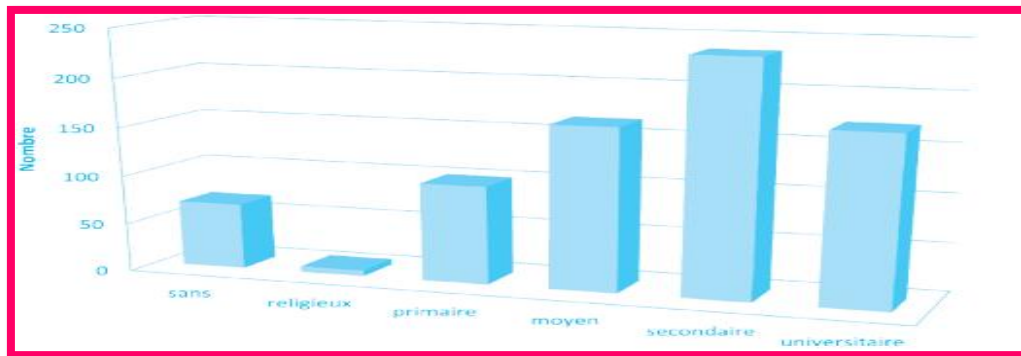
جدول رقم 03: عدد أطفال النساء المتزوجات والمطلقات أو المنفصلين عن ذويهم ضحايا العنف.

عدد الأطفال	0	1	2	3	4	+5	مجموع الضحايا	مجموع الأطفال
التكرار	181	114	109	94	54	27	614	1219
النسبة%	29	19	18	15	9	4	100	/

Source : Réseau National des centres d'écoute des femmes victimes de violence en Algérie (2012),
op.cit., p12.

وجود الأطفال هو بالنسبة للمرأة الضحية عاملا مشددا للعنف، بحيث يشكل الأطفال عقبة أمام مغادرة الزوج المسيء، فهن يترددن في حرمان أطفالهم من دفي العائلة والمنزل لا سيما النساء الغير العاملات بحيث يواجهن صعوبات مادية متعلقة بالسكن وإعالة الأطفال، ومعرفة جور بعض أحكام الطلاق المرتبطة بالمنحة غير الكافية حتى لتغطية الإيجار، والملاحظ من خلال معطيات الجدول بأن المرأة التي لم تنجب بعد أو التي ليس لديها أطفال أحياء معرضة أكثر من غيرها لظاهرة العنف المسلط ضدها، وقد تتعرض للطلاق، فالمرأة في المجتمعات العربية مطالبة بأداء أدوارها التقليدية كالإنجاب وإذا لم تؤدي هذه الأدوار تحط بنظرة غبن أو احتقار وحتى وإن كان ذلك على حساب صحتها الجسدية فقط لتلبية رغبة الزوج وإرضائه، والملاحظ أن العنف ينخفض كلما كان عدد الأطفال في ارتفاع حيث بلغت نسبة النساء المعرضات للعنف اللاتي لديهن أكثر من 5 أطفال 4%.

شكل رقم 03: المستوى التعليمي للنساء ضحايا العنف.



Source : Réseau National des centres d'écoute des femmes victimes de violence en Algérie (2012),
op.cit., p13.

عموما يمكن القول بأنه كلما ارتفع المستوى التعليمي للمرأة كلما ارتفعت معه نسبة العنف وذلك ربما يرجع لاستقلاليتهم كونهن واعيات بحقوقهن وواجباتهن اتجاه الأسرة وأزواجهن، وهذا ما لا يسمح به بعض الأزواج وبالتالي يلجؤون إلى استخدام العنف ضدهن قصد السيطرة على كل الأمور المتعلقة بالأسرة، فالنساء المتعلمات لا يكتمن الاعتداءات التي يتعرضن إليها عكس النساء غير المتعلمات.

جدول رقم 04: توزيع النساء ضحايا العنف حسب المهنة.

مهنة الضحية	عمل منتظم	عمل موازي أو غير رسمي	ماكثة في البيت	عاطلة عن العمل	طالبة	متقاعدة
العدد	139	45	446	54	30	11
النسبة %	19	6	62	7	4	2

Source : Réseau National des centres d'écoute des femmes victimes de violence en Algérie (2012), op.cit., p14.

يتضح من الجدول أعلاه أن النساء الماكثات في البيت أكثر عرضة للعنف بنسبة 62%، تليها نسبة النساء العاملات بنسبة 19%.

جدول رقم 05: توزيع النساء ضحايا العنف حسب علاقتهن بمرتكب العنف.

العلاقة	عدد الحالات	النسبة %
زوج	436	57
زوج سابق	92	12
الأب	60	8
الأخ	37	5
رئيس العمل	20	3
الأم	12	2
الخطيب	11	1
صديقها	8	1
الجار	10	1
الأخت	9	1
زميل	8	1
لا علاقة	8	1
زوجة الأب	7	1
الابن	4	1
الأب في القانون	3	0
فتاة	1	0
آخر	34	4

Source : Réseau National des centres d'écoute des femmes victimes de violence en Algérie (2012), op.cit., p21.

بعد تحديد هوية المرأة المعنفة والتي اتضحت بعض معالمها بعد تحليل معطيات الجداول السابقة، سنتعرف الآن عن أطراف العنف أو بالأحرى الأشخاص الذين مارسوا شكلا معيناً من العنف على المرأة، فيتبين لنا بعد استقراء المعطيات الموجودة في الجدول أن هوية الشخص الأكثر اعتداءً على المرأة هو الزوج بنسبة 57%، وأن ظاهرة العنف ضد المرأة لا تنحصر فقط داخل الأسرة بل تتعرض المرأة الجزائرية لصور وأشكال عديدة من العنف، فقد يكون المعتدي زوج الأم أو زوجة الأب أو زميلها في العمل أو من قبل فتاة من نفس جنسها.

خاتمة:

ظاهرة العنف ضد المرأة ظاهرة عالمية لا تقتصر على منطقة معينة من مناطق العالم، ويشكل العنف ضد النساء أكثر انتهاكات حقوق الإنسان انتشاراً، وهو موجود في جميع المجتمعات والجماعات الاجتماعية والاقتصادية، كما يمثل ظاهرة يومية في حياة كثير من النساء وطوال فترة حياتهن.

ولا يوجد دولة أو ثقافة تستطيع أن تزعم أنها خالية من ظاهرة العنف ضد النساء، والاختلاف الوحيد يكون في أنماط واتجاهات هذه الظاهرة، وعلى الرغم من أن بعض المجتمعات تحرر العنف ضد المرأة، إلا أن هذا العنف متأصل في صميم ثقافتها من حيث الممارسة، وغالباً ما يقع العنف تحت ستار الممارسات الثقافية والعادات والتقاليد والتفسير الخاطئ للدين خصوصاً إذا كان ضمن حدود الأسرة.

وعند الحديث عن علاج هذه الجريمة ووضع حل لها فيجب أن يكون القانون هو الطرف الآخر، فمن دون قانون يحمي الإنسان (المرأة)، ويوضح حدود وأحكام هذه الجريمة ويضع عقاباً مناسباً لصورها بنا لا يسمح لمرتكبها من الإفلات من العقاب، فلن يكون هناك أي نفع من كل ما قيل ويقال وكتب ويكتب عن العنف ضد النساء، وإن التوصيات النابعة من هذه الدراسة هي مفتاح المضي قدماً في عملية القضاء على العنف ضد المرأة:

● ضمان احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية كافة وحمايتها، وهذا يقودنا إلى الدعوة إلى التصديق ومن دون تحفظات على المواثيق الخاصة بحقوق الإنسان كافة لا سيما المتعلقة بحقوق المرأة.

● العمل الجاد والهادف على ضمان معرفة النساء كافة لحقوقهن وتمكينهن من المطالبة بتوفيرها وتعزيزها وممارستها لها.
● تعزيز ونشر ثقافة الجندر على كافة المستويات وفي مؤسسات الدولة كافة لضمان أن لا تؤدي السياسات الاجتماعية والاقتصادية بما في ذلك التخطيط الإنمائي إلى إدامة العنف وزيادة حدته وإنما يأخذ اتجاهها ومنحاً آخر وهو منع العنف ضد المرأة والقضاء عليه.

● جعل القوانين والسياسات والممارسات الوطنية تتفق مع الالتزامات الدولية، وهذا يتطلب إلغاء كافة التشريعات التي تتضمن تمييزاً ضد المرأة وضمان أن تتفق التشريعات الوطنية مع المعايير الدولية لحقوق الإنسان.

● تخصيص تشريع يعالج مشكلة العنف ضد المرأة بجميع أشكاله.

● وضع استراتيجية جديدة للنهوض بالمرأة تأخذ في اعتبارها المتغيرات الجديدة وتستفيد من الخبرات الدولية وتؤكد دعم وتعزيز ثقافة التكافؤ والمساواة ومناهضة التمييز ونبد العنف.

● تشجيع عمل المنظمات غير الحكومية لا سيما التي تعنى بشؤون المرأة وتهيئة الوسائل المناسبة للتعاون ما بينها وما بين المؤسسات الحكومية للتنسيق معها.

قائمة المراجع:

1. الباشا محمد الكافي، المعجم العربي الحديث، ط1، شركة المطبوعات، بيروت لبنان.
2. أميمة منير جادو، "العنف المدرسي بين الأسرة والمدرسة والإعلام"، الطبعة الأولى، دار السحاب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.
3. إعلان بشأن القضاء على العنف ضد المرأة، الدورة 48، البند 111 من جدول الأعمال، قرار اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة بناء على تقرير اللجنة الثالثة 48/629/أ، 1994.
4. التقريران الدوريان الثالث والرابع للجزائر، عن تنفيذ اتفاقية على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، 2009.
5. العادلي حسين درويش، العنف ضد المرأة: الأسباب والنتائج، من الموقع الإلكتروني <http://www.amanjadan.Nglanew>
6. الخير أمال، العنف ضد النساء... أين الرجولة في ضرب المرأة أو ثقب جسمها، أبحاث المركز التقدمي للدراسات وأبحاث مساواة المرأة، نقلا من الموقع الإلكتروني <http://www.echconline.org/information-center>
7. القرار رقم 34/54 في 17 كانون الأول، ديسمبر 1999.
8. الملحق الإحصائي للأمم المتحدة، عالم المرأة، اتجاهات وإحصاءات، 2010.
9. باربارا كرويست، حالة سكان العلم من النزاعات والأزمات إلى مرحلة التجديد، أجيال التغيير، صندوق الأمم المتحدة للسكان، 2010.
10. جنان الأسطة، معجم المصطلحات والمفردات المعنية بالعنف المبني على أساس النوع الاجتماعي، صندوق الأمم المتحدة للسكان بلبان، UNFPA، 2012.
11. حسين درويش العادلي، العنف ضد المرأة الأسباب والنتائج، منشور على موقع www.annabaa.org
12. حويطي أحمد وخطاطي مصطفى، العنف المدرسي: الأسباب والمظاهر، دراسة ميدانية في ثانويات بالجزائر العاصمة، مرصد حقوق الطفل، فورام للنشر والتوزيع، 2004.
13. حسين فايد، علم النفس المرضي، مؤسسة حورس الدولية ومؤسسة طبية للنشر، القاهرة، 2003.
14. حيدر البصري، العنف الأسري: الدوافع والحلول، الطبعة الأولى، دار المعجزة البيضاء، بيروت، لبنان، 2001.
15. خربوش إبراهيم وآخرون، العنف الزوجي في مصر، المكتب المرجعي للسكان، القاهرة، مصر، 2010.
16. ديدان مولود (2007)، قانون العقوبات حسب آخر تعديل له، قانون 06-23 المؤرخ في 20 ديسمبر 2006، دار بلقيس، الجزائر، 2007.
17. سهيل مقدم، "من أجل إستراتيجية فعالة في مواجهة العنف الاجتماعي"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 08، 2012.
18. علي مهنا عبد الإله، لسان اللسان، تهذيب لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين، محمد بن مكرم ابن منظور، بعناية مكتب الثقافي لتحقيق الكتب، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993.
19. عبد الوهاب ليلى، العنف الأسري، الجريمة والعنف ضد المرأة، دار الهدى للثقافة والنشر، بيروت، 1994.
20. عبد الله عطوي، السكان والتنمية البشرية، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2004.
21. معتوق جمل، مدخل إلى علم الاجتماع الجنائي "أهم النظريات المفسرة للجريمة والانحراف"، ج1، دار مرابط، الجزائر، 2008.
22. منظمة الصحة العالمية، التقرير العالمي حول العنف والصحة، المكتب الإقليمي للشرق المتوسط، القاهرة، 2003.

23. ملخص نتائج دراسة العنف ضد النساء في مصر، دراسة صادرة عن المجلس القومي للمرأة ضمن مشروع "مناهضة العنف ضد المرأة"، الممول من هيئة المعونة الأمريكية للتنمية الدولية USAID، 2009.
24. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، ط2، المركز العربي الثقافي، بيروت، لبنان، 2001.
25. ناصر الدين محمد الشاعر، "العنف العائلي ضد المرأة، أسبابه والتدابير الشرعية للحد منه"، مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، المجلد 17، نابلس، فلسطين، 2003.
26. نادية محمد مصطفى، الأمة الإسلامية في عصر العولمة وقضية المرأة بين التحديات والاستجابات، مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة، ب، س، ن.
27. نظرة للدراسات النسوية، العنف الجنسي ضد النساء والفتيات في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، نظرة للدراسات النسوية، 2016.
28. هاشم محمد الطويل، الأسباب الاجتماعية والاقتصادية للعنف المجتمعي من وجهة نظر الطلبة الجامعيين، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 4، العدد الأول، الأردن، 2011.
29. هيفاء أبو غزالة، تقرير حول العنف ضد المرأة، المجلس الوطني لشؤون الأسرة.
30. ياكين ايرتورك، المقررة الخاصة المعنية بالعنف ضد المرأة في الجزائر، الدورة السابعة، مجلس حقوق الإنسان، 2008.
31. Heise Pitangy, **La violence contre les femmes**, Ed. O.M.S, Genève, 1997.
32. Réseau National des centres d'écoute des femmes victimes de violence en Algérie, **les violences contre les femmes en Algérie**, Quatrièmes Résultats, BALSAM, 2012.
33. <http://www.noonpost.net/content/4439>

مظاهر الاستخدام لأدوات الإعلام الرقمي في الفضائيات العربية الإخبارية

Usage aspects of digital media tools in Arab satellite news channels

د. وداد عوض الكريم محمد سعيد ط. د. يحيى باسم يحيى عياش / جامعة الجزيرة، السودان

Dr. Wedad Awad Alkareem Mohammed Saaed/, Al-Gezira University, Sudan

Mr. Yahya Bassem Yahya Ayyash/PhD student, Al-Gezira University, Sudan,

Abstract

The study aimed to identify the aspects of the use of Arab satellite news for digital media tools and to observe the used form, through the methodology of media survey by following-up sample of these satellite channels. The researchers used tools observation and content analysis to collect data. The study sample consisted of three Arabic-speaking news satellite channels. These channels are BBC Arabic, Sky News and Frans24. The study concluded that the study sample uses digital media in various forms, most notably; allocating satellite pages on digital media applications, feeding newsletters with the production of digital media, serve live broadcasting on Digital media applications and allocating space programs related to digital media. Based on these results, two researchers recommend on the importance of taking advantage of digital media applications in the visual content of Arab news channels, in addition Arab universities and media colleges customize some courses and sections join visual media with digital media in particular, as well as the rest of traditional media.

Keywords: Digital Media, Satellite TV, Usage, News.

ملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على مظاهر استخدام الفضائيات العربية الإخبارية لأدوات الإعلام الرقمي، ورصد الأشكال المستخدمة، من خلال منهج المسح الإعلامي بمتابعة عينة من هذه الفضائيات، واستخدم الباحثان أداتي الملاحظة وتحليل المضمون لجمع البيانات، وتمثلت عينة الدراسة في ثلاث فضائيات إخبارية ناطقة بالعربية، وهي: قناة بي بي سي العربية، وقناة سكاي نيوز، وقناة فرانس 24، وخلصت النتائج إلى أن عينة الدراسة تستخدم الإعلام الرقمي بأشكال متعددة، أبرزها: تخصيص صفحات تابعة للفضائيات على تطبيقات الإعلام الرقمي، وتغذية النشرات الإخبارية بإنتاج الإعلام الرقمي، وخدمة البث المباشر على تطبيقات الإعلام الرقمي وتخصيص برامج فضائية تتعلق بالإعلام الرقمي، وبناء على هذه النتائج، يوصي الباحثان بأهمية الاستفادة من تطبيقات الإعلام الرقمي في المحتوى المرئي للفضائيات الإخبارية العربية، إلى جانب ضرورة تخصيص الجامعات العربية وكليات الإعلام فيها، لمساقات وأقسام تتناول الجمع بين تخصصي الإعلام الرقمي والإعلام المرئي تحديداً، وكذلك باقي وسائل الإعلام التقليدية.

الكلمات المفتاحية: الإعلام الرقمي، الفضائيات، الاستخدام، الأخبار

مقدمة:

لا تزال أدوات الإعلام الرقمي تنصدر الدراسات والأبحاث الإعلامية، نظراً لتأثيرها الملحوظ الذي طال جميع وسائل الإعلام التقليدية، ما دفع الوسائل التقليدية لعمل كل ما بوسعها من أجل استثمار هذه المنصات الاجتماعية، في سبيل زيادة جمهورها وتوسيع تأثير الرسالة الإعلامية لتصل إلى أبعد مدى ممكن.

ونظراً لأهمية هذه الأدوات سارع القائمون على وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية لإنشاء صفحات رديفة تقوم بالترويج لهوية الوسيلة الإعلامية الأصلية ونشر المواد الصحفية المنتجة من قبل هذه الوسائل عبر تطبيقات الإعلام الجديد، ولم تكتفي الوسائل بهذا الحد؛ بل حجز الإعلام الرقمي نفسه على صفحات متخصصة في الجرائد، وكذلك مساحات رئيسية من البرامج الإذاعية والتلفزيونية.

وبناءً على ذلك بدأت الفضائيات بإنشاء مواقع إلكترونية تابعة لها، إلى جانب صفحات خاصة بها على مواقع التواصل الاجتماعي والمنصات الاجتماعية، لنشر إنتاجاتها المرئية من تقارير ونشرات إخبارية وبرامج مختلفة على هذه الوسائل الجديدة؛ بل أصبحت القنوات الفضائية اليوم تضع ضمن خططها البرمجية نشرات إخبارية تعتمد بشكل كامل على الأخبار المنشورة عبر صفحات نشطاء الإعلام الرقمي، إضافةً للبرامج التلفزيونية المختصة بهذا النوع الجديد من الإعلام.

وتحاول الفضائيات الارتباط بأدوات الإعلام الرقمي لتضمن لنفسها الجمهور الذي يقضى معظم وقته بين المنصات الاجتماعية، فكما تُشير الدراسات البحثية فإنّ فئة الشباب الأكثر استخداماً لشبكات التواصل الاجتماعي، حيث أنهم يقضون يومياً ساعات ليست بالقليلة على هذه المواقع والأدوات، سواء من خلال الهواتف الذكية التي لا تفارق أيديهم، أو من خلال الحواسيب المحمولة والموجودة في بيوتهم وأماكن عملهم.

وتأتي هذه الدراسة؛ للتعرف بشكلٍ دقيق على مظاهر الاستخدام لأدوات الإعلام الرقمي في الفضائيات العربية الإخبارية، من خلال متابعة عدد من هذه الفضائيات والأدوات الرقمية التابعة لها، ورصد أوجه الاستفادة من مميزات الشبكات الاجتماعية، التي تحظى بقدر كبير من خاصيتي التفاعلية والأنية.

الاستدلال على المشكلة:

بناءً على متابعة الباحث بشكلٍ دائم لأدوات الإعلام الرقمي بوسائلها المختلفة، بحكم عمله في مجال الصحافة الإلكترونية خلال العشرة أعوام الأخيرة، إلى جانب مشاهدته للقنوات الفضائية العربية وخاصة الإخبارية منها، فقد لاحظ الباحثان الآتي:

1. انتشار الكثير من الفيديوهات على أدوات الإعلام الرقمي التابعة للقنوات الفضائية سواء التقارير والنشرات الإخبارية أو الأفلام والمسلسلات الدرامية أو غيرها من الإصدارات المرئية التي تتبع في أصلها للتلفزيون.
2. يُعد موقع "اليوتيوب" أبرز أدوات الإعلام الرقمي التي تستخدمها الفضائيات لنشر إنتاجها المرئي، في محاولة منها لزيادة جمهورها وكسب فئة الشباب المتواجدين في معظم أوقاتهم على المنصات الاجتماعية.
3. خصصت عدد من الفضائيات العربية الإخبارية نشرات وبرامج مختصة بمتابعة الأحداث الموجودة على تطبيقات الإعلام الرقمي، ووضعها ضمن خطتها البرمجية وبثها التلفزيوني اليومي.
4. وجود عدد من القنوات الموازية للفضائيات تبث بشكلٍ لحظي على أدوات الإعلام الرقمي وهو ما يُعرف بتقنية "البث المباشر"، التي تسمح للجمهور بمتابعة ما يبثه التلفزيون من خلال المنصات الاجتماعية.

مشكلة الدراسة وصياغتها:

تتلخص مشكلة البحث في التعرف على مظاهر الاستخدام لأدوات الإعلام الرقمي في الفضائيات العربية الإخبارية، من خلال متابعة عدد من هذه الفضائيات والأدوات الرقمية التابعة لها، ورصد أوجه الاستفادة من مميزات الشبكات الاجتماعية، التي تحظى بقدر كبير من خاصية التفاعلية والأنية.

أهمية الدراسة:

فرضت تطبيقات الإعلام الرقمي نفسها على وسائل الإعلام التقليدية لا سيما القنوات الفضائية التي تحظى بخصائص كثيرة تجذب الجماهير حول الشاشة، وتنحصر أهمية الدراسة في النقاط التالية:

1. حداثة الدراسات الإعلامية التي تتناول الإعلام الرقمي بشكلٍ عام، والدراسات التي تبحث دور المنصات الاجتماعية وتأثيرها على الوسيلة المرئية "التلفزيون".
2. تزويد المكتبات العلمية العربية بالأبحاث والدراسات الإعلامية التي تتناول هذا الموضوع، نظراً لقلّة الدراسات التي تهتم باستخدام أدوات الإعلام الرقمي في زيادة جمهور القنوات الفضائية.
3. أهمية التحقق من مدى استفادة القنوات الإخبارية العربية بشكلٍ أمثل من المنصات الاجتماعية من خلال استقطاب مشاهدين جدد.
4. قد تكون نتائج هذه الدراسة منطلقاً لباحثين آخرين للتعمق في دراسة الموضوع ومقارنته بالتجارب العالمية المماثلة، والتي يتوقع الباحث أنها ستشكل قاعدة علمية ومعرفية للباحثين مستقبلاً حول استخدام أدوات الإعلام الرقمي في زيادة جماهير الوسائل التقليدية بشكل عام.

أهداف وتسؤلات الدراسة:

تهدف الدراسة لتحقيق هدف رئيسي وهو معرفة مظاهر استخدام الأدوات المختلفة للإعلام الرقمي في الفضائيات العربية الإخبارية، وفي إطار هذا الهدف العام نذكر الأهداف الفرعية الآتية:

1. التعرف على طبيعة أدوات الإعلام الرقمي المستخدمة في الفضائيات العربية الإخبارية.
2. رصد أشكال التوظيف المتبعة من قبل القائمين على الفضائيات العربية الإخبارية، لأدوات الإعلام الرقمي.
3. التعرف على مدى استخدام الفضائيات العربية الإخبارية لجميع أدوات الإعلام الرقمي.

نوع الدراسة ومنهجها وأدواتها:

1. نوع الدراسة:

تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية، وهي التي تصور بدقة خصائص فرد بذاته أو جماعة أو موقف، ويهدف هذا النوع من البحوث لتحديد مرات حدوث شيء ما أو اقتران ظهور شيء بآخر، وتفسير الظواهر كلما كان ذلك ممكناً⁽¹⁾.

حيث أنّ الدراسة الحالية تسعى لوصف ورصد مظاهر استخدام أدوات الإعلام الرقمي في الفضائيات العربية الإخبارية، لأجل التعرف على الزيادة المتحققة في مشاهدة القنوات الفضائية الإخبارية العربية من خلال هذه الأدوات، مع تحديد مدى استفادة التلفزيون من أدوات الإعلام الرقمي في كسب الجماهير، بواسطة جمع وتفسير البيانات التي تنتج عن إجراءات الدراسة.

2. منهج الدراسة:

تستخدم هذه الدراسة منهج المسح الإعلامي، الذي يعد من أنسب المناهج العلمية لملاءمة لهذه الدراسة، كونه يندرج تحت قائمة البحوث الوصفية، وهو من المناهج العلمية المنظمة التي تهدف لجمع البيانات والمعلومات الخاصة بهذه الدراسة، ويُعرف هذا المنهج بأنه "مجموعة الظواهر، موضوع البحث من العدد الحدي من المفردات المكونة لمجتمع البحث، ولفترة زمنية كافية للدراسة، بهدف تكوين القاعدة الأساسية من البيانات والمعلومات المطلوبة في مجال تخصص معين"⁽²⁾.

وفي إطار هذا المنهج تعتمد الدراسة على أسلوب: تحليل المضمون، بهدف التعرف على مدى استفادة القنوات الفضائية العربية الإخبارية من أدوات الإعلام الرقمي.

3. أدوات جمع البيانات:

تعتمد الدراسة على أداتي تحليل المضمون والملاحظة، وفي إطار منهج المسح الإعلامي، تستخدم الدراسة أداة استمارة تحليل المضمون، التي "تسعى إلى اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى، والعلاقات الارتباطية بهذه المعاني، من خلال البحث الكمي والموضوعي والمنظم للسمات الظاهرة في المحتوى"⁽³⁾.

واستخدمها الباحثان بهدف الكشف عن المضمون المرئي لعدد من القنوات الفضائية العربية الإخبارية من خلال متابعة عينة من أدوات الإعلام الرقمي الخاصة بها، لدراسة حجم استفادة القنوات الفضائية الإخبارية من أدوات الإعلام الرقمي.

(1) محمد منير حجاب، الأسس العلمية لكتابة الرسائل الجامعية، ط3 (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2000م)، ص26

(2) بسام مشاقبة، مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب، ط1 (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2010م) ص60

(3) سمير حسين، بحوث الإعلام، ط3 (القاهرة: عالم الكتب، 2010م) ص160

أما الأداة الثانية التي اعتمد عليها الباحثان فهي الملاحظة، وهي إحدى أدوات البحث العلمي، وتعرف بأنها "المشاهدة الدقيقة لظاهرة ما، مع الاستعانة بأساليب البحث والدراسة التي تتلاءم مع طبيعة هذه الظاهرة، وبمعناها الخاص تطلق على الحقائق المشاهدة التي يقرها الباحث في فرع خاص من فروع المعرفة"⁽¹⁾.

مجتمع الدراسة وعينتها:

1-مجتمع الدراسة، ويتمثل في الفضائيات العربية الإخبارية بشكل عام، والأدوات الرقمية التابعة لها. الشبكات الاجتماعية.
2-عينة الدراسة، وجرى اختيارها بطريقة العينة العمدية، وهي تحليل عينة من تطبيقات الإعلام الرقمي التابعة لثلاث فضائيات إخبارية ناطقة باللغة العربية، وهي (قناة "بي بي سي" العربية BBC) و(قناة "سكاي نيوز" عربية)، و(قناة "فرانس 24").

الدراسة التطبيقية: مظاهر الاستخدام لأدوات الإعلام الرقمي في الفضائيات العربية الإخبارية

فرضت أدوات الإعلام الرقمي نفسها على الإعلام التقليدي (المكتوب والمسموع والمرئي والإلكتروني)، بسبب انتشارها الواسع بين فئة كبيرة من المجتمع، وتأثير رسالتها القوي من خلال الحملات المنظمة على شبكات التواصل الاجتماعي، أو من خلال الرسالة اليومية لمستخدمي هذه التطبيقات، والتي عكست أهمية كبيرة، دفعت القائمين على القنوات الفضائية وكحال باقي الوسائل التقليدية، إلى البحث عن آليات تمكنهم من استفادة من خصائص ومميزات الإعلام الرقمي.

وتنوعت استخدامات أدوات الإعلام الرقمي في الفضائيات الإخبارية، فبدأت هذه الفضائيات بتخصيص مساحات خاصة بها على شبكات التواصل الاجتماعي، وإنشاء صفحات خاصة تحمل اسمها وتنشر المضمون الذي تنشره على الشاشات عبر هذه الوسائل، ومن ثم توسعت استفادة الفضائيات من الإعلام الجديد في تغذية النشرات الإخبارية بالفيديوهات المنشورة على الشبكات الاجتماعية.

ولم يتوقف استخدام الفضائيات الإخبارية لأدوات الإعلام الرقمي عند هذا الحد، بل اتجهت هذه الوسيلة المرئية إلى التخصص في خطتها البرمجية، وأصبحنا نرى برامج مستقلة تعتمد بشكل كامل على الإعلام الجديد وتهتم بتطوراتها المتسارعة.

وبالرغم من قوة التلفزيون وقدرته على جذب الانتباه عبر الصورة، إلا أن وسائل الإعلام الجديدة قد تفوقت عليه بخصائص عدة، لعل أهمها الديناميكية والتفاعلية والجمع بين النص والصورة والصوت في ملف واحد وسهولة الحمل والتنقل، كل تلك الخصائص مكنت وسائل الاتصال الجديدة من اقتحام كل مجالات الحياة، حتى العائلية والحميمية منها، ومست كل الشرائح الاجتماعية والمهنية والعمرية، ما أثر على التلفزيون وإشعاعه كوسيلة إعلام جماهيرية طبعت وجودها بوضوح في التاريخ⁽²⁾.

ولعل قدرة الشباب على استخدام التكنولوجيا الجديدة في الوصول للأخبار والمعلومات، بل في إنتاجها وتوزيعها عبر وسائل الإعلام الجديدة، كمواقع الإنترنت والمدونات ورسائل الهاتف؛ منع الاحتكار التقليدي للأخبار والمعلومات⁽³⁾.

(1) ناهد عرفة، مناهج البحث العلمي، ط1 (القاهرة: إصدارات الجمعية الفلسفية المصرية، 2006)، ص38

(2) سيف الدين العامري، التلفزيون والميديا الجديدة: تهديد أم احتواء؟، المرصد العربي للصحافة، متاح بتاريخ 2019-03-17، على الرابط

الآتي: <http://cutt.us/Nuef6>

(3) علي عبد الفتاح، الإعلام الدولي والعمولة الجديدة (عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2016)، ص34

وهو ما دفع القنوات الفضائية الإخبارية للاستعانة بصحافة المواطن في خطتها البرمجية، سواء من خلال الاستفادة من إنتاج الإعلام الجديد في النشرات الإخبارية، أو تخصيص برامج تعتمد على الإعلام الجديد بشكل كامل، إضافة إلى تنفيذ دورات متخصصة للمراسلين والكوادر الإعلامية العاملة في الوسيلة المرئية، لأجل تأهيلهم وتمكينهم في القدرة على صناعة المحتوى المرئي بواسطة الهواتف المحمولة وتطبيقات الإعلام الرقمي.

وبناء على ما سبق، يعرض الباحثان نتائج الدراسة التطبيقية والتي رصدت مظاهر الاستخدام لأدوات الإعلام الرقمي في ثلاث فضائيات إخبارية ناطقة بالعربية، هي قناة بي بي سي العربية، وقناة سكاي نيوز، وقناة فرانس 24.

1. مظاهر استخدام أدوات الإعلام الرقمي في قناة "بي بي سي" العربية BBC:

1.1. صفحات تابعة لهذه القناة على تطبيقات الإعلام الرقمي:

أ. صفحة "BBC News عربي" على موقع "فيسبوك": هي صفحة على موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك" وتابعة لقناة "بي بي سي العربية"، وتم إنشائها في عام 2008، ويتابعها أكثر من 10 مليون معجب، وتنشر بشكل يومي التقارير المرئية التي يتم بثها على القناة الفضائية، إلى جانب التقارير المكتوبة التي تنشر على الموقع الإلكتروني التابع للقناة، وتتيح الصفحة لزوارها روابط مباشرة لموقعها الإلكتروني وصفحتها على موقع "يوتيوب" وكذلك البث التلفزيوني والإذاعي المباشر على الإنترنت⁽¹⁾.

ب. صفحة "BBC News عربي" على موقع "تويتر": هي الصفحة الرسمية لقناة "بي بي سي العربية" على موقع "تويتر"، وتم إنشائها في عام 2009، ويتابعها أكثر من 6 مليون شخص، وتنشر بشكل يومي التقارير المرئية التي يتم بثها على القناة الفضائية، إلى جانب التقارير المكتوبة التي تنشر على الموقع الإلكتروني التابع للقناة، وتتيح لزوارها روابط مباشرة لموقعها الإلكتروني وصفحة "تويتر" منفصلة لمتابعة الأخبار العاجلة وحساب القناة عبر تيلغرام وخدمة البث المباشر الخاصة بموقع "تويتر"⁽²⁾.

ت. صفحة "BBC News عربي" على موقع "يوتيوب": هي صفحة على موقع "يوتيوب" تابعة لقناة "بي بي سي العربية"، وتم إنشائها في عام 2009، ومشارك فيها أكثر من 2 مليون شخص، وتنشر فيديوهات لتقارير وبرامج ونشرات إخبارية يتم بثها على القناة الفضائية، وحصلت هذه الفيديوهات على أكثر من نصف مليار مشاهدة، وتتضمن الصفحة خدمة بث مباشر على مدار الساعة، وتتضمن أيضا حلقات من برنامج متخصص بالإعلام الجديد يُعرض على القناة التلفزيونية باسم (بي بي سي تريندينغ)، إضافة إلى أفلام وثائقية من إنتاج القناة، وبعض البرامج والتغطيات الخاصة⁽³⁾.

ث. صفحة "bbcarabic" على موقع "إنستغرام": هي الصفحة الرسمية لقناة "بي بي سي العربية" عبر موقع "إنستغرام" والمختص بشكل أساسي بالصور، رغم أنه يتيح خدمة نشر الفيديوهات وكذلك البث المباشر، وتم إنشائها في عام 2004، ويتابعها 928 ألف شخص، وتنشر صوراً وفيديوهات لتقارير وبرامج ونشرات إخبارية يتم بثها على القناة الفضائية، إلى جانب البث المباشر من خلال هذه المنصة، وتتيح لزوارها رابط مباشر فقط للموقع الإلكتروني للقناة⁽⁴⁾.

(1) موقع فيسبوك، صفحة بي بي سي العربية (BBC News عربي)، متاح بتاريخ 2019-04-01، على الرابط الآتي:

<https://www.facebook.com/bbcarabic/>

(2) موقع تويتر، صفحة BBC News عربي، متاح بتاريخ 2019-04-01، على الرابط الآتي: <https://twitter.com/BBCArabic>

(3) موقع يوتيوب، صفحة BBC News عربي، متاح بتاريخ 2019-04-01، على الرابط الآتي:

<https://www.youtube.com/user/BBCArabicNews>

(4) موقع إنستغرام، صفحة bbcarabic، متاح بتاريخ 2019-04-01، على الرابط الآتي: <https://www.instagram.com/bbcarabic/>

2.1. تغذية النشرات الإخبارية بإنتاج الإعلام الرقمي:



الشكل رقم (1): لقطة من إحدى النشرات الإخبارية في قناة "بي بي سي العربية"

هناك تباين بين آراء خبراء الإعلام في أن إنتاج الإعلام الرقمي هو أكثر المصادر التي تعتمد عليها القنوات الفضائية في استقاء مادتها الإعلامية، لكن من خلال ملاحظة الباحث ومتابعته لقناة "بي بي سي العربية"، وجد أن القناة تغذي نشراتها الإخبارية من المواد الإعلامية المنشورة على الإعلام الرقمي، وتحديدًا الفيديوهات والصور التي يلتقطها النشطاء من أماكن يتعذر وصول المراسلين والوكالات إليها، إضافة إلى تغذية نشرات الأخبار باقتباس آراء نشطاء ومحللين وشخصيات سياسية في فواصل إخبارية على شكل تصاميم خاصة بالقناة.

3.1. تخصيص برامج فضائية تتعلق بالإعلام الرقمي:

وضعت قناة "بي بي سي العربية" في خطتها البرمجية برنامجًا مختصًا بالإعلام الجديد بعنوان "بي بي سي ترنديغ"، ويعتمد البرنامج بشكل كامل على قضايا نالت تفاعلًا كبيرًا على مواقع التواصل الاجتماعي وأثارت جدلاً، من خلال قصص وفيديوهات مختلفة، إلى جانب ردود وتعليقات النشطاء على هذه القضايا.

ويحتل هذا البرنامج على مساحة بث يومية على قناة "بي بي سي العربية"، وتستقبل القناة تفاعل نشطاء مواقع التواصل الاجتماعي مع البرنامج عن طريق هشتاغ #بي-بي-سي-ترنديغ، وتُنشر حلقات البرنامج بشكل دوري على صفحات الإعلام الجديد التابعة للقناة (فيسبوك وتويتر ويوتيوب).



الشكل رقم (2): لقطة من برنامج "بي بي سي ترندينج"

2. مظاهر استخدام أدوات الإعلام الرقمي في قناة "سكاي نيوز" عربية:

1.2. صفحات تابعة لهذه القناة على تطبيقات الإعلام الرقمي:

- أ. صفحة "سكاي نيوز عربية" Sky News Arabia على موقع "فيسبوك": هي صفحة على موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك" وتابعة لقناة "سكاي نيوز عربية"، وتم إنشائها في عام 2011، ويتابعها أكثر من 12 مليون معجب، وتنشر بشكل يومي التقارير المرئية التي يتم بثها على القناة الفضائية، إلى جانب التقارير المكتوبة التي تنشر على الموقع الإلكتروني التابع للقناة، وتتيح الصفحة لزوارها روابط مباشرة لموقعها الإلكتروني وصفحتها على موقع "يوتيوب" و"تويتر"⁽¹⁾.
- ب. صفحة "سكاي نيوز عربية" على موقع "تويتر": هي الصفحة الرسمية لقناة "سكاي نيوز عربية" على موقع "تويتر"، وتم إنشائها في عام 2010، ويتابعها أكثر من 4 مليون شخص، وتنشر بشكل يومي التقارير المرئية التي يتم بثها على القناة الفضائية، إلى جانب التقارير المكتوبة التي تنشر على الموقع الإلكتروني التابع للقناة، وتتيح لزوارها رابط مباشر لموقعها الإلكتروني⁽²⁾.
- ت. صفحة "سكاي نيوز عربية" على موقع "يوتيوب": هي صفحة على موقع "يوتيوب" تابعة لقناة "سكاي نيوز عربية"، وتم إنشائها في عام 2011، ومشارك فيها ما يقارب 840 ألف شخص، وتنشر فيديوهات لتقارير وبرامج ونشرات إخبارية يتم بثها على القناة الفضائية، وحصلت هذه الفيديوهات على أكثر من ربع مليار مشاهدة، وتتضمن الصفحة خدمة بث مباشر على مدار الساعة، وتتضمن أيضا نشرات إخبارية وحلقات من برامج متنوعة يتم بثها على القناة الفضائية⁽³⁾.

(1) موقع فيسبوك، صفحة سكاي نيوز عربية (Sky News Arabia)، متاح بتاريخ 2019-04-01، على الرابط الآتي:

<https://www.facebook.com/SkyNewsArabia/>

(2) موقع تويتر، صفحة سكاي نيوز عربية، متاح بتاريخ 2019-04-01، على الرابط الآتي: <https://twitter.com/skynewsarabia>

(3) موقع يوتيوب، صفحة سكاي نيوز عربية، متاح بتاريخ 2019-04-01، على الرابط الآتي:

<https://www.youtube.com/user/skynewsarabia>

ث. صفحة "skynewsarabia" على موقع "إنستغرام": هي الصفحة الرسمية لقناة "سكاي نيوز عربية" عبر موقع "إنستغرام" والمختص بشكل أساسي بالصور، رغم أنه يتيح خدمة نشر الفيديوهات وكذلك البث المباشر، وتم إنشائها في عام 2014، ويتابعها مليون شخص، وتُنشر صوراً وفيديوهات لتقارير وبرامج ونشرات إخبارية يتم بثها على القناة الفضائية، إلى جانب البث المباشر من خلال هذه المنصة، وتتيح لزوارها رابط مباشر فقط للموقع الإلكتروني للقناة⁽¹⁾.

2.2. تغذية النشرات الإخبارية بإنتاج الإعلام الرقمي:



الشكل رقم (3): لقطة من إحدى النشرات الإخبارية في قناة "سكاي نيوز عربية"

هناك تباين بين آراء خبراء الإعلام في أن إنتاج الإعلام الرقمي هو أكثر المصادر التي تعتمد عليها القنوات الفضائية في استقاء مادتها الإعلامية، لكن من خلال ملاحظة الباحث ومتابعته لقناة "سكاي نيوز عربية"، وجد أن القناة تغذي نشراتها الإخبارية من المواد الإعلامية المنشورة على الإعلام الرقمي، وتحديدًا الفيديوهات والصور التي يلتقطها النشطاء من أماكن يتعذر وصول المرسلين والوكالات إليها، إضافة إلى تغذية نشرات الأخبار باقتباس آراء نشطاء ومحللين وشخصيات سياسية في فواصل إخبارية على شكل تصاميم خاصة بالقناة.

3. مظاهر استخدام أدوات الإعلام الرقمي في قناة "فرانس 24":

1.3. صفحات تابعة لهذه القناة على تطبيقات الإعلام الرقمي:

أ. صفحة "فرانس 24" France 24 Arabic على موقع "فيسبوك": هي صفحة على موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك" وتابعة لقناة "فرانس 24"، وتم إنشائها في عام 2010، ويتابعها أكثر من 7 مليون معجب، وتُنشر بشكل يومي التقارير المرئية التي يتم بثها على القناة الفضائية، إلى جانب التقارير المكتوبة التي تُنشر على الموقع الإلكتروني التابع للقناة، وتتيح الصفحة لزوارها روابط مباشرة لموقعها الإلكتروني وصفحتها على موقع "يوتيوب" وكذلك البث التلفزيوني المباشر على الإنترنت⁽²⁾.

⁽¹⁾ موقع إنستغرام، صفحة skynewsarabia، متاح بتاريخ 2019-04-01، على الرابط الآتي:

<https://www.instagram.com/skynewsarabia/>

⁽²⁾ موقع فيسبوك، صفحة فرانس 24 (France 24 Arabic)، متاح بتاريخ 2019-04-01، على الرابط الآتي:

<https://www.facebook.com/France24.Arabic>

ب. صفحة "فرانس 24" / France 24 على موقع "تويتر": هي الصفحة الرسمية لقناة "فرانس 24" على موقع "تويتر"، وتم إنشائها في عام 2009، ويتابعها أكثر من 8 مليون شخص، وتنشر بشكل يومي التقارير المرئية التي يتم بثها على القناة الفضائية، إلى جانب التقارير المكتوبة التي تنشر على الموقع الإلكتروني التابع للقناة، وتتيح لزوارها روابط مباشرة لموقعها الإلكتروني وصفحتها على موقع "فيسبوك"⁽¹⁾.

ت. صفحة فرانس 24 / France 24 Arabic على موقع "يوتيوب": هي صفحة على موقع "يوتيوب" تابعة لقناة "فرانس 24"، وتم إنشائها في عام 2007، ومشارك فيها أكثر من مليون شخص، وتُنشر فيديوهات لتقارير وبرامج ونشرات إخبارية يتم بثها على القناة الفضائية. وحصلت هذه الفيديوهات على ما يقرب من نصف مليار مشاهدة، وتتضمن الصفحة خدمة بث مباشر على مدار الساعة، وتتضمن أيضا نشرات إخبارية وحلقات من برامج متنوعة، إلى جانب التغطيات والملفات الخاصة⁽²⁾.

ث. صفحة "France24-ar" على موقع "إنستغرام": هي الصفحة الرسمية لقناة "فرانس 24" عبر موقع "إنستغرام" والمختص بشكل أساسي بالصور، رغم أنه يتيح خدمة نشر الفيديوهات وكذلك البث المباشر، وتم إنشائها في عام 2014، ويتابعها 515 ألف شخص، وتنشر صورا وفيديوهات لتقارير وبرامج ونشرات إخبارية يتم بثها على القناة الفضائية، إلى جانب البث المباشر من خلال هذه المنصة، وتتيح لزوارها رابط مباشر فقط للموقع الإلكتروني للقناة⁽³⁾.

2.3. تغذية النشرات الإخبارية بإنتاج الإعلام الرقمي:



الشكل رقم (4): لقطة من إحدى النشرات الإخبارية في قناة "فرانس 24"

هناك تباين بين آراء خبراء الإعلام في أن إنتاج الإعلام الرقمي هو أكثر المصادر التي تعتمد عليها القنوات الفضائية في استقاء مادتها الإعلامية، لكن من خلال ملاحظة الباحث ومتابعته لقناة "فرانس 24"، وجد أن القناة تغذي نشراتها الإخبارية من المواد

(1) موقع تويتر، صفحة فرانس 24 / France 24، متاح بتاريخ 2019-04-01، على الرابط الآتي: <https://twitter.com/France24-ar>

(2) موقع يوتيوب، فرانس 24 / France 24 Arabic، متاح بتاريخ 2019-04-01، على الرابط الآتي:

<https://www.youtube.com/user/france24arabic>

(3) موقع إنستغرام، صفحة France24-ar، متاح بتاريخ 2019-04-01، على الرابط الآتي: <https://www.instagram.com/france24-ar/>

الإعلامية المنشورة على الإعلام الرقمي، وتحديدًا الفيديوهات والصور التي يلتقطها النشطاء من أماكن يتعذر وصول المرسلين والوكالات إليها، إضافة إلى تغذية نشرات الأخبار باقتباس آراء نشطاء ومحللين وشخصيات سياسية في فواصل إخبارية على شكل تصاميم خاصة بالقناة.

3.3. تخصيص برامج فضائية تتعلق بالإعلام الجديد:

وضعت قناة "فرانس 24" في خطتها البرمجية برنامجًا مختصًا بالإعلام الرقمي بعنوان "هشتاغ"، ويعتمد البرنامج بشكل كامل على قضايا نالت تفاعلًا كبيرًا على مواقع التواصل الاجتماعي وأثارت جدلاً، من خلال قصص وفيديوهات مختلفة، إلى جانب ردود وتعليقات النشطاء على هذه القضايا.

ويستعرض البرنامج من خلال فقرة أسبوعية أبرز ما يتداوله الناشطون على شبكات التواصل الاجتماعي، كل يوم اثنين الساعة 14:46 بتوقيت باريس.



الشكل رقم (5): لقطة من برنامج "هشتاغ"

الخلاصة والنتائج:

خلصت النتائج إلى أن عينة الدراسة تستخدم الإعلام الرقمي بأشكال متعددة، أبرزها:

1. تخصيص الفضائيات الثلاث لصفحات خاصة بها تطبيقات الإعلام الرقمي، ونشر إنتاجها المرئي عليها.
2. اعتمدت الفضائيات الثلاث في نشراتها الإخبارية على إنتاج الإعلام الرقمي، وتحديدًا الفيديوهات والصور والمنشورات التي يتداولها مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي والمتعلقة بالأحداث الساخنة.
3. استخدمت الفضائيات الثلاث خدمة البث المباشر المتاحة على تطبيقات الإعلام الرقمي، وخصوصًا الخدمة المتاحة عبر موقع "يوتيوب".
4. خصصت الفضائيات الثلاث برامج خاصة تتعلق بالإعلام الرقمي، و فقرات إخبارية تعتمد بشكل كلي على مواقع التواصل الاجتماعي.

وبناء على النتائج السابقة، يوصي الباحثان بأهمية الاستفادة من تطبيقات الإعلام الرقمي في المحتوى المرئي للفضائيات الإخبارية العربية، إلى جانب ضرورة تخصيص الجامعات العربية وكليات الإعلام فيها، لمساقات وأقسام تتناول الجمع بين تخصصي الإعلام الرقمي والإعلام المرئي تحديداً، وكذلك باقي وسائل الإعلام التقليدية.

قائمة المراجع:

1. محمد منير حجاب، الأسس العلمية لكتابة الرسائل الجامعية، ط3 (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2000م).
2. بسام مشاقبة، مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب، ط1 (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2010م).
3. سمير حسين، بحوث الإعلام، ط3 (القاهرة: عالم الكتب، 2010م).
4. ناهد عرفة، مناهج البحث العلمي، ط1 (القاهرة: إصدارات الجمعية الفلسفية المصرية، 2006).
5. سيف الدين العامري، التلفزيون والميديا الجديدة: تهديد أم احتواء؟، المرصد العربي للصحافة، متاح بتاريخ 17-03-2019، على الرابط الآتي: <http://cutt.us/Nuef6>
6. علي عبد الفتاح، الإعلام الدولي والعملة الجديدة (عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2016).

أثر استخدام طريقة المناقشة في تدريس اللغة العربية على التحصيل الدراسي لدى تلاميذ السنة الثالثة متوسط
**The use of the method of discussion in the teaching of Arabic has affected the academic achievement
of the third average pupils**

د.عينو عبد الله • عبدلي سعاد/جامعة الدكتور مولاي الطاهر - سعيدة، الجزائر

Dr. Ainou Abdullah • Abdali Suad/University of Dr. Moulay Al Tahar - Saida, Algeria

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أثر طريقة المناقشة على التحصيل الدراسي، استخدم الباحثان المنهج الشبه التجريبي، لعينة مكونة من 60 تلميذا مقسمة إلى 30 في التجريبية و30 في الضابطة، تم بناء اختبار تحصيلي، دروس في اللغة العربية بطريقة المناقشة، للمعالجة الإحصائية طبق اختبار "ت"، أظهرت النتائج وجود فروق لصالح طريقة المناقشة في القياس البعدي للتجريبية وفروق لصالح التجريبية في القياس البعدي.

الكلمات المفتاحية: المناقشة، طريقة، حل المشكلات، التحصيل الدراسي، اللغة العربية

Abstract:

The purpose of this study is to identify the impact of the method of discussion on academic achievement, Researchers used the semi-experimental approach, for a sample of 60 students divided into 30 in Experimental 30 in control, achievement tests test was built, Arabic lessons in discussion mode, for statistical treatment, apply the "T" test, The results showed differences in the method of discussion in the experimental dimensional measurement and differences in favor of the experiment in the dimensional measurement.

Keywords: Discussion, problem solving, academic achievement, Arabic

مقدمة:

يبدل الباحثين في المجال التربوي جهودا كبيرة لمواجهة للتحديات والإفرازات التي تفرزها يوما بعد يوم المنظومة التربوية في كل أقطار هذه المعمورة، وكل يوم تطلعنا النتائج بالجديد، ولكن التحدي الذي لا يزال يفرض نفسه أمام الباحثين وهو مشكلة طرائق التدريس وأثرها على إثارة الدافعية، والتحصيل، للتعلم، للإبداع، الابتكار وتحقيق أعلى مراتب النجاح، فلا يزال التلميذ يعاني من مشكل تدني الدافعية والحماس نحو التعلم ونحو تحقيق النجاح، ولا يزال يتدمر من طريقة تدريس المعلم أو الأستاذ ويجب هذا ويكره ذلك بسبب طريقتيه في التدريس وطريقة معاملته، وإن كان حسب جهود الباحثين هناك عدة متغيرات وظروف كانت ولا تزال العائق الأكبر أمام التلميذ نحو إثارة حماسه ودافعيته نحو التعلم، لكن طريقة التدريس أبرزها ولهذا سعى الباحثين كثيرا نحو تطوير طرق التدريس وتحديثها، وقد أثمرت وتكلفت جهودهم بطرق تدريس كثيرة حديثة ومتنوعة تراعى فيها استعدادات وميول التلاميذ و الظروف المحيطة وإمكانات المعلم والمدرسة، والحق يقال فقد حققت هذه الطرق والاستراتيجيات نتائج جيدة، وقد حلت وساهمت في القضاء على كثير من المشكلات التربوية، وتعد طريقة المناقشة وطريقة حل المشكلات من أكثر الطرق تكللا بالنجاح ومن أكثر الطرق التي لاقت إقبالا كبيرا من قبل المعلمين والتربويين وكثير من المنظومات التربوية والمؤسسات التربوية.

1- الإشكالية:

تتعدد طرق التدريس وتتعدد معها الأبحاث، وسعى الباحثين الدؤوب على البحث على الطريقة الأنسب في إيصال المعلومة من قبل المدرس في أحسن ثوب إلى المتعلم في أفضل استقبال، رغم ذلك لا يزال الجهد قاصرا ولا تزال مشاكل إيصال المعلومات تفرض نفسها على المنظومة التربوية وهي من أبرز مشاكل العملية التعليمية بحيث تؤثر كثيرا ولا تزال على الانجاز الأكاديمي للمتعلم ولا يزال الغموض يكتنف هذه القضية بحيث رغم كل الجهود ورغم كل الطرق والاستراتيجيات الحديثة في عملية التعلم يبقى الخلل، فهل يا ترى ستجد البحوث والدراسات اللاحقة الدواء الشافي لمشكلة تدني التحصيل بسبب طرق التدريس وإثارة الدافعية بطرق تدريس مناسبة لها، هذا ما أكدته دراسة العاطف وشنوقة وبوجانة 2007 أن لطريقة المناقشة لتدريس الفيزياء أثر على التحصيل مقارنة بالطريقة التقليدية لتلاميذ التعليم المتوسط، ودراسة صالح وأحمد 2016 أكد أثر استخدام طريقة الحوار في تدريس التاريخ على التحصيل لتلاميذ المرحلة الثانوية؟، من هذا المنطلق وهذه النتائج يطرح الباحث الإشكالية التالية:

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاختبار التحصيلي بين طريقة التدريس بالمناقشة وطريقة التدريس بحل المشكلات (الطريقة الاعتيادية) في مادة اللغة العربية لصالح الطريقة الأولى؟

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية في الاختبار التحصيلي في مادة اللغة العربية بين طريقة التدريس بالمناقشة وطريقة التدريس بحل المشكلات لصالح طريقة المناقشة؟

2-الفرضيات:

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاختبار التحصيلي بين طريقة التدريس بالمناقشة وطريقة التدريس بحل المشكلات (الطريقة الاعتيادية) في مادة اللغة العربية لصالح الطريقة الأولى.

-توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية في الاختبار التحصيلي في مادة اللغة العربية بين طريقة التدريس بالمناقشة وطريقة التدريس بحل المشكلات لصالح طريقة المناقشة .

3-أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة فيما يلي:

1- إن تنمية القدرات الإبداعية أصبح من الأهداف العامة لمشاريع تطوير التعليم في كافة الدول العربية، وقد تسهم هذه الدراسة في الكشف عن فاعلية هذا الأسلوب في تنمية القدرات الإبداعية لدى التلاميذ.

2- إن هذه الدراسة تتناول تنمية قدرات التلاميذ في مرحلة عمرية هامة إذ تعد مرحلة الطفولة المتأخرة من أهم مراحل حياة المتعلم من حيث أنها مرحلة أساسية في تشكيل عقله وشخصيته، لذا يجب البحث عن أفضل الأساليب التي تحقق تنمية قدراته الإبداعية.

3- تحديد مستوى القدرات الإبداعية لدى تلاميذ الصف السادس بعد تدريبهم على أسلوب حل المشكلات.

4-أهداف البحث:

- معرفة طريقة التدريس التي يمكن أن تناسب قدرات التلاميذ واستعداداتهم
- اكتشاف ومعرفة أدوار استراتيجيات وطرق التدريس في عملية الاكتساب وفي إثارة دافعية المتعلمين
- إبراز فعالية طرق التدريس على المتعلمين وعلى تحسين مستوياتهم التحصيلية.
- اكتشاف فعالية طريقة المناقشة في زيادة التحصيل الدراسي .
- اكتشاف الطريقة المفضلة لدى التلاميذ والمعلمين في عملية التعليم والتعلم بين طريقة المناقشة وطريقة حل المشكلات وإن كان في الأصل لا يوجد طريقة أفضل من الأخرى بل لكل واحدة منها شروط وظروف وبيئة أنسب من غيرها فيها .

5-تحديد المصطلحات:

طريقة حل المشكلات:

طريقة من طرائق التدريس يساعد فيها المعلم طلابه على تنفيذ الدروس داخل غرفة المختبر بغرض تحقيق الهدف أو الأهداف التعليمية المنشودة، تعتمد على الطريقة العلمية (المنهجية العلمية) في البحث والتفكير.

التحصيل:

مقدار ما اكتسبه المتعلم من المعرفة العلمية المتعلقة بمواضيع في الفصل الدراسي ، وقد تم قياس تحصيل المتعلم في هذين الموضوعين بالدرجة التي حققها أو حصل عليها في اختبار التحصيل .

6-الدراسات السابقة:

1- دراسة برودفيت (1981) أجرى دراسة لمقارنة أثر طريقتين تدريسييتين على أداء تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في عمليات حل المشكلات.

1- لدى عينة من (24) تلميذاً من الصف الخامس الابتدائي تم تقسيمهم عشوائياً إلى مجموعتين على أن يسألوا أنفسهم مجموعة من الأسئلة وفقاً لنموذج بوليا: فهم المشكلة، تصميم خطة الحل، تنفيذ الحل، مراجعة الحل. المجموعة التجريبية الثانية وفيها يقوم الباحث بتدريب التلاميذ على حل أكبر عدد من المشكلات. واستخدم أسلوب المقابلات الفردية للتلاميذ للتعرف على عمليات حل المشكلات لديهم. أظهرت النتائج: وجود فروق دالة إحصائياً بين المجموعة التجريبية والضابطة في أداء عمليات حل المشكلات لصالح المجموعة التجريبية. -لا توجد فروق دالة إحصائياً بين المجموعتين بالنسبة لفهم المشكلة.

2- درويش (1983م): قام بدراسة هدفت إلى دراسة أثر برنامج للتدريب على حل المشكلات العامة بطريقة ابتكارية على تنمية القدرات الابتكارية، وتكونت عينة الدراسة من (236) طالباً من طلاب الصف الأول الثانوي، وتم تقسيمهم إلى مجموعتين تجريبية، وضابطة، وتوصلت الدراسة إلى تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة في القدرات الإبداعية.

3- دراسة يوسف، وفخرو (1996م): سعت إلى التعرف على فاعلية استخدام استراتيجية حل المشكلات في تنمية التفكير الابتكاري لدى طالبات المرحلة الثانوية في الاقتصاد المنزلي.

وقد تضمنت عينة البحث 37 طالبة مقسمة إلى مجموعتين (ضابطة وشملت 15 طالبة بمدرسة الإيمان، وتجريبية وشملت 22 طالبة موزعة على مجموعتين بمدارس أم أيمن، وأمنة بنت وهب الثانوية. وقد استخدم مقياس التفكير الابتكاري لقياس فاعلية البرنامج المقترح قبل وبعد التجربة، إلى جانب قيام الباحثان بإعداد مقياس للتفكير الابتكاري في الاقتصاد المنزلي، وقد طبق بعد إجراء التجربة.

وجاءت النتائج لتشير إلى فاعلية استخدام استراتيجية حل المشكلات في تنمية قدرة المتعلمات على التفكير الابتكاري، حيث لوحظ وجود فروق دالة إحصائياً بين كل من المجموعتين الضابطة (والتي درست بالطريقة التقليدية) والتجريبية (والتي درست باستخدام استراتيجية حل المشكلات).

4- دراسة روثمان 1980 : هدفت لمعرفة أثر المقارنة بين طريقة المحاضرة وطريقة المناقشة وأفضليتهما في تعليم الأطفال العاجزين في عمليات التعلم بالنسبة لطلبة الدراسات العليا، وكان من نتائج هذه الدراسة أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية بين المجموعة التي درست بطريقة الحوار والنقاش، والمجموعة التي درست بطريقة المحاضرة ولصالح طريقة النقاش والحوار.

5-دراسة عبد الله رضا 1992 (المدينة المنورة):هدفت لمعرفة تأثير استخدام المناقشة مع العروض العلمية في تحصيل طلاب الصف الأول الإعدادي في مادة العلوم في المدينة المنورة ، وكان من أهم نتائجها أن استخدام المناقشة مع العروض العملية له تأثير فعال في تحسين التحصيل الدراسي للطلاب ، وكذلك أثبتت أن استخدام العروض العملية قبل المناقشة له تأثير أقل لدى الطلاب منخفضي التحصيل ، كذلك بنيت الدراسة أن استخدام النقاش أثناء العرض وبعده أفضل من استخدام النقاش قبل العرض على المستوى التحصيلي

6-الزعيبي سنة 2003 : هدفت إلى اختيار أثر كل من طريقة (الاكتشاف الموجه، والمناقشة، والعصف الذهني) في تنمية التفكير الناقد والتحصيل في مادة التربية الإسلامية لدى طلبة الصف الثامن الأساسي في الأردن، موزعين على 8 شعب تم تقسيمها بالطريقة العشوائية، تم إعداد أدوات البحث المكونة من البرنامج التعليمي، واختيار التفكير الناقد، وتم تطبيق الاختبارات قبل التجربة وبعدها، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن استخدام الاكتشاف الموجه، المناقشة، والعصف الذهني في التعليم يؤدي إلى زيادة في التحصيل، وتنمية التفكير الناقد لدى الطلبة، والاحتفاظ بالمعلومات لمدة أطول في الزمن، وعدم وجود أثر للتفاعل بين الجنس والطريقة في الاختبار التحصيلي واختبار التفكير الناقد البعدي لأفراد عينة البحث كما أظهرت النتائج تحسناً في التفكير الناقد والتحصيل (قبل التجريب وبعده) عند الإناث كانت أعلى من الذكور من الناحية الإحصائية.

-موقع هذه الدراسة من الدراسات السابقة: من خلال عرض الباحث لبعض الدراسات السابقة التي تعرض لمتغير طرق التدريس بطريقة المناقشة وطريقة حل المشكلات في متغيرات تابعة مختلفة، فكانت بعض الدراسات السابقة الذكر كل دراسة كانت قد تعرضت لطريقة تدريس مثلا المناقشة مستقلة عن طريقة حل المشكلات فلم تكن لتوجد الدراسات التي تجمع بينهم حسب اطلاع الباحث إلا انه قد وجدت دراسات التي عرضها الباحث قد عالجت طريقة المناقشة على حدا مع ارتباطها بطرق أخرى مثل دراسة الزعي في ارتباطها مع طريقة العصف الذهني والاكتشاف وكانت النتائج إيجابية ودالة على وجود فروق، وفي دراسة عبدالله رضا في تأثير طريقة المناقشة مع العروض العلمية وقد وجدت كذلك فروق دالة، وكذلك دراسة روتمان الذي تفق مع هذه الدراسة في المقارنة بين طريقة المحاضرة مع طريقة المناقشة وقد وجد كذلك فرق ذال إحصائيا وفي هذه الدراسة سوف يقيس الباحث الفرق بين طريقة المناقشة وطريقة حل المشكلات، وقد تم عرض كذلك دراسات تتعلق بطريقة حل المشكلات وأثرها على المتغير التابع لتوافق هذه الدراسة في المتغير طريقة حل المشكلات، من بين هذه الدراسات دراسة يوسف لمعرفة فعالية حل المشكلات في التفكير الابتكاري وقد وجد أثر دال، وكذلك دراسة درويش لمعرفة أثر طريقة حل المشكلات في التفكير الابتكاري كذلك، وقد أثر برودفيت على معرفة أثر طريقتين للتدريس على حل المشكلات فجعل أسلوب حل المشكلات متغيرا تابعا فموقع دراسة الباحث من هذه الدراسات أنها سوف تتناول طريقتي المناقشة وحل المشكلات مجتمعتين في مقارنة بينهما على تحصيل التلاميذ في مادة اللغة العربية.

الجانب النظري:

يقصد بطريقة التدريس جميع أوجه النشاط الموجه الذي يقوم به المدرس، بغية مساعدة تلاميذه على تحقيق التغيير المنشود في سلوكهم، ومساعدتهم على اكتساب معلومات ومعارف وميول¹.

- تسمح لمشاركة الطلاب داخل الفصل وخارجه واهتمام المعلم باستجاباتهم وتشجيعهم على المشاركة الإيجابية.

-تحقيق الأهداف التربوية وفق فلسفة المجتمع

-تتفق مع استعدادات التلاميذ وقدراتهم.

-تراعي الفروق الفردية وتشبع رغبات وحاجات التلاميذ².

تعريف طريقة المناقشة: عبارة عن اجتماع عدد من العقول حول مشكلة من المشكلات، أو قضية من القضايا ودراستها دراسة منظمة، بقصد الوصول إلى حل للمشكلة أو الاهتمام إلى رأي في موضوع القضية.

2-خطوات تنفيذها:

-تحديد أهداف المناقشة.

-يقسم المعلم موضوع المناقشة إلى أجزاء وأفكار رئيسية.

-الاتفاق مع المتعلمين على قواعد المناقشة ثم يقوم المعلم بطرح الأسئلة على المتعلمين بالتدرج والتسلسل الفكري

¹ - الشيباني عمر التومي، فلسفة التربية الإسلامية المنشأة العامة للنشر، طرابلس، 1975، ص405

-عبد السلام مصطفى، أساسيات التدريس والتطور المهني للمعلم، ط 1، دار الجامعة، مصر، 2007، ص 90.

- يناقش المتعلمون بقيادة المعلم كل عنصر على حدة في ضوء الأسئلة المطروحة
- يلخص المتعلمون ما توصلوا إليه مع ربط الأفكار والمفاهيم
- يستخلص المتعلمون الاستنتاجات والتوصيات ، في ضوء عناصر المناقشة .
3- أنواع وتصنيفات المناقشة :

1 المناقشة المقيدة : (الموجهة) : تدور حول الموضوعات المقررة على المتعلمون في المنهج الدراسي

2- المناقشة المفتوحة (المفتوحة) : تدور حول موضوعات وقضايا عامة .

3- المناقشة الجماعية : عرفها ليبب 1976 بأنها وسيلة الاتصال بين المدرس وطلبته ويعتمد أسلوب الحوار والمناقشة على الأسئلة التي يطرحها المدرس لطلابه وكذلك الأسئلة التي يوجهها له والأجوبة المتبادلة بينهم¹.

4- المجموعات الصغيرة (مجموعات التشاور) : حيث تستخدم في حال ما إذا كانت كثافة الفصل أقل من ثلاثين متعلما ، حيث تجلس كل مجموعة من (5-7) تلاميذ على شكل دائري ، أو تستخدم في حالة الموضوعات ذات العناصر المتعددة ، حيث تناقش كل مجموعة عنصرا من عناصر الموضوع ، وتقدم تقريرا عما توصلت إليه في نهاية المناقشة².

4- دور المعلم : موجه ، مساعد ، ناصح ، مرشد ، مسير ومدير الجلسة أحيانا ، يربط النقاش بالموضوع ويمنع الانحراف ، مذل الصعوبات³.

ووفقاً لقطامي فقد طور جستن نموذجاً للتدريب على حل المشكلات ووضعه بالصورة التالية: تحديد المشكلة - قرر الهدف - فكر قبل أن تعمل - توليد البدائل - تأمل النتائج - التنفيذ - الإعادة⁴.

2- الخطوات الخمس لحل المشكلة التي حددها جون ديوي (1910) في كتابه كيف نفكر وهذه الخطوات هي: التعرف على أنه توجد مشكلة- تحديد المشكلة -استخدام الخبرات السابقة- اختبار صحة الفروض (الحلول الممكنة) - تقويم الحل⁵.

4- مزايا طريقة حل المشكلات :الفهم الأعمق ، تنمية التفكير الناقد ، الصبر وتحمل المسؤولية في عدم اتخاذ القرار ، تربط المدرسة بالبيئة ، تجعل التعلم فعالا ، تناسب ميول التلاميذ وحاجاتهم⁶.

5- الأساليب التي يتضمنها أسلوبه حل المشكلات : لها أسلوبين

أ- الأسلوب الاستقرائي : فمنه ينتقل العقل من الخاص إلى العام ، ب الأسلوب القياسي وهو الانتقال من الكل إلى الجزء⁷.

-ليبب، 1976 ، ص 123¹

- عبد الحميد حسن عبد الحميد شاهين ، استراتيجيات التدريس المتقدمة واستراتيجيات التعلم وأنماط التعلم ، الاسكندرية، 2011.²

- محمود طاقش الشقيرات، استراتيجيات التدريس والتقويم ، دار الفرقان ، عمان، 2009، ص198³

4 - قطامي يوسف، تفكير الأطفال تطوره وطرق تعليمه، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع ، 1990، عمان، ص595

⁵- رشيد بن النوري البكر ، أسلوب حل المشكلات في تنمية القدرات الإبداعية لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي ، كلية العلوم الاجتماعية،

272-2002، 271

- السكران محمد ، أساليب تدريس الدراسات الاجتماعية ، دار الشروق ، عمان، 1989، ص152⁶.

⁷- عماد رمضان محمد شبير ، استراتيجيات حل المشكلات في علاج صعوبات تعلم الرياضيات لدى طلبة الصف الثامن الاساسي ، رسالة

ماجستير ، غير منشور ، جامعة الازهر ، غزة ، 2011، ص42

7- شروط طريقة حل المشكلة: تناسب المتعلمين، ترتبط بخبراتهم، مرتبطة بالمنهاج، أن تتوفر لها وسائل والأدوات، مستوى من الصعوبة^{1,2}.

الإجراءات المنهجية للدراسة:

1-منهج البحث: قد استخدم الباحث المنهج الشبه التجريبي لأنه يرى أنه الأنسب لمثل هذه الدراسات بمجموعتين تجريبية وضابطة

التصميم التجريبي: اختار الباحث التصميم التجريبي للمجموعتين المتكافئتين التجريبية والضابطة ذات الاختبار قبلي والبعدي لكونهما أكثر ملائمة لظروف البحث.

جدول التصميم التجريبي

المجموعة	عدد أفراد العينة	القياس القبلي	المتغير التجريبي	القياس البعدي
التجريبية	30	تطبيق الاختبار التحصيلي	طريقة المناقشة	التحصيل الدراسي في مادة اللغة العربية
الضابطة	30	الاختبار التحصيلي	(الطريقة المعتادة) طريقة حل المشكلات	التحصيل الدراسي في مادة اللغة العربية

يبين الجدول تجانس العينتين وتكافؤهما في المقارنة بين الطريقة المناقشة وطريق حل المشكلات في التحصيل لدى التلاميذ.

2-مجتمع الدراسة: جميع تلاميذ الثالثة متوسط بولاية سعيدة المسجلين للسنة الدراسية 2013-2014

3-عينة الدراسة: تم اختيار قسديا 60 تلميذا من قسمين للثالثة متوسط بمتوسطة زيتوني محمد بولاية سعيدة .، خلال الفترة الممتدة من 16 مارس إلى 15 أبريل 2014

4- أداة الدراسة: تم إجراء دراسة استطلاعية للتأكد من الخصائص الجيدة السيكمترية للأدوات، بمتوسطة زيتوني حميدة بعين تغات الرباحية بولاية سعيدة لدى عينة من 30 تلميذ من تلاميذ السنة الثالثة متوسط، خلال الفترة الممتدة من 12 إلى 21 فيفري حيث تم إعادة القياس .

أولا: الاختبار التحصيلي: تم بناء الاختبار حسب الشروط المتفق عليها في بناء الاختبارات التحصيلية، فبعد تحديد هدف الاختبار وبناء جدول المواصفات بحيث شمل جميع العمليات العقلية من فهم وتذكر وتحليل وتطبيق وتركيب، وبعد تحديد

¹ -ديليسيل و روبرت، كيف تستخدم التعلم المستند إلى مشكلة في غرفة الصف، ترجمة مدارس الظهران الأهلية، دار الكتاب التربوي للنشر والتوزيع، الدمام، 2001.

² -أبو جلاله و صبيحي و وعليمات ومحمد. أساليب التدريس العامة المعاصرة، مكتبة الفلاح، الكويت، 2001.

الأوزان تبعا لأهمية النسبية وعدد الدروس التي يستغرقها تدريس كل فصل بالاستعانة بالأوقات المنصوص عنها في الكتاب المنهجي واعتمدت الأوزان على وفق المعادلات الآتية

-أهمية الفصل = عدد دروس الفصل على عدد الدروس الكلي ضرب 100

-أهمية المستوى = عدد الأهداف السلوكية على مجموع الأهداف الكلي ضرب 100

-عدد الفقرات الكلية في النسبة للمستوى في عدد الأسئلة لكل خلية = النسبة المئوية.

جدول المواصفات الاختبار التحصيلي لدروس من مادة اللغة العربية

عدد الفقرات	المستويات			نسبة المئوية	عدد الحصص	المحتوى
	التذكر 42	الفهم 32	التطبيق 26			
5	2	2	1	40	2	الحصّة الأولى
5	3	1	1	20	1	الحصّة الثانية
5	2	1	2	20	1	الحصّة الثالثة
4	2	2	1	20	1	الحصّة الرابعة
19	8	6	5	100	5	المجموع

4-1- الخصائص السكومترية للأداة :

أولاً: الصدق : تم تحكيم الاستبيان من قبل مجموعة من المحكمين أساتذة في مادة اللغة العربية مستوى العينة نفسه، بعد موافقة المحكمين في اللغة العربية استقر الاختبار على 19 فقرة وهي 9 فقرات من نوع الاختبار المتعدد البدائل (ثلث بدائل) بديل واحد فقط صحيح ، و10 فقرات من نوع فقرات تكملة الجمل ثم أعد الباحث تعليمات الاختبار وبيّن الفقرات جدول المواصفات الذي استعان به الباحث لإيجاد فقرات الاختبار التحصيلي النهائي.

-الصدق الذاتي : وهو الجذر التربيعي للثبات المقدر ب0,89 ، أصبحت النتيجة : 0,94 فبهي تدل على أن الاختبار صادق ، لما وضع له .

ثانياً : الثبات :

ثبات إعادة الاختبار: تم إجراء الثبات بطريقة إعادة الاختبار بقيام الباحث بتطبيق الاختبار مرتين بفترة زمنية أكثر من أسبوعين بين التطبيق الأول والتطبيق الثاني، وكانت النتيجة بعد حساب معامل الارتباط برسون كانت النتيجة : 0,89 وهي نتيجة موجبة عالية.

2-4 حساب معامل السهولة: عدد الإجابات الصحيحة على عدد الممتحنين ضرب مائة قسمة عدد أفراد العينة للإجابات الصحيحة أو الخاطئة.

-معامل الصعوبة: مائة 100-معامل السهولة أو عدد الإجابات الخاطئة ضرب مائة قسمة عدد أفراد العينة للإجابات الخاطئة أو الصحيحة

3-4 حساب معامل التمييز: معامل التمييز = عدد الإجابات الصحيحة للمجموعة العليا - عدد الإجابات الصحيحة للمجموعة الدنيا قسمة عدد أفراد كل مجموعة

جدول يوضح معاملات السهولة والصعوبة والتمييز للاختبار

الفقرات	معامل الصعوبة	معامل السهولة	معامل التمييز
1	26,34	76,66	0,66
2	36,67	63,33	0,40
3	26,67	73,33	0,46
4	40	60	0,43
5	46,67	53,33	0,66
6	30	70	0,40
7	36,67	63,33	0,60
8	43,34	56,66	0,63
9	50	50	0,39
10	33,34	66,66	0,40
11	53,34	46,66	0,46
12	66,67	33,33	0,53
13	60	40	0,60
14	33,34	66,66	0,56
15	54,67	43,33	0,50
16	63,34	36,66	0,46
17	0,20	80	0,39
18	26,67	73,33	0,44
19	71,34	28,66	0,40

من النتائج نستنتج أن فقرات الاختبار تتراوح بين السهولة والصعوبة وبالرجوع إلى سلم قرار القبول والتعديل أو الرفض لفقرات الاختبار مقبولة على العموم

وبالنسبة لمعامل التمييز بالرجوع إلى سلم فهي مقبولة

ثانيا: دروس في اللغة العربية ضمن المقرر الدراسي تقدم عن طريق طريقة المناقشة

الأساليب الإحصائية: التكرارات، النسبة، معامل الارتباط، اختبار الفروق "ت"

8- عرض النتائج:

الفرضية الأولى: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاختبار التحصيلي بين طريقة التدريس بالمناقشة وطريقة التدريس بحل المشكلات (الطريقة الاعتيادية) في مادة اللغة العربية لصالح الطريقة الأولى.

نتائج الفرق بين القياس القبلي للمجموعة التجريبية مع المجموعة الضابطة

مستوى الدلالة	حجم العينة	قيمة "ت"	الانحراف	المتوسط	الفرق في القياس القبلي
0,66	30	0,43	2,71	10,33	التجريبية 1
			2,80	10,08	الضابطة 1

تشير نتائج الجدول على نتائج الفرق بين القياس القبلي للمجموعة التجريبية والضابطة، فقدرت "ت" بـ 0,43، عند مستوى الدلالة المقدر بـ 0,66 وهي غير دالة إحصائياً.

نتائج الفرق بين القياس القبلي والبعدي للعينة التجريبية

مستوى الدلالة	حجم العينة	قيمة "ت"	الانحراف	المتوسط	الفرق بين القياس القبلي والبعدي
0,000	30	6,84	2,71	12,66	التجريبية 1
			2,66	10,33	التجريبية 2

يوضح الجدول نتائج الفروق بين القياس القبلي والبعدي للعينة التجريبية، حيث كانت قيمة "ت" قد قدرت بـ 6,84 عند مستوى الدلالة المقدر بـ 0,01، اتضح وجود فروق ذات دلالة مما دل على دور طريقة المناقشة وأثرها على التحصيل

نتائج المقارنة بين القياس القبلي والبعدي للعينة الضابطة

مستوى الدلالة	حجم العينة	قيمة "ت"	الانحراف	المتوسط	المجموعة
0,63	30	0,48	2,80	10,26	الضابطة 1
			2,33	10,08	الضابطة 2

يوضح الجدول نتائج الفرق بين المجموعة الضابطة في القياسين القبلي والبعدي المقدر بـ 0,48 عند مستوى الدلالة المقدر بـ 0,63 وهي غير دالة إحصائياً.

عرض نتائج الفرضية الثانية:-توجد فروق ذات دلالة إحصائية في القياس البعدي للمجموعة التجريبية والضابطة في الاختبار التحصيلي في مادة اللغة العربية بين طريقة التدريس بالمناقشة وطريقة التدريس بحل المشكلات لصالح طريقة المناقشة .

نتائج الفرق بين القياس البعدي للمجموعة التجريبية والقياس البعدي للمجموعة الضابطة

المجموعة	المتوسط	الانحراف	قيمة "ت"	العينة	مستوى الدلالة
التجريبية 2	12,66	2,71	3,84	30	0,01
الضابطة 2	10,26	2,80			

يوضح الجدول نتائج الفروق بين القياس البعدي للمجموعة التجريبية والضابطة وقد قدرت نتيجة "ت" ب3,84 وبالتالي يوجد فرق دال إحصائيا يرجع إلى أثر لطريقة التدريس بالمناقشة .

9-مناقشة النتائج:

من خلال النتائج المتوصل إليها في هذا البحث في الفرق بين القياس القبلي والبعدي للعينة التجريبية ، حيث أن قيمة "ت" قد قدرت ب6,84 عند مستوى الدلالة المقدر ب0,00 اتضح وجود فروق ذات دلالة إحصائية ، تنبؤنا هذه النتائج على الأثر الكبير الذي أحدثه العامل التجريبي المتمثل في تقديم دروس اللغة العربية عن طريق طريقة التدريس بالمناقشة فتبين أن هذا العامل التجريبي كان له أثر كبير جدا مقارنة بطريقة حل المشكلات الطريقة المعتادة والمعتمدة في المدارس الجزائرية حاليا ضمن المقاربة بالكفاءات ، فتبين أن طريقة المناقشة هي طريقة جيدة للغاية ولها مفعول كبير جدا كما أثبتت ذلك كثير من الدراسات التي أجريت في هذا الصدد من بينها دراسة هولدن ، وسميت سنة 2002 أشارت النتائج إلى أن الحوار الفاعل القائم على استخدام الاستراتيجيات التالية : استخدام الحوار المبني على المنهجية السقراطية في إظهار وجهات نظر الطلاب ، وطرح الأسئلة من خلال تدريس حصص الأدب وأن يقوم المعلم بدور فاعل في إدارة الحوار الصفي ، فهذه الدراسة لها إشارة واسعة بحيث مسحت دراسات كثيرة وأثبتت فاعلية طريقة المناقشة والحوار في عملية التدريس لمادة اللغة ، وكذلك تشير دراسة ابلبي ، ولانجر والآخرين سنة 2003 ، أشارت النتائج إلى أن منهجيات الحوار كانت مرتبطة بشكل دال إحصائيا مع زيادة أداء الطلاب في مادة اللغة الإنجليزية ، وأن المنهجيات القائمة على الحوار كانت فاعلة في العديد من المواقف التعليمية إضافة إلى أثرها الإيجابي على الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل على حد سواء ، فكذلك أثبتت هذه الدراسة فاعلية طريقة المناقشة في عملية التعليم ودراسة أخرى كثيرة ، هذا إن دل على شيء فهو يدل على أهمية طريقة المناقشة في عملية التعليم والتعلم وأنها من أكثر الطرق التدريسية قبولا في الوسط الدراسي وفي الأسرة التربوية وفي هذه الدراسة لا يدل مطلقا على أن طريقة المناقشة هي أفضل من طريقة حل المشكلات بل لكل طريقة ظروفها الملائمة لها لا تلازم الطريقة الأخرى ، وأن لكل طريقة تدريس شروط تختلف كل الاختلاف عن شروط الأخرى ، فنرجوا من الباحثين التعمق أكثر وأكثر في إحداث طرق جديدة أكثر ملائمة وزيادة تنقيح هذه الطرق حتى تجني ثمار ذلك الأجيال المتلاحقة.

خاتمة:

تعددت طرق واستراتيجيات التدريس ولكن لكل طريقة مزاياها وعيوبها وفوائدها التي تختلف وتتجمع مع الطرق الأخرى فيها ، إذا كان هذا البحث قد أثبت فعالية طريقة المناقشة على طريقة التدريس فهو لا يعني الأفضلية وهناك طرق واستراتيجيات لم تعط حقها كما يجب ، وهناك أساليب تدريس لم يتطرق إليها الباحثين مطلقا وتحتاج إلى تمحيص وتدقيق لتصل إلى مرحلة الطريقة وتصبح لها فاعليتها في عملية التدريس ، فكلما استعمل المعلم طرقا وأساليب واستراتيجيات متعددة كلما كان أفضل للتلميذ ومناسبا لفروقهم الفردية .

توصيات:

- ضرورة تنوع طرق التدريس.

- مهم جدا مراعاة الفروق الفردية فطريقة المناقشة تفعل ذلك.

يفضل إعادة تطبيق طريقة المناقشة للتأكد منها مرة أخرى وإثبات فاعليتها.

قائمة المراجع:

- 1- قطامي يوسف، تفكير الأطفال تطوره وطرق تعليمه، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1990.
- 2- الحامد محمد و البكر رشيد والحارثي مسلم، معاجيني أسامة ، المشروع المتكامل لتنمية الإبداع في المنهج المدرسي ، وزارة التربية والتعليم، مركز التطوير التربوي، الرياض، 1422.
- 3- البكر رشيد، تنمية التفكير من خلال المنهج المدرسي، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1422.
- 4- السكران محمد ، أساليب تدريس الدراسات الاجتماعية ، دار الشروق ، عمان، 1989 ، .
- 5- محمود طاقش الشقيرات ، استراتيجيات التدريس والتقويم ، دار الفرقان ، عمان، 2009.
- 6- أبو جلاله و صبيحي و وعليمات ومحمد. أساليب التدريس العامة المعاصرة ، مكتبة الفلاح، الكويت، 2001.
- 7- ديليسيل و روبرت، كيف تستخدم التعلم المستند إلى مشكلة في غرفة الصف، ترجمة مدارس الظهران الأهلية، دار الكتاب التربوي للنشر والتوزيع، الدمام، 2001.
- 8- عبد الحميد حسن عبد الحميد شاهين ، استراتيجيات التدريس المتقدمة واستراتيجيات التعلم وأنماط التعلم ، الاسكندرية، 2011.
- 9- عبد السلام مصطفى، أساسيات التدريس والتطور المهني للمعلم ، ط 1 ، دار الجامعة ، مصر، 2007.
- 10- الشيباني عمر التومي ، فلسفة التربية الإسلامية المنشأة العامة للنشر ، طرابلس، 1975.
- 11- قطامي و نايفه ، تعليم التفكير. ط1 ، دار الفكر، عمان، 1421.
- 12- مرزق منير محمد و روناك عيود جابر ، أثار استخدام أسلوب المناقشة الجماعية في تحصيل طلبة المرحلة الأولى في مادة تاريخ الفن الحديث .

- 13- أحمد عنيزان رشدي، فاعلية تدريس اللغة العربية بأسلوب الحوار في تحصيل طلبة الصف التاسع وتفكيرهم الاستقرائي، جامعة الشرق الأوسط ، رسالة ماجستير ، غير منشور ، بدولة الكويت، 2012.
- 14- عبدالله خميس أميو سعيدي وخديجة لنت أحمد البلوشي ، أثار استراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تنمية عمليات العلم لدى طالبات الصف العاشر (الأول الثانوي) في مادة الأحياء، كلية التربية جامعة السلطان قابوس ، سلطنة عمان، د.ت.
- 15- عماد رمضان محمد شبير، استراتيجيات حل المشكلات في علاج صعوبات تعلم الرياضيات لدى طلبة الصف الثامن الاساسي ،رسالة ماجستير، غير منشور، جامعة الازهر، غزة، 2011.
- 16- رشيد بن النوري البكر ، أسلوب حل المشكلات في تنمية القدرات الإبداعية لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي ، كلية العلوم الاجتماعية
- 17-عبدلي سعاد، أثار الطريقة التدريسية على التحصيل الدراسي ، كلية العلوم الإجتماعية ،سعيدة ، الجزائر، 2014.

زاوية الدراويش بالمغرب الشرقي من التأسيس إلى سنة 1948م: ترجمة لشيخوخها من خلال تقرير فرنسي¹.
**Zaouïa of the dervishes in Eastern Morocco from the foundation until 1948: A translation to its
 Sheikhs through a French report.**

د. عماد اللبي/جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب

Pr. Labbi Imad/University Mohamed first-Oujda, Morocco

Abstract:

Zaouïa of the dervishes is one of the unknown Zaouïas of the Eastern Morocco. It did not receive the attention it deserves, confirmed by the paucity of the references contained in historical sources, and by the absence of modern studies, especially since the influence of this Zaouïa has almost disappeared now, until it became unknown to many of the population of the region that emerged, let alone the other regions of Morocco.

In order to shed some light on the Zaouïa of the dervishes we had to translate first to its most important Sheikhs, a translation we aim behind at writing the history of this Zaouïa in a specific period, imposed by the available references. The issue of the doctrines and Sufi teachings adopted by the Zaouïa of the dervishes, as well as their historical development, remains a suitable subject for further study that may constitute another addition shaking off more dust from this Zaouïa.

Key words: Zaouïa – dervishes – Eastern Morocco – Sheikh

¹- Fernand Blachier: "Essai sur confrérie religieuse des Draouech", janvier 1948, 15M-900-55a, Archives diplomatiques de Nantes (A.D.N).

هو تقرير فرنسي أنجزه فرناند بلاشي Fernand Blachier، رئيس محقة المراقبة المدنية للعيون سيدي ملوك، وقدمه شهر يناير 1948م. يتكون هذا التقرير في مجمله من 76 صفحة (منها 4 صفحات من الملاحق).

ملخص:

تعتبر زاوية الدراويش من الزوايا المغمورة بالمغرب الشرقي، ذلك أنها لم تحظ بما تستحقه من العناية والاهتمام، وهو الأمر الذي تؤكد هنذرة الإشارات التي تضمنتها المصادر التاريخية، ويكرسه غياب الدراسات الحديثة، خصوصا وأن إشعاع هذه الزاوية قد اختفى الآن تقريبا، حتى أصبحت مجهولة لدى الكثير من سكان المنطقة التي ظهرت بها، فما بالك بمناطق المغرب الأخرى.

ولتسليط بعض الضوء على زاوية الدراويش كان لزاما علينا أن نترجم أولا لأهم شيوخها، وهي ترجمة نصبو من ورائها أيضا إلى كتابة تاريخ هذه الزاوية في فترة زمنية محددة، فرضتها المادة العلمية المتوفرة فرضا، وتبقى مسألة العقائد والتعاليم الصوفية التي تبنتها زاوية الدراويش، وكذا تطورها التاريخي، موضوعا مناسباً لدراسة لاحقة قد تشكل إضافة أخرى تنفض مزيدا من الغبار عن هذه الزاوية.

الكلمات المفتاحية: الدراويش، الزاوية، الولي، الشيخ، المرید، الطريقة، المغرب الشرقي.

مقدمة:

لا يخفى على أحد من الباحثين أن الاعتماد فقط على التقارير الفرنسية في التأريخ لحدث معين أو الترجمة لشخصية ما ينطوي على مجازفة كبيرة، على اعتبار أن تلك التقارير غالبا ما تقوم على خلفية استعمارية تغيب عنها الموضوعية والحياد. ومن هنا يصبح التساؤل مشروعا حول الدافع وراء الاعتماد في هذه الدراسة على أحد تلك التقارير رغم مساوئها.

"مكره أخاك لا بطل" مثل يعبر عن الوضع التي قد يجد فيه الباحث نفسه مضطرا إلى الاعتماد على مصدر واحد ووحيد في ظل غياب مصادر أخرى، تمكنه من التحقيق والتدقيق والنقد والمقارنة، فالدراسات حول زاوية الدراويش بالمغرب الشرقي تنسم بالندرة الشديدة، حتى أن الحديث عنها لم يكن إلا من خلال بعض الإشارات المتناثرة والمقتبضة، والتي يرجع أقدمها إلى سنة 1912 من خلال مذكرة موجزة قدمها الضابط دوزر **Duzzer** تحت عنوان "دراسة حول زاوية الدراويش للشريف السي ابن المهدي"، ثم فقرة خصصها الكولونيل لويس فوانو **Voinot Louis** سنة 1931 في بحثه المعنون ب"الطرق والزوايا بالمغرب الشرقي"، والذي أنجز بطلب من مدير الشؤون الأهلية لإغناء أرشيف المديرية، بالإضافة إلى إشارة القبطان هنري دلكر **Henri Delcros** ضمن بحثه سنة 1947 حول الشرفاء الأدارسة بجهة وجدة، ولم تتعد هذه الإشارة الأخيرة العبارات التالية: "زاوية الدراويش الغامضة التي تقع على واد صغير صعب الولوج في قبيلة بني بوزكو، تلقن مريديها الطقوس الصوفية المستوحاة من الدراويشين"¹. هذا فضلا عن الإشارات القصيرة التي تضمنتها، من حين إلى آخر، تقارير الرؤساء الذين تعاقبوا على تسيير ملحقة المراقبة المدنية للعيون سيدي ملوك، والتي يبدو من خلالها أن السلطات الفرنسية لم تكن تولي اهتماما كبيرا بهذه الزاوية.

باستثناء الدراسات والإشارات السابقة، لم يتناول أحد من المختصين في تاريخ المغرب سواء من المغاربة أو من الأجانب زاوية الدراويش، حيث تغيب أي إشارة لها في أهم المصادر والمراجع المؤرخة للمرحلة كخالد الناصري في كتابه "الاستقصا"، الجزء التاسع، وشارل دو فوكو **Charles De Foucauld** أثناء رحلته "Reconnaissance au Maroc"، نفس الأمر يلاحظ أيضا في

¹Capitaine Henri Delcros: "L'Idrissisme et les chorfaïdrissides dans la région d'Oujda", mémoire présenté au centre de hautes études d'administration musulmane (C.H.E.A.M), janvier 1947, MA-285-76, A.D.N.

الجزء الأول من كتاب "Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest africain" والذي تطرق للانتماءات الصوفية لسكان قبيلة بني بوزكو، وقسمهم إلى مريدين لعدة زوايا دون أن يشير إلى زاوية الدراويش، وحتى إن افترضنا جدلاً أن عدد مريدي هذه الزاوية كان قليلاً، وبالتالي تجاهل الكتاب الحديث عنهم، فإنه إشارته إلى مريدي زاوية وزان رغم قلة عددهم¹، يفند هذا الافتراض.

ومن الطبيعي جداً أن يغيب أيضاً التعريف بمؤسس زاوية الدراويش، سيدي محمد بن أحمد بن موسى التطواني وأهم شيوخها في تراجم الأعلام، مثل "موسوعة أعلام المغرب"، الجزء الأول، لمحمد حجي و"إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع" لعبد السلام بن عبد القادر بن سودة. وقد يرجع السبب وراء غياب ذكر زاوية الدراويش وشيوخها في أهم المصادر المغربية والأجنبية ربما إلى الموقع المعزول التي قامت عنده هذه الزاوية، المتميز بقلة عدد السكان والبعد عن الطرق الرئيسية المهمة، أو أن صدى هذه الزاوية وإشعاعها لم يكونا كافيين للفت انتباه أولئك المهتمين بتاريخ المغرب عموماً، وتاريخ الطرق الصوفية خصوصاً، لاسيما بعد سياسة التحفظ والتكتم التي لجأ إليها شيوخ الزاوية ومريدها عقب الاحتلال الفرنسي لعمالة وجدة، فقد ظلت زاوية الدراويش، التي تأسست في النصف الثاني من القرن 19²، دائماً في منأى عن دسائس وصراعات ممثلي المخزن، وتجنب شيوخها ومريدها التورط في الثورة التي قادها الجيلالي الزهوني "بوحمارة" بداية القرن العشرين، فضلاً عن أن علاقاتهم مع القواد المغاربة ومع السلطات المحلية الفرنسية كانت دائماً تتسم بالحذر الشديد.

إذن في ظل شح المصادر التاريخية التي تناولت زاوية الدراويش بالمغرب الشرقي، يمكن اعتبار هذه الدراسة جزءاً من محاولة للتعريف بها والترجمة لأهم شيوخها، بهدف وضعها على خريطة الزوايا بالمغرب، وأيضاً دعوة لباقي الباحثين المهتمين بهذا المجال من أجل العمل على تسليط الضوء أكثر على هذه الطريقة الصوفية المغمورة للكشف عن أصولها وسيرورتها التاريخية.

1. سيدي محمد بن أحمد التطواني بين الطريقة والطريق.

ولد مؤسس زاوية الدراويش، سيدي الحاج محمد بن أحمد بن موسى التطواني، بتازروت³ سنة 1810 في أسرة من "جباله"، في وقت تميز بإيلاء السلطان العلوي مولاي سليمان بن محمد اهتماماً كبيراً بالريف، خصوصاً بعد أن بلغ إلى علمه أن قبائله من

¹Napoléon Lacroix et Henri de La Martinière: "Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest africain", L. Danel, Lille, 1894, T. 1, pp.165-166.

²Le chef de l'annexe d'El-Aouin à M. le contrôleur civil, chef de la région d'Oujda: "Des confréries religieuses", N° 58 cl., El-Aioun, 12 juillet 1947, 15M-900-133, A.D.N.

³تازروت كلمة أمازيغية تعني "الصخرة الصغيرة"، وهي منطقة تابعة لفخدة بو إشمانت بقبيلة بني عروس. لجأ إليها سيدي عبد السلام بن ريسون بعد الاحتلال الإسباني لمدينة تطوان، وبها ولد الشريف العلامة سيدي محمد بن الصادق بن ريسون وقرأ القرآن الكريم ومبادئ العلم الشريف قبل أن يرتحل إلى مدينة فاس.

- أنظر: محمد داود: "تاريخ تطوان"، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصيل، المطبعة المهدية، تطوان، 1386هـ/1966م، المجلد السادس، ص.266.

- Auguste Mouliéras: "Le Maroc inconnu", Augustin Challamel, Paris, 1899, deuxième partie, p.197.

- G. S.Colin: "Traduction annotée de «El-Maqsad (Vies des saints du Rif) de Abd-El-Haqq El-Badisi»", in Archives marocaines, volume XXVI, librairie ancienne honoré champion, Paris, 1926, p.172.

قليعة وغيرها صاروا يبيعون الزرع والماشية للنصارى، متجهلين قراره بمنع هؤلاء من وسق ذلك بالمراسي¹، الشيء الذي دفع السلطان إلى إرسال حملات عسكرية لمنع هذه التجارة المحضرة، كان من بينها حملة سنة 1810.

حظي أب مؤسس زاوية الدراويش، أحمد بن موسى، بوضعية اعتبارية مهمة بقرية تازروت بفضل تقواه وإلمامه الكبير بالتعاليم الصوفية، فضلا عن انتسابه إلى الشرفاء المنحدرين من مولاي عبد السلام بن مشيش "القطب"²، كما أن زوجته كانت أيضا وبدون شك سليلة الشرفاء. نشأ سيدي محمد بن أحمد في حضن قبيلة سُماتة البربرية³ بين الشرفاء العلميين، وقد أدهش محيطه بتقواه وصلاحه وما خرج من فمه من حكمة الكبار وهو ما يزال في سن الطفولة، سن اللعب والمرح، وهو في هذا يذكرنا بسيدي عبد السلام بن مشيش الذي سلك الطريق إلى الله منذ أن كان عمره سبع سنين⁴، وإلى هذا الأخير تمتد شجرة عائلة سيدي محمد بن أحمد ومنه إلى إدريس الأول ثم إلى علي بن أبي طالب، مع الإشارة إلى التقرير الفرنسي الذي اعتمدنا عليه أكد على أن تتبع هذا النسب تم من خلال الاعتماد فقط على ذاكرة خلف سيدي محمد بن أحمد، في ظل غياب وثائق مكتوبة⁵.

أنهى سيدي محمد بن أحمد حفظ القرآن الكريم ودراسته وعمره ستة عشر سنة، غير أن فرحته بهذا الإنجاز لم تدم طويلا، فسرعان ما أسلم والده الروح لبارئها، ليتكفل عمه سيدي علي بن أحمد بن موسى التطوانى بنقل جثمان أخيه إلى تطوان ليدفن بالزاوية الرسونية. هنا المعطى قد يدعم فرضية أن شيخ الدراويش كان في هذه الفترة من حياته من مريدي هذه الزاوية، خصوصا وأن عمه بادر إلى تزويجه ابنته، التي ما لبث أن فقدها⁶.

تفرغ سيدي محمد بن أحمد للتأمل بجانب ضريح والده بالزاوية الرسونية، متأثرا بفقد زوجته الشابة، ومدفوعا بتعاليم الصوفية التي تلقاها، وظل يخدم تلك الزاوية سنوات طويلة مواصلا خلالها دراسة الصوفية، ليرنو بعد ذلك ببصره إلى الأرض المقدسة. وبعد فترة قصيرة من الاحتلال الفرنسي للجزائر لبس سيدي محمد بن أحمد الخرقة⁷ وحمل في يده عكازا ثم غادر

¹ أحمد بن خالد الناصري: "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى"، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، الجزء الثامن، صص. 127-128.

² للتعرف على حياة المولى عبد السلام بن مشيش وكراماته، أنظر: عبد الحليم محمود: "القطب الشهيد عبد السلام بن مشيش"، دار المعارف، القاهرة، 1997.

³ قبيلة سُماتة هي إحدى قبائل منطقة الهبط الواقعة بالشمال الغربي للمغرب، يمتد قطرها على طول حوالي 15 كلم، تحدها قبيلتا الأحماس وجبل الحبيب شمالا، وبي مسارة جنوبا، تتميز بخصوبة أراضيها وبأهمية ثروتها النباتية والحيوانية.

- أنظر: Auguste Mouliéras: op.cit, p.492.

⁴ عبد الحليم محمود: "قطبا المغرب"، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1990، ص. 22.

⁵ Fernand Blachier: "Essai sur confrérie ...", op. cit, p.10.

⁶ Fernand Blachier: "Essai sur confrérie ...", op. cit, p.11.

⁷ خرقة التصوف هي ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يديه، حتى تتحقق المواصلة بينهما ويبقى الاتصال القلبي والمحبة دائما، غير أن هذا الطقس ظل أكثر انتشارا واستمرارا بالمشرق العربي، في أنه اختفى عند الكثير من الطرق الصوفية بشمال المغرب، باستثناء درقاوة وحدادة.

- أنظر: عبد الرزاق الكاشاني: "معجم اصطلاحات الصوفية"، تحقيق وتقديم وتعليق عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م، صص. 178-179.

- G. Salmon: "La Kherqa des Derqaoua et la Kherqasoufyia", in Archives marocaines, Tome deuxième, Ernest Leroux, Paris, 1905, p.127.

تطوان قاصدا مكة راجلا حسب التعاليم الصوفية، وانتقل في طريقه من زاوية إلى أخرى معتمدا في سد جوعه على الصدقات، باحثا عن كبار الشيوخ ومتلقيا عنهم¹.

وصل سيدي محمد بن أحمد إلى مكة وأتم شعائر الحج رفقة بعض الحجاج المغاربة، ثم توجه إلى المدينة المنورة بنية زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، غير أنه مكث بها سبع سنوات عاش خلالها عيشة الدراويش، وقام على سقاية عابري السبيل القادمين من مختلف البلدان الإسلامية، فقدم مثالا على التواضع وهجر الشهوات وملذات الحياة الدنيا، وطيلة هذه المدة ظل مخلصا لتعاليم الزاوية الدرقاوية، إلى أن التقى في أحد مواسم الحج بالشيخ سيدي محمد ضافر بن حمزة المدني مؤسس الزاوية المدنية بمصراتة بليبيا سنة 1820م، التي تستوحي أيضا تعاليمها من الطريقة الدرقاوية².

وكما هو دأب شيوخ الصوفية الذين التقوا أثناء سفرهم بمن قادهم ووجههم إلى الطريقة، كولي جبل العلم سيدي عبد السلام بن مشيش ومولاي عبد القادر الشاذلي³، أثر هذا اللقاء كثيرا في مصير الحاج محمد بن أحمد الذي قصد مصراتة للاستقرار بها مؤقتا لمدة ثلاثة سنوات، حيث تربى على يدي شيخه وتلقى عنه إلى أن أصبح يحمل صفة "مقدم" بالزاوية المدنية. وكما قال الإمام الجيلاني "لا رضاع بين الحوليين"⁴ إشارة رمزية إلى حقيقة من حقائق الطريق، وهي أنه لا بد بعد اللقاء من افتراق، اختار الشيخ مريده للقيام بمهمة مقدسة قائلا: "عد دون تأخير إلى المغرب وابحث عن مكان يسمى دادا علي، فالله سبحانه يريد منك أن تعمر تلك المنطقة"⁵. ابتهج سيدي الحاج محمد بهذا التكليف غاية الابتهاج على اعتبار أنه تكليف وأمر إلهي.

لكن أليس من الممكن أن يكون هدف الشيخ محمد بن ضافر بن حمزة المدني من هذا التكليف هو تأسيس فرع لزاويته بالمغرب؟ خصوصا وأن هذه الزاوية كانت تدعو إلى الوحدة بين المسلمين من أجل القضاء على التواجد المسيحي بشمال إفريقيا⁶، فضلا عن أن اختيار مكان المهمة المتميز بصعوبة الولوج والقرب من الحدود المغربية الجزائرية، والواقع على الطريق الرابطة بين فكيك - بركنت - كفايت - العيون، والريف الشرقي، قد لا يكون اعتباطيا وإنما بهدف جعله معقلا للمقاومة؟ لكن مع غياب المادة العلمية يبقى من الصعب جدا تأكيد هذه الفرضيات أو نفيها.

لكن ما هو مؤكد أن الحاج سيدي محمد قد امتثل لتوجيه شيخ الطريقة المدنية، ذلك أن التعاليم الصوفية ترى في اعتراض المريد على شيخه ناقضا للعهد وإبطالا للبيعة⁷، فخرج الحاج سيدي محمد من طرابلس متوجها نحو المغرب، غير أن أخباره انقطعت خلال هذه الرحلة، ولم يظهر أثره من جديد إلا بين سنتي 1844 و1845م، وهو ما فتح الباب أمام انتشار رواية بين مريدي زاويته، التي سيؤسسها فيما بعد، تقول بأن الحاج سيدي محمد قد ركب البحر في طريقه إلى المغرب متلهفا للوصول إلى مقصده ومشتاقا لتراب بلاده، غير أن كل من اختاره الله واصطفاه لابد أن يبتلى ويمتحن، فشاءت الأقدار أن يفرق الزوق الذي كان يقله فهلك كل من عليه، باستثناء الحاج سيدي محمد الذي ظل أياما عديدة متشبثا بلوح تتقاذفه الأمواج، إلى أن

¹Fernand Blachier: "Essai sur confrérie ...", op. cit, p.12.

²Octave Depont, Xavier Coppolani: "Les confréries religieuses musulmanes", Adolphe Jordan, Alger, 1897, p.513.

³محمد بنعجيبة: "كتاب شرح صلاة القطب بن مشيش"، سلسلات نورانية فريدة، جمع وتقديم العمراني الخالدي عبد السلام، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، صص.12-15.

⁴يوسف محمد طه زيدان: "الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر"، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ/1991م، ص.55.

⁵Fernand Blachier: "Essai sur confrérie ...", op. cit, p.16.

⁶Louis Rinn: "Marabouts et khouan : étude sur l'islam en Algérie", Adolphe Jourdan, Alger, 1884, p.242.

⁷محمد المنير السمنودي: "تحفة السالكين ودلائل السائرين لمنهج المقربين"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1420هـ/2009م، ص.109.

هياً له الله سبل النجاة فدفعه إلى جزيرة مهجورة، عاش فوقها وحيدا لسنوات طويلة لا قوت له إلا الأعشاب والمحار. وشاءت حكمة الله أن تنتهي هذه العزلة ويستأنف سيدي الحاج محمد المهمة التي أوكلت إليه، حينما رأى يوما شرع سفينة في الأفق البعيد، فبادر إلى نزع عمامته والتلويح بها طلبا للنجاة، فحملته تلك السفينة إلى الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط، ثم أكمل رحلته برا إلى أن وصل إلى "رشيده" وهي قرية تابعة لدائرة جرسيف يسكنها أولاد سيدي يعقوب¹.

ومن غريب الصدف أن يجد سيدي محمد نفسه في منطقة تسمى تازروت (وهي غير تازروت التي ولد بها) التي تعج بالأولياء والشرفاء اليعقوبيين، المحاطين بمظاهر الاحترام والتوقير، بفضل انتسابهم إلى عبد الله بن إدريس الثاني الملقب بأمغار²، الشيء الذي دفع سيدي الحاج محمد إلى الابتعاد عن رشيده والانعزال في كهف يقع على جرف يحد جنوبا كعدة دبدو، وذلك حتى لا يلفت إليه الأنظار، وحتى لا يصطدم بشرفاء المنطقة. ظل سيدي محمد على هذا الحال إلى أن فوجئ يوما بأحد شرفاء رشيده يقصده ليخبره بأنه رأى فيما يراه النائبم يدا تشير إلى سيدي محمد وسمع صوتا يردد بأن الشخص الذي تشير إليه هذه اليد هو شيخك³.

أحس سيدي محمد بأن هذه الرؤيا ما هي إلا إشارة للانطلاق من جديد لتنفيذ مهمته المقدسة، فبادر إلى تلقين زائر مبادئ الصوفية وأوصاه بالتوجه إلى دبدو وانتظاره هناك، إلى حين قدومه يوم الجمعة وقت الصلاة. ومن الأمور العجائبية التي ميزت وصول سيدي الحاج محمد إلى دبدو هو أنه أثناء انشغاله بالابتهال والتضرع بعد الفراغ من الصلاة قام المدعو الحاج قدور الجهمري بسرقة بلغته، لكن بمجرد وصول السارق إلى مسكنه لاحظ أن البلغة المسروقة مليئة بالسلاحف الصغيرة، الشيء الذي جعله يعلم جيرانه ليشهدوا معه هذه المعجزة، فانطلقوا يبحثون عن هذا الغريب صاحب البلغة، وسرعان ما وجدوه ليحمل فوق الأعناق ويُطاف به في طرقات هذه المدينة الصغيرة، ويُمنح لقب الولي، ذلك أن سكان دبدو لم يجدوا من تفسير لقيام الحاج قدور الجهمري بسرقة البلغة، وهو من أعيان المدينة وأغنيائها، إلا وجود قوة خارقة تدبر الأمور⁴.

تعلقت قلوب سكان دبدو بهذا الولي الجديد، وتمنوا عليه أن يستقر بينهم، كما أحاطه أولاد اعمارة، الذين يشكلون القبيلة المجاورة لدبدو، بمظاهر الاحترام والتبجيل ومنحوه قطعة أرض غرب المدينة كوقف خاص، استمرت الزاوية المحلية في استغلالها بعد وفاة مؤسسها، وأصبحت مقصد المريدين الذين يبحثون عن علاج أقاربهم من الحمى والأمراض العصبية، بعد أن شاع بين الناس قدرة هذا المكان على شفاء تلك الأمراض.

رغم المكانة المتميزة التي أصبح يحظى بها الولي الحاج سيدي محمد بن أحمد بدبدو ونواحيها، وإشرافه على بناء زاوية مجاورة للمسجد بمركز المدينة، لم ينس الطريق التي رسمها له شيخه المدني، فخرج باحثا عن دادا علي (الجد علي بالأمازيغية) رغم إصرار أهل دبدو على مكوثه بينهم، وذلك بعدما رتب الإجراءات الكفيلة باستمرار عمل الزاوية، حيث كلف المقدم الحاج قدور

¹Fernand Blachier:"Essai sur confrérie ...", op. cit, p.18.

²كلمة "أمغار" إذا أطلقت في اللهجة الأمازيغية يقصد بها كبير القرية أو القرى، الذي يقوم بشؤونها وينظر في أمورها، ولكنها هنا تدل على معنى الأب الأكبر، وهو الجد، مع ما تحمله هذه الكلمة من معنى التفضيل المعنوي أيضا، كما هو الشأن في كلمة "الشيخ" في اللغة العربية سواء بسواء.
- أنظر: أحمد العدوي:"أبو عبد الله أمغار"، مجلة دعوة الحق، العدد الخامس، السنة السابعة عشر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، محرم 1396هـ/يناير 1976م، ص.121.

³Fernand Blachier:"Essai sur confrérie ...", op.cit, p.19.

⁴Fernand Blachier:"Essai sur confrérie ...", op.cit, p.20.

الجهمري بالسهر على تسييرها، وفي طريقه مر بقبيلة أولاد عمرو، التي لا يفصلها شرقا عن قبيلة بني بوزكو إلا واد زاوواد الحي، واتخذ فيها مريدين جدد¹.

استمر بحث سيدي الحاج محمد بن أحمد عن مقصده، حيث ظل يتنقل من مكان إلى آخر، إلى أن التقى يوما برعاة في غابة فاستفسرهم عن اسم ذلك المكان، لقد كانت المفاجأة كبيرة عندما علم أنه وصل أخيرا إلى الهدف المنشود، إنه دادا علي، فسقط منتشيا ولسانه يلهج بالدعاء والذكر، ثم ما لبث أن بادر إلى العمل على إنجاز ما كُلف به وتأسيس طائفة صوفية مستقلة تستمد جوهر عقيدتها من المبادئ التي وضعها الشيخ مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي²، إنها طائفة الدوايش.

اختار الولي سيدي محمد بن أحمد بدادا علي موقعا ملائما له عند حافة غابة البلوط الأخضر، حيث لجأ إلى مغارة صغيرة منعزلا بنفسه ومنغلقا عليها، منشغلا بالدعاء ومنغمسا في التأملات الصوفية التي تجعل روحه أقرب إلى الله، معتمدا في مأكله على النباتات وجذورها، وفي مشربه على عين تنبع مياها من الجبل. عاش سيدي محمد بن أحمد في حضان هذه الطبيعة البكر وسط الأشجار وبين الحيوانات المفترسة التي لم تكن تقوى على مقاومة تأثيره³، فترفع عن الحياة الدنيا المادية، ليُفتح له طريق للتواصل مع الله، وهو بهذا سار على دأب كبار رجال الصوفية أمثال سيدي عبد السلام بن مشيش، الذي اعتزل في جبل العلم، ومولاي أبو يعزى يلنوار (الملقب بمولاي بوعزة) الذي عاش بين زيان وتادلا في مكان مرتفع وسط غابة⁴.

لم تدم هذه الخلوة طويلا، فقد دفع الفضول سكان الجبل والرعاة والحطابين، على قلتهم، إلى الاقتراب من الشيخ سيدي محمد بن أحمد والحديث إليه، هذا الحديث لم يكن يدور إلا بالتشليحية، اللهجة الوحيدة المعروفة في هذه المناطق⁵، مما يؤكد أن الحاج سيدي محمد بن أحمد كان على دراية بها، وهو أمر لا يدعو بتاتا إلى التعجب، على اعتبار أنه ترعرع في جباله حيث يتحدثون تاريخيت، ورغم أن هذه الأخيرة تختلف بعض الشيء عن تمازيغت بني بوزكو، إلا أن الولي تنقل كثيرا بين القبائل الأمازيغية، فضلا عن استقراره الطويل بدبدو وسط قبيلتي أولاد عمارة وأولاد عمرو.

تحول، شيئا فشيئا، هؤلاء الفضوليون إلى مستمعين أوفياء لمواعظ سيدي محمد بن أحمد، التي كان يلقيها إما في المنازل أو تحت الخيام المصنوعة من الحلفاء أو في الهواء الطلق، لتتناقل الألسن خبره وتزداد شهرته ويزداد معها عدد الفضوليين، إلى أن وصل صداه إلى أولاد سيدي بالقاسم أزروال⁶، أسياذ منطقة دادا علي، فاتهموه بالدجل والشعوذة، وتوعدوه بأشد العقاب إذا لم يرحل عن المنطقة، كما تحدوه أن يثبت نسبه الشريف. فهل كان أولاد سيدي بالقاسم أزروال يجهلون حقا امتداد نسب

¹Ibid, p.21.

²مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي هو شيخ الطريقة الدرقاوية ومؤسسها، ولد ببني زروال في بلاد جباله سنة 1150 هـ / 1737 م، ثم رحل إلى فاس لتحصيل العلم، توفي سنة 1239 هـ / 1823 م.

- أنظر: عبد العزيز بن عبد الله: "معلمة التصوف الإسلامي"، دار نشر المعرفة، الرباط، الطبعة الأولى، 2001، الجزء الثاني، ص.265.

³أمضى مولاي أبو يعزى يلنوار خمس عشرة سنة سائحا لا يتقوت إلا على نبات الأرض (الجمار)، وكانت الوحوش والطيور تأوي إليه.

- أنظر: أحمد التاداليل الصومعي: "كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى"، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن زهر، أكادير، سلسلة الأطروحات والرسائل رقم 6، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996، ص.67.

⁴أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي (ابن الزيات): "التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي"، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1997، صص.213-214.

⁵Napoléon Lacroix et Henri de La Martinière:op.cit, p.165.

⁶ينحدر أولاد سيدي بالقاسم أزروال من تزروالت جنوب شرق تنزيت، وهو أمازيغ يتحدثون تشليحية، انتقلوا زمن سيدي إبراهيم بن بالقاسم أزروال إلى بني بوزكو خلال القرن 12 م حيث استقر مع أتباعه، وفي المكان المسمى عين الحجره تقوم قبة سيدي إبراهيم وغير بعيد عنها توجد زاوية أولاد سيدي بالقاسم أزروال، وهو فقراء ضعيفو التأثير.

سيدي محمد بن أحمد إلى مولاي إدريس عن طريق مولاي عبد السلام بن مشيش؟ أم أنهم كانوا يتخوفون من أن يزيحهم هذا الولي الجديد عن مكانتهم ليحل محلهم؟

حاول سيدي محمد بن أحمد تهدئة الخواطر وتفنيذ شكوك وتخوفات أولاد سيدي بالقاسم أزروال، فكرس نفسه لخدمة ضريح سيدي إبراهيم، ورغم ذلك رأى أنه من الضروري نسج رابطة أكثر قوة بينه وبين أولاد سيدي بالقاسم أزروال، وهي رابطة الدم، حيث تزوج فاطنة بنت لحسن، ابنة أخ زعيمهم سيدي محمد بن الهاشمي، فأهدى له أصهاره قطعة أرض بنى فوقها منزلا خاصا، ليتحول أعداء الأمس إلى حلفاء¹.

لم يدم مقام سيدي محمد بن أحمد طويلا بالبيت الذي بناه، حيث لم يلبث أن انتقل إلى وزغت² وبني بها منزلا جديدا أكثر اتساعا، ثم زاوية حملت اسم الدراويش، ذلك أنها كانت تستقبل عابري السبيل والحجاج القادمين من جميع الجهات، لتتحول هذه الزاوية سريعا إلى ملجأ يقصده مريدو الطريقة الدراوازية الذين يلبسون الخرق ويجوبون عمالة وجدة.

شكلت هذه الزاوية أيضا مركزا يلتقي عنده مريدو الولي سيدي محمد بن أحمد، القادمين من دبدو وأولاد عمارة وكذا المناطق القريبة من بني بوزكو، وأصبحت تشهد تنظيم الحضرة³، وهو طقس صوفي يمكن من تجميع بعض المعطيات حول الشيخ وعدد مريديه والقبائل التي ينحدرون منها. لكن في ظل غياب مصادر مكتوبة تؤرخ لهذه الحضرة، سنحاول، من خلال العقد الذي تم بموجبه منح شيخ زاوية الدراويش وقفا خاصا آخر وهي قطعة أرضية تسمى "تيولا" وتقع ببني يعلا الصفاصيف⁴، أن نرصد إشعاع هذه زاوية بين قبائل المغرب الشرقي، وهي كالتالي:

- أولاد خليفة: فخذة من قبيلة أولاد بختي بكفايت.
- أولاد مسعود: فخذة من قبيلة السجع شمال العيون سيدي ملوك.
- بني يعلا الصفاصيف.
- بني شبل: قبيلة صغيرة، أمازيغية الأصول، تحد بني بوزكو جنوبا⁵.
- أولاد عمرو
- الحديون: فخذة من بني بوزكو، أصبحت قبيلة مستقلة منذ ثورة الجيلالي الزرهوني "بوحمارة".

لقد كان هدف المانحين للوقف الخاص للحصول على بركة الولي، الذي قبله قائلا: "إن الله على كل شيء قدير"، ثم ما لبث أن توجه إلى "تيولي" حاملا طبله، دون أن يعلم أحدا من مقربيه، حتى إذا وصل إلى كهف شرع في الضرب على طبله لتفر الأسود. وهكذا عاد سيدي محمد بن أحمد من جديد إلى الاستقرار داخل كهف مفارقا زوجته وأبناءه الثلاثة، الذين تركهم في الزاوية،

¹Fernand Blachier: "Essai sur confrérie ...", op. cit, p.28.

²وزغت تعني باللهجة المحلية "أين هو؟" أو "أين ذهب".

³الحضرة أو الوجد هي حالة يثمرها السماع وهو وارد حق يجده المستمع من نفسه، وتلك الحالة لا تخلو من قسمين، فإنها إما ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات، وإما ترجع إلى أحوال كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والقبض، وهذه الأحوال يهبجها السماع ويقويهها.

- أنظر: أبو حامد الغزالي: "إحياء علوم الدين"، دار الشعب، القاهرة، الجزء السادس، ص.1162.

⁴بنو يعلا الصفاصيف هي جزء من قبيلة بنو يعلا التي انقسمت، بسبب صراعات داخلية، إلى ثلاثة قيادات هي: بنو يعلا الشراكة (تخضع مباشرة لعامل وجدة) وبنو يعلا الغرابية (تخضع للقائد أحمد بوزيان) وبنو يعلا الصفاصيف التي أصبحت تابعة لقائد قبيلة بني بوزكو سنة 1884م.

- أنظر: شاكر الميلود: "بني بوزكو"، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1413هـ/1992م، المجلد 5، ص.1511.

⁵Napoléon Lacroix et Henri de La Martinière: op.cit, p.168.

فزدادت شهرته وذاع صيته ومعها معجزاته، ومنها ما حكاه القائد محمد بوسماحة نقلا عن أبيه الذي عاصر الولي، من أن وفدا من الحديين يقوده السي بوسماحة فوجئ، أثناء قيامهم بـ "الزيارة" بالولي وهو يتحدث مع الحيوانات المفترسة التي أحاطت به¹، الشيء الذي دفع بالكثير من الحديين إلى أن يصبحوا من المريدين الأوفياء لزاوية الدراويش².

يتناقل الحديون أيضا أنهم حينما أصيبوا بالمجاعة بسبب توالي سنوات الجفاف، لم يجدوا أمامهم إلا قطع الطريق ونصب الكمائن لقتل ونهب كل من يعبر أراضيهم، إلى أن سقط الولي سيدي محمد بن أحمد في أحد تلك الكمائن عندما كان عائدا من كفايت، ثم إنهم اجتمعوا حوله لما عرفوه، فوعدهم بأن الخير لن ينقطع عنهم وعن نسلهم، وأنهم لن يحتاجوا شعيرا قط إذا هم رعوا حق الطريق وتوقفوا عن قطعه. وفعلا بعد وقت قليل عن كفهم عن النهب والسلب تساقطت أمطار غزيرة على أراضيهم نمت محاصيلهم. وقد اشتهر الحديون بعد ذلك بأنهم مزارعون جيّدون يعرفون كيف يدبرون أمور معيشتهم، ذلك أن مطاميرهم لم تكن تفرغ أبدا، وقد خلد الحديون هذه المعجزة بموسم يعقد كل سنة بوزغت³.

بني سيدي محمد بن أحمد زاوية أخرى سنة 1863 بمكفايت⁴ بمكان يسمى "تنشرت"، قبل أن يتوجه شمالا نحو بني يزناسن، حيث نصب خيمته في سوق وسط خيام أخرى، غير أحدا لم ينتبه لوجوده، مما أحنز الولي وأغضبه فجمع متاعه عائدا أدراجه من حيث أتى، لكن بمجرد خروجه من السوق سادت حالة من الذعر والهلع جُهلّت أسبابها، تلتها اشتباكات دامية، لتلحق به مجموعة من بني يزناسن بعد أن تعرفوا على هوية الولي، ورافقوه إلى وزغت، وهناك ذبحوا عجلا طلبا للعفو والمغفرة، وتوسلوا إليه أن يعود مرة أخرى إلى بني يزناسن، وقد وعدهم سيدي محمد بن أحمد، بعد قليل من التمتع، بزيارة ثانية⁵.

وكما هو شأن الأولياء، صدق سيدي الحاج محمد بن أحمد وعده لبني يزناسن وقام بزيار ثانية، استقبل خلالها استقبالاً كبيراً يليق بمكانته، واتخذ منهم الكثير من المريدين، من أبرزهم جد قائد بركان السي المنصوري، وبني زاوية سيدي بوجمعة بقبيلة بني منكوش (إحدى قبائل اتحادية بني يزناسن). وكما هو شأن شيوخ الطرق الصوفية امتلك سيدي محمد بن أحمد قدرة كبيرة على إصلاح ذات البين، مما جعل فرق قبيلة بني بوزكو تلجأ إليه عدة مرات لحل نزاعاتها ووضع حد للمواجهات المسلحة التي كانت تنشب بينها.

تعددت معجزات وكرامات سيدي الحاج محمد بن أحمد، ولعل آخرها كانت عندما استقبل، قبل فترة قصيرة من وفاته، وفودا من أعيان القبائل الذين جاؤوا ليؤكدوا على تجيلهم وإجلالهم له، فقدم لهم وجبة "الزميتة" المصنوعة من دقيق الشعير، وهي

¹Fernand Blachier: "Essai sur confrérie ...", op. cit, p.31.

²بلغ عدد مريدي زاوية الدراويش من الحديين حسب إحصاء قامت به سلطات ملحقة العيون سنة 1945 حوالي 50 مريدا، محتلة بذلك المرتبة الأولى، ومتجاوزة بكثير عدد مريدي زاوية عيساوة (10).

³Fernand Blachier: "Essai sur confrérie ...", op. cit, pp.31-32.

⁴كفايت أو تكافيت سهل صغير مثلث الشكل يقع على وادي زا عند الخانق الذي حفره قبل دخوله كتلة جبال بني بوزكو، استقرت بهذا السهل تجمعات بشرية من أصول قبلية مختلفة، منهم بربر بني يعلا وأولاد عمرو وبني مطهر، وعرب ولاد بخي والمهاية. ومنذ سنة 1959 أصبحت تكفايت جماعة قروية تابعة لإقليم جرادة، مقرها بدوار الزاوية.

- أنظر: مارية دادي: "تكافيت"، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1415هـ/1995م، المجلد 8، صص. 2509-2510.

⁵Fernand Blachier: "Essai sur confrérie...", op. cit, p.32.

أكلة لم تكن تتناسب وقدر أولئك الأعيان، الذين بالكاد تذوقوها، باستثناء جد القائد النكادي، محمد بن المختار، الذي أكل منها إلى حد الشبع، بل ووضع ما فضل منها في "شكارتة"¹.

إلتصمت الوفود من الولي سيدي محمد بن أحمد في آخر لقاءها به أن يخصهم بدعائه، فرد عليهم بأن دعاءه سيقصر فقط على من أكل من الزميمة، ومنذ هذا الوقت زاد تأثير عائلة محمد بن المختار على بني بوزكو وعلى القبائل القريبة من دبدو وكفايت، وامتد أثر دعاء الولي إلى القائد حمادة ابن محمد بن المختار²، حينما سلم من عقاب بوحمارة، وهذا في حد ذاته اعتبر معجزة في ذلك الوقت.

ولما أحس الولي سيدي محمد بن أحمد بدنو أجله قام بزيارة وداع أخيرة إلى زاوية دبدو محاطا بمريديه، ثم إلى زاوية تنشرت بكفايت، قبل أن يدركه الموت سنة 1865م، وقد حمل جثمانه إلى "تيولي" ليدفن بها³، حيث أصبح ضريحه محج الكثير من المريدين. وقد ترك الولي سيدي محمد بن أحمد ثلاثة من الأبناء من زوجته فاطنة بنت لحسن، وهم مولاي أحمد، سيدي بن المهدي، سيدي عبد السلام، وقد خلفه على طريقة الدراويش أوسط أبنائه (سيدي بن المهدي). مع الإشارة إلى أن سيدي محمد بن أحمد قد اتخذ زوجة ثانية عند إقامته ببني يزناسن، أنجبت له عدد من الأبناء ماتوا كلهم في سن الصبا⁴.

2. سيدي بن المهدي صاحب الكرامات.

ولد سيدي بن المهدي سنة 1855م بزاوية وزغت، وأظهر منذ صغره علامات الصلاح والتقوى، فكان بارا بأبيه موقرا ومعظما إياه، مما جعله المفضل بين إخوته، وقد تمكن من حفظ القرآن الكريم وعمره يناهز 15 سنة، لينتقل بعدها إلى تعلم العقائد والتعاليم الصوفية، كما اعتاد على القيام برحلات في الغابة منفردا، منها أنه لبس في أحد الأيام، دون علم أبيه، الخرقه ثم حمل عكازا، في إشارة إلى الفقراء الدراويش، وخرج سائحا ليوم كامل، وهي مدة قصيرة جدا لم تمكن هذا الصوفي الشاب من أن يحمل لقب "الفقير" حقا⁵.

لاحظ سيدي محمد بن أحمد تقوى ابنه وتعلقه بالصوفية فاختره خليفة له، وبعد موته نظمت الزاوية حضرة كبيرة، شهدت انضمام عدد مهم من المريدين الجدد، وتم خلالها مبايعة سيدي بن المهدي شيخا للدراويش، وقد كرس الشيخ الجديد وقته لقراءة الكتب الصوفية ومزاولة رياضة التأمل، إلى أن رأى أباه في المنام يأمره بالقيام بأول جولة له إلى باقي الزوايا التابعة للدراويش. انطلق سيدي بن المهدي مستجيبا لأمر والده، حتى إذا وصل إلى دبدو التي أنهكها الجفاف، توسل إليه أهلها أن يستسقي لهم، فقبل بشرط أن يتحمل يهود المدينة تكاليف طعامه، وبعد صلاة العشاء شرع سيدي بن المهدي في الدعاء والتضرع، وسرعان ما تجمعت الغيوم في السماء التي كانت صافية قبل ذلك، لتنهزم أمطار الخير على المنطقة، أنقذت

¹Ibid, p.33.

²حمادة هو قائد بني بوزكو طيلة الفترة الممتدة من 1876 إلى 1905م، بنى قصبة جميلة على واد مستكمر، كانت مسرحا لحدث درامي، ذلك أن بوحمارة، الثائر ضد السلطة الشرعية، كان قد تزوج بنت القائد حمادة، ثم أراد أن يتزوج حفيده من بنت أخرى، الشيء الذي جعل القائد حمادة يعبر عن رفضه على اعتبار أن هذا الأمر لا يستقيم، غير أنه استدعى وزير بوحمارة ومعه 80 من فرسانه إلى قصبته، مظهرًا الطاعة والامتثال وقبول المصاهرة، ثم أعمل فيهم السيف (سنة 1904)، وقد نجا بوحمارة من هذه المجزرة بأعجوبة، فقرر الانتقام بتسوية القصبية بالأرض، أما القائد حمادة فقد تمكن من الفرار إلى أن أدركه الموت بعد ذلك بسنة واحدة.

- أنظر: Augustin Bernard: "Les confins algéro-marocains", Emile Larose, Paris, 1911, p.94.

³Fernand Blachier: "Chorfaidrissides", décembre 1946, 15M-900-133, A.D.N.

⁴Fernand Blachier: "Essai sur confrérie religieuse des Draouech", op. cit, p.34.

⁵Ibid, p.35.

المحاصيل الزراعية. وعرفانا من أهل دبدو بفضل شيخ زاوية الدراويش عليهم خصصوا لهذه الأخيرة هبة سنوية تقدر بست قرديات (تساوي كل قردية حوالي 3,25 كلغ) من الشعير لكل "زوج" من المهائم¹.

وأثناء عودته من دبدو، توقف سيدي بن المهدي بقبيلة أولاد امعر التي اكتسحها الجراد إلى درجة أنه غطى حقولها، فبادر سكان هذه القبيلة إلى التوسل إليه من أجل أن يدفع عنهم هذا البلاء، فوافق بشرط أن تُمنح زاوية الدراويش زريبة مصنوعة في القبيلة، وهو طلب بسيط استجيب له فوراً، ليتفاجأ الجميع في اليوم الموالي باختفاء الجراد نهائياً².

لقد ورث سيدي بن المهدي عن أبيه "البركة"، فغدا صاحب كرامات يستفيد منها مريدوه مقابل مساهمات عينية أو نقدية بسيطة تخصص لضمان السير الحسن لزوايا الدراويش، غير أن شخصيته لم تشبه شخصية أبيه، فقد انصف بالخجل وقلة المبادرة، ذلك أنه طيلة المدة التي كان فيها شيخاً لطريقة الدراويش لم تبين إلا زاوية واحدة في آخر حياته، حيث كرس وقته للوعظ والبحث عن الاتحاد مع الخالق³، لكن رغم ذلك تضاعف عدد مريدي الزاوية⁴.

تميزت زاوية الدراويش بنهجها للحياة التام أمام مختلف الأحداث التي كانت تعرفها المنطقة، ولعل أبرزها الحركة التي قادها "بوحمارة" ضد المخزن المغربي، غير أن هذا الحياض لم يشفع لهم هذه المرة في اتقاء هجومات السي الطيب بن بوعمامة⁵، الذي وقف في صف أولاد سيدي بالقاسم أزروال في صراعهم مع سيدي بن المهدي، رغم محاولة هذا الأخير سنة 1908م كسب ود قبيلة أولاد سيدي الشيخ من خلال اتخاذ لالا عائشة زوجة ثانية، وهي التي تربطها علاقة قرابة غير مباشرة بالقائد السي الطيب بن بوعمامة، وبالتالي استمرت معاناة سيدي بن المهدي من هذا التحالف، إلا أنه لم يحاول حتى الدفاع عن نفسه، ولم يستجدي الدعم من الفرنسيين، واكتفى بالانغلاق على نفسه مطالباً مريديه بالتحلي بالحذر الشديد.

حافظ سيدي بن المهدي على نفس النهج في التزام الحياض التام، حتى بعد الاحتلال الفرنسي لمناطق المغرب الشرقي، حيث أنه لم يظهر أي تعاطف مع السلطات الاستعمارية الجديدة، ولم يبحث أيضاً عن إثارة الاضطرابات ضدها، وفضل عدم الاحتكاك بها أو التعامل معها، إلى درجة أنه رفض دعوة رئيس مركز العيون، اليوتون جوليان *Lieutenant Julien*، سنة 1912م للمثول لأمامه، وقد تميزت هذه الفترة بتراجع كبير لإشعاع زاوية الدراويش⁶.

توفي الشيخ سيدي بن المهدي سنة 1913م، تاركا خمسة من الأبناء من زوجته الأولى فاطنة بنت الحاج أحمد المنحدرة من قبيلة بني ورميش (إحدى قبائل اتحادية بني يزناسن)، توفي أحدهم وهو السي عزوز، أما سيدي نور الدين فقد استقر بجرادة حيث

¹Ibid, p.36.

²Ibidem.

³الاتحاد عند من يعتقد من الصوفية هو اختلاط وامتزاج الخالق بالمخلوق، فيكونان بعد الاتحاد ذاتا واحدة.

- أنظر: علي بن محمد بن علي الجرجاني: "كتاب التعريفات"، تحقيق وتقديم إبراهيم الأبياري، دار البيان للتراث، ص.22.

⁴Fernand Blachier: "Essai sur confrérie ...", op. cit, p.37.

⁵السي الطيب بوعمامة هو ابن محمد بن العربي بوعمامة، الثائر بالجنوب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، أصبح قائدا لقبيلة أولاد سيدي الشيخ خلفاً لأبيه (قسمت اتفاقية للامغنية سنة 1845 قبيلة أولاد سيدي الشيخ إلى قسمين: الشراكة التي اعتبرت من القبائل الجزائرية، والغرابة اعتبرت قبيلة مغربية التي استقرت بنواحي عيون سيدي ملوك بداية القرن العشرين)، وأيضاً شيخاً للزاوية البوشيخية.

- أنظر: عكاشة براحاب: "بوعمامة، محمد"، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1413هـ/1992م، المجلد 6، ص.1802.

⁶Fernand Blachier: "Essai sur confrérie ...", op. cit, p.37.

كان يعمل ابنه في مناجمها، في حين ظل كل من السي الخادير والسي أحمد وسيدي المصطفى مستقرين بالزاوية، وقد خلف هذا الأخير أباه على رأس زاوية الدراويش¹.

3. سيدي المصطفى المهدي.

بعد وفاة الشيخ سيدي بن المهدي سنة 1913م، أصبح سيدي المصطفى المهدي شيخا لزاوية الدراويش، وهو الذي اتصف بالبساطة والتواضع وبالحكمة والتقوى، رغم مستواه الثقافي المتواضع، كما أنه اشتهر بكرمه وجوده وحسن ضيافته، الشيء الذي جعله شيخا مبجلا محبوبا ومسموع الكلمة، وهو ما يفسر تخصيصه بعدد مهم من الهبات القيمة.

اعتاد سيدي المصطفى القيام بزيارة للزاويا التابعة للدراويش بكل من دبدو وكفايت وسيدي بوجمعة مرة كل سنة، حيث كان يتلقى "الزيارة"، واتخذ مريدين (منهم نساء) من مجموعة من القبائل أهمها أهل دبدو وأولاد عمرو وبني شبل وأولاد بختي وبني منكوش، أظهروا له الطاعة والتزموا بنهج الحياد، إلى درجة أن السلطات الفرنسية لم تسجل عليهم أية محاولة للتدخل في المجال السياسي، وقد اشتهر سيدي المصطفى بازتدائه برنسا من الصوف الأبيض مزخرفا بضريح أخضر وأبيض، كرمز مستحدث للشرفاء الأدارسة².

استقر سيدي المصطفى المهدي غير بعيد عن ضريح والده، بالزاوية الكبيرة التي بناها هذا الأخير قبيل وفاته. وقد واصل سيدي المصطفى سياسة أسلافه في مسألة الزواج، حيث كانوا يعتبرونها وسيلة لكسب الحلفاء ودفع الأعداء، وأيضا لنسج روابط أكثر متانة مع الزوايا التابعة للدراويش، وهم في هذا الأمر خالفوا طريق الصوفية، التي تدعو إلى التجرد من الأزواج والأولاد، لأن ذلك أعون على الوقت للفقير، وأجمع لهممه، وألذ لعيشه³.

تزوج سيدي المصطفى المهدي ثلاث نساء أنجب منهن الكثير من الأبناء، ذكورا وإناثا، وهن:

— يامنة بنت الحاج محمد بن موسى من قبيلة المهايا الجنوب، التي تضم مريدين للشيخ، توفيت سنة 1940م تاركة ثلاثة أولاد هم:

- عبد القادر الذي عاش بالعيون تحت نفقة والده.
- سعيد استقر بوزغت، وهو شاب متعلم يستحق التقدير من والده، رغم أن هذا الأخير كان يتجاهله.
- أحمد، صباغ بوجدة منذ سنة 1936م.

— فافا (تحريف أمازيغي لاسم فاطنة) بنت السي الطيب بنت المهدي من كفايت، توفيت منذ سنة 1943م تاركة ولدا واحدا مفضلا لدى سيدي المصطفى هو السي محمد.

— الزهرة بنت السي محمد بنت الخير من دبدو، وهي بنت قاض سابق، أنجبت خمس بنات وثلاثة أولاد⁴.

لقد كان السي محمد هو الأقرب لخلافة والده على رأس زاوية الدراويش، نظرا للمكانة التي كان يخصصها به، ونظرا لملازمته له معظم الوقت، وهو شاب بالكاد يعرف القراءة والكتابة، تزوج وعمره 25 سنة بنت السي بولنوار، مقدم زاوية الدراويش بسيدي

¹Ibid, p.38.

²Fernand Blachier: "Essai sur confrérie ...", op. cit, p.66.

³السهوردي: "عوارف المعارف"، تحقيق وضبط أحمد عبد الحليم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م، المجلد الأول، ص.181.

⁴Fernand Blachier: "Essai sur confrérie ...", op. cit, p.65.

بوجمعة، لكن مستقبله كشيخ للطريقة كان يندر بمجموعة من المشاكل والعقبات، على اعتبار ضعف مكانته ومحدودية تأثيره¹.

بلغ عدد مريدي زاوية الدراويش خلال منتصف القرن العشرين حوالي 1500 مريد، منتشرين في دائرة مركزها زاوية وزغت وشعاعها يمتد إلى حوالي 60 كيلومترا، مستفيدة من تراجع إشعاع بعض الطرق الصوفية بالمنطقة كالعيساوية والشيخية والزيانية والكرزازية². ومع ذلك لم تعد هذه الزاوية أن تكون طائفة صغيرة محصورة نسبيا في المجال، تقوم على تعاليم وعقائد انحرفت كثيرا عن أصولها الصوفية الشاذلية الدرقاوية.

خاتمة:

توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- لم تحظ زاوية الدراويش باهتمام الباحثين سواء بسبب موقعها المعزول أو ضعف إشعاعها أو حيادها وانغلاقها.
- استمدت زاوية الدراويش تعاليمها من الطريقة الدرقاوية غير أنها انحرفت كثيرا عنها منذ النصف الثاني من القرن العشرين.
- ظل مجال إشعاع زاوية الدراويش محدودا بسبب ضعف مبادرة شيوخها، باستثناء سيدي محمد بن أحمد، مؤسس الزاوية.
- اصطدمت زاوية الدراويش منذ تأسيسها بمقاومة الشرفاء والزوايا الأخرى، في إطار الصراع حول السيطرة الروحية واكتساب المزيد من المريدين.

قائمة المراجع:

1. أبو حامد الغزالي: "إحياء علوم الدين"، دار الشعب، القاهرة، الجزء السادس.
2. أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي (ابن الزيات): "التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي"، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1997.
3. أحمد التادلي الصومعي: "كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى"، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن زهر، أكادير، سلسلة الأطروحات والرسائل رقم 6، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996.
4. أحمد العدوي: "أبو عبد الله أمغار"، مجلة دعوة الحق، العدد الخامس، السنة السابعة عشر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، محرم 1396هـ/يناير 1976م.
5. أحمد بن خالد الناصري: "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى"، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، الجزء الثامن.
6. السهروردي: "عوارف المعارف"، تحقيق وضبط أحمد عبد الحليم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م، المجلد الأول.

¹Ibid, p.68.

²Le chef de l'annexe d'El-Aioun, à M. le contrôleur civil, chef de la circonscription d'Oujda: "Confréries religieuses", N° 340 cl, El-Aioun, 16 décembre 1946, 15M-900-133, A.D.N.

7. شاكرا الميلود: "بني بوزكو"، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1413هـ/ 1992م، المجلد 5.
8. عبد الحليم محمود. "قطبا المغرب"، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1990.
9. عبد الرزاق الكاشاني: "معجم اصطلاحات الصوفية"، تحقيق وتقديم وتعليق عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ/ 1992م.
10. عبد العزيز بن عبد الله: "معلمة التصوف الإسلامي"، دار نشر المعرفة، الرباط، الطبعة الأولى، 2001، الجزء الثاني.
11. عكاشة برحاب: "بوعمامة، محمد"، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1413هـ/ 1992م، المجلد 6.
12. علي بن محمد بن علي الجرجاني: "كتاب التعريفات"، تحقيق وتقديم إبراهيم الأبياري، دار البيان للتراث.
13. مارية دادي: "تكافيت"، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1415هـ/ 1995م، المجلد 8.
14. محمد المنير السمنودي: "تحفة السالكين ودلائل السائرين لمنهج المقربين"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 2009م.
15. محمد بن عجيبة: "كتاب شرح صلاة القطب بن مشيش"، سلسلات نورانية فريدة، جمع وتقديم العمراني الخالدي عبد السلام، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء.
16. محمد داود: "تاريخ تطوان"، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصيل، المطبعة المهدية، تطوان، 1386هـ/ 1966م، المجلد السادس.
17. يوسف محمد طه زيدان، "الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر"، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ/ 1991م، ص. 55.
18. Auguste Mouliéras: "Le Maroc inconnu", Augustin Challamel, Paris, 1899, deuxième partie.
19. Augustin Bernard: "Les confins algéro-marocains", Emile Larose, Paris, 1911.
20. Capitaine Henri Delcros: "L'Idrissisme et les chorfaidrissides dans la région d'Oujda", mémoire présenté au centre de hautes études d'administration musulmane (C.H.E.A.M), janvier 1947, MA-285-76, A.D.N.
21. Fernand Blachier: "Chorfaidrissides", décembre 1946, 15M-900-133, A.D.N.
22. Fernand Blachier: "Essai sur confrérie religieuse des Draouech", janvier 1948, 15M-900-55a, Archives diplomatiques de Nantes (A.D.N).
23. G. S. Colin: "Traduction annotée de « El-Maqsad (Vies des saints du Rif) de Abd-El-Haqq El-Badisi »", in Archives Marocaines, volume XXVI, librairie ancienne honoré champion, Paris, 1926.

- 24.G. Salmon:"**La Kherqa des Derqaoua et la Kherqasoufya**", in Archives Marocaines, Tome deuxième, Ernest Leroux, Paris, 1905.
- 25.Le chef de l'annexe d'El-Aioun, à M. le contrôleur civil, chef de la circonscription d'Oujda:"**Confréries religieuses**", N° 340 cl, El-Aioun, 16 décembre 1946, 15M-900-133, A.D.N.
- 26.Le chef de l'annexe d'El-Aouin à M. le contrôleur civil, chef de la région d'Oujda:"**Des confréries religieuses**", N° 58 cl., El-Aioun, 12 juillet 1947, 15M-900-133, A.D.N.
- 27.Louis Rinn:"**Marabouts et khouan : étude sur l'islam en Algérie**", Adolphe Jourdan, Alger, 1884.
- 28.Napoléon Lacroix et Henri de La Martinière:"**Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest africain**", L. Danel, Lille, 1894, T. 1.
- 29.Octave Depont, Xavier Coppolani:"**Les confréries religieuses musulmanes**", Adolphe Jordan, Alger, 1897, p.513.

دراسة تحليلية لظاهرة السلطة من منظور سوسيو-سياسي-

Analytical study of the phenomenon of power From a Socio-political-

ط.د. مريم عشي/جامعة تبسة، الجزائر

د. صونية حداد/جامعة باتنة 1، الجزائر

Dr. Sonia haddad/University of batna 1

PhD student Meriam achi/University of tebessa

ملخص :

يحتل موضوع السلطة مكانة هامة في الفكر الإنساني و في واقع الحياة الاجتماعية ، فقد تسيرنا سلطة ما نجعل تصنيفها وكنهها و لا نعرف أبعادها وأهدافها، حيث ستناول من خلال هذه الدراسة تحليل ظاهرة السلطة بناء على المفاهيم المتعددة لها، لإدراك معالمها ومن ثم الكشف عن توجهات النظم السياسية وغير السياسية، و التي تلعب فيها آلية التشريع دورا كبيرا في عملية التحول المجتمعي والتطلع الديمقراطي، وسنلقي الضوء على أهم ما جاء في مفهوم السلطة.

الكلمات المفتاحية: السلطة ، السلطة السياسية ، النظم السياسية، سوسيو-سياسي.

Abstract

The power issue is an important place in human thought and in the reality of social life. We may go to the power of what we do not know, and we do not know its dimensions and objectives. This study will analyze the phenomenon of power based on its multiple concepts, Political and non-political, in which the mechanism of legislation plays a major role in the process of social transformation and democratic aspiration, and we will highlight the most important thing in the concept of power.

Keywords: power, political power, political systems, socio-political.

مقدمة :

تعد السلطة من المفاهيم الكلاسيكية المتداولة بشدة في العلوم الإنسانية والاجتماعية عامة، وفي العلوم السياسية وعلم الاجتماع السياسي على وجه التحديد، باعتبارهما التخصصان اللذان يعالجان المفهوم من وجهة نظر سوسيو-سياسية، وقد أسال مفهوم السلطة الكثير من الحبر لدى المفكرين الأوائل والمحدثين باعتباره ظاهرة عامة ودائمة لازمت كل المجتمعات عبر كل الحقب التاريخية، ولم تقتصر السلطة على الدولة أو على تنظيم سياسي معين فقط، وإنما توجد في جميع التنظيمات الاجتماعية الفرعية في المجتمع والتي قد لا تتعلق بالسياسة، فقد تكون سلطة أب أو رب أسرة أو سلطة شيخ قبيلة أو مدير مؤسسة أو رئيس دولة، فهي ظاهرة عامة تتخلل كل نواحي الحياة الاجتماعية إلا أنها غالباً ما تقترب بمفهوم السلطة السياسية وتتداخل معها، فقد شغلت السلطة الإنسان قديماً وحديثاً، فكراً وممارسةً فهي تعبير ضروري عن حاجة الإنسان للسيطرة، باعتباره كائن اجتماعي بطبعه، فالسلطة قيمة عليا ترتبط بالطبيعة البشرية وهي سابقة في وجودها عن الدولة، وتحليل السلطة يقتضي بيان ماهيتها، ولا يعد ذلك بالأمر الهين نظراً لتعدد المداخل والأيدولوجيات التي تناولت مفهوم السلطة من زواياها المتعددة والمتشعبة والمتطورة عبر الزمن، حيث ترتبط بشكل الحكم في الدول حيناً وبطرق ووسائل ممارستها أحياناً أخرى وصولاً إلى مفاهيمها الحديثة، باعتباره مفهوم هلامي يتخلل كل حنايا المجتمع وفي كل وقت وحين، فهي سلطة رمزية حيناً ومادية أحياناً أخرى.

والسؤال القديم المتجدد والذي طرحه المفكرون قديماً ونعيد طرحه لأنه على درجة من كبرية من الإلحاح والتعقيد لما له من علاقة بمختلف مناح الفكر الإنساني، فما هي السلطة؟ وما هي مظاهرها؟ وكيف تمارس؟.

إن محاولة الإجابة على هذه التساؤلات تبرز معضلة دراسة ظاهرة السلطة بسبب صعوبة حصر مفهومها، فإن تمكن المفكرون من دراسة مظاهرها وتكوينها وأسسها، لكن النفاذ إلى جوهر السلطة وبيان ماهيتها لم يكن بالأمر الهين وهذا ما نحاول تبينه في ورقتنا البحثية هذه وذلك من خلال التطرق للعناصر التالية:

أولاً: دراسة سوسيو- تاريخية لظاهرة السلطة:

إنه لمن التيه الفكري محاولة حصر وتحديد تاريخ محدد لنشوء السلطة، لأنها ظاهرة متطورة وتتفاعل مع العديد من العوامل، فحتى وإن كانت صفة لصيقة بالإنسان إلا أنها لا تكتمل بمعزل عن بقية الظواهر فهي تتبلور في مجرى من العلاقات المتبادلة مع الظواهر الأخرى، فقد كان الإنسان القديم قريباً من مملكة الحيوان في معاشه ومسكنه وكذلك علاقة الرجل بالمرأة في هذه المرحلة كانت على شاكله الحيوان وعلى أساس بهيمي محض¹، كما أن مفهوم الأخلاق لم يتبلور بعد، فأول مفهوم أخلاقي أسري ظهر عند الإنسان هو مفهوم الأم والتي كانت ترعى أبناءها بدافع الغريزة التي أوجدها الله فيها لاستمرار النوع، فكانت الأسرة الأمومية هي النواة الأولى في المجتمع²، وكان للأب مطلق السلطة في إدارة الأسرة في غياب الأب الذي كان يذهب للصيد ثم وفي مرحلة لاحقة تحولت السلطة للأب خاصة في مرحلة ملكية الأراضي وتوجه الإنسان للنشاط الزراعي، أين أقتصر دور الأم على تربية الأبناء، وهو ما يعرف بالمجتمع التقليدي، فالأبوية هي خاصية أساسية لهذا المجتمع، كما يشير النظام الأبوي إلى طبيعة توزيع السلطة داخل الأسرة، والأساس في هذا النظام هو هيمنة الرجل على المرأة و الكبار على الصغار، فممارسة السلطة توزع على محورين رئيسيين هما، الجنس والسن.

¹ - محمد شحرور، الدولة والمجتمع، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ص: 47.

² - المرجع نفسه، ص: 48.

كما يعتمد هذا البناء على نظام القرابة وهو يرتبط جذريا بالعائلة الممتدة أبويا ذات " العاهل " كما يرتبط بنمط الإنتاج التقليدي، وبعد ذلك تداخلت العديد من العوامل محدثة نوع من التغيير في النظام الأبوي منها:

1- ظهور المؤسسات : فانترعت الكثير من وظائف السلطة الأبوية مثل المؤسسات العقابية والأمنية والدينية والتعليمية .
2- ظهور الأسرة النووية: نتيجة التفكك العائلي والانقسام في الأسرة الكبيرة الممتدة إلى أسرة صغيرة تقتصر على الزوج والزوجة والأبناء.

3- خروج المرأة للعمل : وتحقيق الاستقلال المادي الذي أدى إلى الاستقلال في اتخاذ القرار وبالتالي تراجع السلطة البطريكية.
4- الحركات النسوية : والضغط الناتج عن المطالبة بالمساواة والحرية مما أدى إلى استبعاد هيمنة الرجل .

إن طبيعة البنية الاجتماعية لها انعكاس كبير على توزيع السلطة داخل الأسرة والمجتمع¹، ولقد مرت المجتمعات بمجموعة من التغيرات والتحويلات التي أدت إلى انتقالها من المرحلة التقليدية إلى مرحلة الحديثة بحكم الظروف وواقع الأفراد والجماعات والبنية الثقافية العامة السائدة، خاصة الثقافة التقليدية والتي تتميز فيها بين بعدين رئيسين:

- البعد الأول: الثقافة التقليدية باعتبارها نسق متكامل يحوي نوع من التوافق المتبادل بين العناصر المختلفة و عدم وجود أي صراع، مشكلة بذلك وحدة متكاملة من المعتقدات والأفكار والأفعال .

- البعد الثاني : الثقافة كنظام أتم بطابع المنهج الأخلاقي في إطار ممارسة السلطة والسيطرة الاجتماعي، فأفرزت العوامل الثقافية التقليدية تداعيات على علاقة القرابة التي تعتبر الركيزة الأساسية في العلاقات الاجتماعية والتي تتميز بالتراتبية بين الكبار والصغار من جهة والذكور والإناث من جهة أخرى أين يتم التركيز على المصلحة العامة الجماعية باعتبارها أرقى من المصلحة الفردية مما شكل الركيزة الأيديولوجية في ممارسة السلطة في المجتمع²، كما أن السلطة لها علاقة وثيقة بالزمن فهي تمارس في إطار بنيته كما نشأت بشكل تلقائي نتيجة هذا التراكم الزمني، فمعنى ومفهوم والسلطة يتغير بتغير الحالات التاريخية والسياسية المصاحبة لها والخاصية الزمنية للسلطة هي خاصية تكوينية تشكل بعدا ثابتا للروابط الاجتماعية والتي تكون ضمن فضاء عام وحيز مكاني يمثل مجال ممارسة السلطة³ ونرجع هنا لتساؤلنا الرئيسي ، فما هي السلطة؟

- ثانيا: مفهوم السلطة:

طرحت المفكرة "مريام ريفولت" في كتابها سلطان البدايات وهو بحث في السلطة ، فكرة قد سبق أن أثارت جدلا فلسفيا حول مدى وجود السلطة فعلا أم أن الأدوار الاجتماعية هي من تحدد المكانة وصاحب القوة ، فهل البحث في مفهوم السلطة قد عفا عليه الزمن لأنه لا وجود له أم أن السلطة أمر لا يمكن تجنبه أم أننا نعيش أزمة مفهوم للسلطة بين طرح قانوني وتفكير فلسفي وآخر سياسي وأطروحات اجتماعية....؟

¹ - ذياب فوزية، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، ص:366.

² - مزيان عبد المجيد، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي المجتمعي، المؤسسة الوطنية للكتاب مع ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ص:264.

³ - باري هندس، خطابات السلطة من "هوبز إلى فوكو"، ترجمة: ميرفت ياقوت، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005 ، ط1، ص:14.

إن التصورات الخيالية للسلطة وإضفاء طابع أيديولوجي عليها هو ما أدى إلى صعوبة بيان المفهوم كما أن إشكالية تعريف السلطة تنبع من تعدد المصطلحات المستعملة والخلط المترتب على استخدامها من: قوة، نفوذ، حكم، سلطان، فهي كلها تدور في فلك تعريف السلطة .

وبالانطلاق من الواقع الاجتماعي المتمثل في انتمائنا للجماعة يترتب عليه إقرارنا بوجود السلطة فقد يشعر الفرد وهو في حالة انتمائه للجماعة أنه مكره حيناً على الانصياع لأوامر معينة وأحياناً أخرى يشعر أنه مشارك ومؤمن بقيم وأهداف الجماعة، فقد انطلق الفلاسفة الأوائل في رؤيتهم للسلطة من كونها جوهر يفهم كطبيعة مجردة في حد ذاتها فأرسطو تحدث عن السلطة كمسلمة طبيعية في إطار المدينة، فالانتماء إلى سلطة المدينة أو المعيارية هي المعنى الحقيقي لحياة الإنسان وهي التفسير الأمثل لكونه حيواناً سياسياً¹، وفي المقابل هناك تصور آخر فردي للسلطة بوصفها القدرة والتعود الذي يمتلكه الفرد، والتي تجعل الجماعة تتقبلها وتنصاع لها طواعية بسبب ارتباطها بمصالحهم، كما أنها تسقط فكرة المساواة من الحساب فتصور السلطة بوصفها قدرة يوحي بعلاقات غير متكافئة بين الأفراد مما يقرب مفهوم السلطة من التسلط والذي تنعكس صورته في مصلحة الأقوى، فالتسلط هو انتقال للحق في الأمر دون تبرير وهو تجاوز لنطاق الحق، والسلطة بذلك معنى ديناميكي ومصطلح مراوغ فكما أشار "ألبن توفلر" في كتابه تحول السلطة، إلى ما حدث من تغيير في طبيعة السلطة فيقول: "نمة دافع قوي للاعتقاد بأن القوى التي تهز السلطة الآن على كل مستوى من مستويات النظام الإنساني سوف تصبح أشد ضراوة وأكثر تأثير في السنوات المقبلة فالعملية الكبرى لإعادة هيكلة علاقات السلطة تؤدي - كما يحدث عند تحريك الطبقات الأرضية وتطاحنها قبل الزلزال- إلى واحدة من أبرز الوقائع في تاريخ الإنسان، وهي حدوث ثورة في طبيعة السلطة نفسها فتحول السلطة لا يعني مجرد نقلها بل أيضاً تغير طبيعتها"².

ومفهوم السلطة يختلف من مجتمع لآخر، ومن تقاليد سياسية واجتماعية لأخرى كما أنه مفهوم مركب من عناصر مادية ومعنوية مختلفة، وحديثنا عن السلطة عموماً لا يمكن فصله بحدود ظاهرة وقطعية عن السلطة السياسية، فهي صورة محتواة ضمنياً وآلية في مفهوم السلطة عموماً فالتمييز داخل عموماً بين مفهوم السلطة العامة الاجتماعية والسلطة السياسية هو في حقيقته تمييز لوظائف السلطة، ولا يطال ذلك المفهوم وهي نفس الفكرة التي طرحها "موريس دوفرجيه" في كتابه علم الاجتماع السياسي، وفي هذا الصدد تنقسم مفاهيم السلطة السياسية إلى فئتين كبيرتين:

- تتجه الأولى إلى تعريف السمة السياسية لسلطة ما، من خلال نموذج الجماعة التي تمارس فيها، فتكون سياسية تلك السلطة التي تمارس في المجتمع الكلي بمواجهة السلطات في المجتمعات الخاصة .

- أما الفئة الثانية فتتجه إلى تعريف السلطة على الدولة أو الأمة باعتبارها مركز للسلطة السياسية أين يتم التركيز على خاصية السلطة الممارسة³، وتبعاً لما تقدم نورد فيما يلي أهم التعريفات للسلطة:

- عرفها "والتر بلكلي" أنها التوجيه والرقابة على سلوك الآخرين لتحقيق غايات جماعية، تعتمد على نوع من أنواع الاتفاق والتفاهم وتتضمن الامتثال الطوعي وهو التطابق في التوجه نحو نفس الهدف للطرفين، كما عرفها "بيردروف" أنها قوة في خدمة فكرة يولدها الوعي الاجتماعي وتتجه هذه القوة نحو قيادة الجموع للبحث عن الصالح العام، كما عرفها أحمد زكي

¹ - باري هندس، مرجع سبق ذكره، ص ص: 16، 17.

² - المرجع نفسه، نفس الصفحة.

³ - موريس دوفرجيه، علم اجتماع السياسة، ترجمة: سليم حداد، المؤسسات الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط1، 1991، ص: 133،

بدوي بأنها التصرف و إصدار الأوامر في مجتمع معين و يرتبط هذا الشكل من القوة بمركز اجتماعي يقبله أعضاء المجتمع، كما تعرف السلطة أنها القدرة أو القوة التي تمكن من السيطرة على الناس والضغط عليهم ورقابتهم للحصول على طاعتهم¹.

ولقد ساد الفكر الغربي تصوران للسلطة:

- التصور الأول: ويتضمن فكرة السلطة بوصفها ظاهرة كمية صرفة لا تزيد عن كونها نوع من أنواع القدرة على الفعل .

- التصور الثاني: وينصب على القدرة على الفعل بالإضافة إلى الحق فيه و قبوله ممن تمارس عليهم.

ونتناول هذان التصوران بشيء من التفصيل:

1-السلطة بوصفها ظاهرة كمية : وتقوم على القدرة الصرفة، ويمكن تبرير السلطة الاجتماعية والسياسية باعتبارها مماثلة للقوة الكهربائية أو قوة المحرك، أي أنها قدرة كمية يمكن إعمالها في مختلف الأغراض، حيث يستخدم الناس السلطة في تعاملاتهم مع الأشياء أو مع بعضهم البعض، ومن هذا المنطلق عرف فيبر السلطة أنها قدرة شخص أو مجموعة من الأشخاص على تحقيق إرادتهم حتى ولو كان ضد مقاومة الآخرين الذين يشاركون في الفعل، كما قدم "ليوكس" في كتابه "السلطة رؤية راديكالية" أنه بالرغم من الرفض التام الذي يبديه عدد من الباحثين المختلفين في قيمهم الاجتماعية لتصوير السلطة، فإن الرؤى البديلة للسلطة و التي تنتج عن هذه القيم يمكن اختزالها في المعنى الأساسي والذي يرى السلطة بمعنى القدرة الكمية²، كما قدم "مان" في كتابه مصادر السلطة الاجتماعية مفهوما واسعا للسلطة يشمل التاريخ البشري بأسره وعرف "مان" السلطة أنها القدرة على متابعة الأهداف وتحقيقها ويرى أن السلطة الاجتماعية تجمع جانبين متداخلين هما :

- سلطة البعض على البعض الآخر.

- سلطة الفعل الجمعي، إذ الأفراد من خلال تعاونهم تعزيز سلطتهم المشتركة على أطراف أخرى.

فالسلطة الاجتماعية مسألة هيمنة من ناحية، و تنظيم جمعي من ناحية أخرى³.

2- السلطة بوصفها قدرة شرعية: عرف "هوبز" السلطة تعريفا تقليديا: أنها ما يملكه المرء من وسائل لنيل بعض النفع الظاهر، ويأخذ في وصف سلطة الحاكم على أنها مجموع سلطات عدد من الأشخاص فيمكن الجمع بين العديد من السلطات لتكوين سلطة عليا وهي سلطة العاهل باعتبارها قدرة كمية صرفة تجمع سلطة كل الرعايا⁴، كما عرفها "بارسونز" أنها القدرة التعميمية لضمان أداء الواجبات الملزمة عن طريق وحدات في نظام فعل جمعي حين يتم تشريع الواجبات بالرجوع إلى علاقتها بالأهداف الجمعية بحيث يكون هناك تسليم بتوقيع عقوبات تجاه أي موقف سلبي في حالة الامتناع⁵.

ومن الاتجاهات الفكرية في دراسة السلطة ما ترى أنها علاقة سيطرة وخضوع، فقد عرفها "برتراند راسل": أن السلطة بكل بساطة تعني إنتاج آثار مرجوة، ويعرفها "روبرت دال": أنها الطاقة التي يستعملها أي شخص للحصول على شيء من شخص آخر لم يكن ليقدمه له لولا ذلك التدخل، كما عرفها كل من "لازوال وكابلان" أن السلطة عبارة عن شكل من ممارسة التأثير

1- محمود حامد مهور، علم الاجتماع السياسي، دار البداية ناشرون و موزعون، عمان، الأردن ط1، 2012، ص، ص: 100، 99.

2- باري هندس، مرجع سبق ذكره، ص: 40.

3- المرجع نفسه، ص: 44.

4- توماس هوبز، الليفيثان، الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ترجمة: ديانا حرب و بشرى صعب، ص: 194.

5- باري هندس، مرجع سبق ذكره، ص: 47.

من خلال إجراءات تهدف لتأثير في البرامج السياسية عن طريق اتخاذ عقوبات قاسية حقيقية أو افتراضية تجاه البرامج السياسية المختلفة¹.

ويرى "ماكس فيبر" أن السلطة هي احتمالية أن قيادة ما تطاع من قبل مجموعة محددة، فالسيطرة هي وسيلة وغاية السلطة السياسية في آن واحد²، فالسيطرة هي ميزة السلطة السياسية عند "فيبر" والتي تخولها ممارسة القهر والإلزام في إطار مشروع، ذلك أن السلطة السياسية ليست حالة عرضية وإنما علاقة اجتماعية قوية تتميز بالمشروعية وإيمان أفراد المجتمع بواجب طاعتها.

ويعرفها محمد عاطف غيث أنها قوة نظامية وشرعية في مجتمع معين مرتبط بنسق المكانة الاجتماعية وموافق عليها من جميع أعضاء المجتمع³، كما عرفتها "حنة أرنديت" في كتابها "في العنف" أنها قدرة الإنسان ليس فقط على الفعل بل على الفعل المتناسق فالسلطة لا تكون أبدا خاصة فردية بل تعود للجماعة وتظل موجودة طالما ظلت المجموعة⁴.

لقد شددت أرنديت في محاولتها تعريف السلطة على تنوع حقوق ممارستها من حقوق سياسية وتربوية وعائلية، كما تنطوي السلطة عند "أرنديت" على علاقة تفاوت مميزة فهي لا تقوم على المساواة ولا على التراتبية كما تنفي علاقتها بالقوة أو العنف⁵.

فالسلطة هي الوظيفة الاجتماعية القائمة على اتخاذ القرارات والتي تؤدي إلى تحقيق أهداف الجماعة ويرى "بيار بورديو" لا بد لأي مجتمع يريد الاستمرار أن تكون له قوة دافعة تجعل له كيانا مرهوبا وتلك هي السلطة، كما يقول "محمد طه بدوي" أن المجتمع من غير سلطة لا يستطيع الاستمرار فالسلطة تظهر في جميع الروابط ولا يمكن حصرها في ما هو سياسي فقط فهي تكمن في يد كل من تتاح له الظروف أن يمارسها سواء كان رب أسرة أو شيخ قبيلة أو مدير مؤسسة أو رئيس دولة⁶.

إن السلطة السياسية هي نوع من السلطة الاجتماعية والتي تختص بها صنف من التجمعات البشرية والتي نطلق عليها المجتمعات المدنية، وهي أرفع السلطات الاجتماعية فهي لا تسمح في العادة أن توجد في داخلها تنظيمات غير تابعة لها وغير مؤتمرة بأمرها على نحو مباشر، كما أن أجهزة الثواب والعقاب هي التي تحتكرها السلطة وحدها، فالسلطة السياسية هي التي تدير المجتمع المدني وتعمل على تنظيم العلاقات بين الجماعات العديدة التي تؤلفه، فالسلطة السياسية من ناحية هي سلطة اجتماعية لأن السياسة هي جانب من جوانب المجتمع ولا تقوم بشكل منعزل عنه ومن جهة أخرى هي سلطة سيدة تعلق وتقوم على الطوعية والاعتراف بدورها⁷.

- ثالثا: السلطة عند ماكس فيبر

تعد إسهامات "ماكس فيبر" في السلطة من أهم ما كتب وهو ما يستدعي الوقوف عنده فقد تميز "فيبر" في منهجه السوسيولوجي وتفرد في مزج البحث الاجتماعي بالسياسة، فوظف مفاهيم علم الاجتماع في دراسته، فقدم النموذج المثالي

1 - حسن ملحم ، التحليل الاجتماعي للسلطة، منشورات دحلح ، الجزائر، ص ص: 13، 14.

2 - المرجع نفسه، ص: 23.

3 - محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، ط 1، 1991، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص: 32.

4 - حنة أرنديت، "في العنف"، ترجمة: إبراهيم العريس، دار الساق، ط 1، 1993، بيروت لبنان، ص: 40.

5 - ميريام ريفولت دالون، سلطان البدايات، بحث في السلطة، ترجمة: سايد مطر، مراجعة: مورييس أبو ناضر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط 2012، ص: 51.

6 - مولود طيب، أحكام السلطة السياسية، دار الخلدونية، ط 1، الجزائر، 2006، ص: 09.

7 - المرجع نفسه، ص: 13.

لليبروقراطية ولأنواع السلطات، والسلطة كواقعة سياسية سبق أن تناولها قبله "إميل دوركايم" والذي قدمها من منظور الضبط الاجتماعي، فهي ضرورية ولا بد منها لتحقيق التوازن الاجتماعي وهي جزء لا يتجزأ من النظام الاجتماعي، ويعتبر أن النظام هو السلطة في ممارستها¹، و عرف فيبر السلطة أنها نوع من القيادة التي تعمل لإيجاد طاعة أو ائتمار عند أشخاص معينين²، وهي كذلك ضرورة إلزامية في التنسيق بين فئتين بمعنى أن هناك مصدرا للأوامر ويفرضها على مجموعة من الأفراد³، وقسم فيبر السلطة بناء على السلوك الاجتماعي إلى الأنواع التالية :

1- السلطة العقلانية القانونية: وتستمد شرعيتها من القانون والعقل وتقوم على الطاعة والخضوع والاعتقاد العقلاني الرشيد وتمارس وفق مجموعة من القواعد والقوانين المعيارية المحددة⁴.

2- السلطة الكاريزمية: و يقصد بالكاريزما الصفات والخصائص الخارقة التي يملكها شخص معين والتي تمنحه هالة من القدسية فيستمد سلطته من اعتقاد الناس وإيمانهم بصفاته الخارقة⁵، وهي سلطة غير مستقرة بسبب بعدها عن مؤسسات المجتمع فهي فقط تدور في شخص القائد الملمهم وهذا النوع من السلطة يقوم على الإيحاء فهو لاعقلاني وأساسها انفعالي يقوم على الثقة العمياء المتعصبة.

3- السلطة التقليدية : وتقوم على قوة التقاليد وتقديسها وقد سادت في الماضي عندما أعتقد الناس أن الله هو مصدر السلطة ثم تطورت هذه الفكرة لتقتصر على العائلة فهي مبنية على نوع من الاعتقاد بقدسية التقاليد مثل السلطة الأبوية في بعض المجتمعات أو سلطة رئيس القبيلة والعشيرة وهي تسود المجتمعات التقليدية⁶.

- السلطة البيروقراطية: ارتأينا إدراج هذا النوع ضمن أنواع السلطات عند "ماكس فيبر" رغم أن فيبر ركز في تقسيم السلطات على الأنواع الثلاث السابقة وتكلم عن النموذج المثالي لليبروقراطية بصفة مستقلة عند دراسته للتنظيمات وهذا فاعتقادنا أنها نموذج حديث من السلطة ، و يقصد بالبيروقراطية سيطرة الإدارة في المجالات المختلفة للتنظيم الاجتماعي والقائم على التدرج التصاعدي ، واعتمد فيبر في تحليله على عمل الأجهزة الوظيفية الرسمية للدولة والتي تقوم على اللوائح والقوانين والأساس العقلاني ويرى أن البيروقراطية هي التدرجية التي تحل محل السلطان الملمهم أو السلطان التقليدي ، وعند وضع أسس البيروقراطية بحث فيبر في كيفية تركيز السلطة الملازمة للمنصب باعتبارها متخصصة وفنية وهو المفهوم المعاصر للسلطة السياسية⁷.

إذا "فيبر" في دراسته للسلطة ربطها بالقيم الأخلاقية التي تؤسس عليها وذلك من منظور واقعي بعيد عن التجرد العقلاني وبعيد عن الخيال ، فأراد أن يطبق في تحليلاته تصنيف عام للنشاطات الإنسانية فقدمها تحت ثلاثة أشكال:

1- التصرف العقلاني بناء على الغاية والقصد : فالفاعل لا يقوم بنشاطه إلا بعد رؤية وتفكير وهو ما أطلق عليه "باريتو" تسمية التصرف المنطقي، فتتناسب الوسائل المستعملة مع الغاية التي يريد الوصول إليها وتحقيقها.

1 - إبراهيم أبو الغار، علم الاجتماع السياسي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، ص:54.

2 - عبد الله عبد الرحمان، تطور الفكر السياسي، ص:378.

3 - فريدة أبو العز، ما هي السلطة؟، مجلة الفكر العربي، العدد:23-24، ص:32.

4 - حنان علي عواضة، السلطة عند ماكس فيبر، مجلة الأستاذ، العدد:206، المجلد الأول، 2013، ص:271.

5 - المرجع نفسه ، ص ص:273،272.

6 - المرجع نفسه ، ص:269.

7 - حسن ملحم، مرجع سبق ذكره، ص:19،18.

2- التصرف العقلاني بناء على القيمة: والتصرف هنا لا يخضع لهدف ضمني بل الفاعل يقوم به من أجل بلوغ قيمة معينه، قد تكون جمالية أو أخلاقية أو دينية، والعقلانية تظهر في أن نشاط الفرد وفعله يكون موافق للقيمة التي يريد الحصول عليها.

3- التصرف العاطفي: يغيب هنا التفكير والعقل والفاعل يقوم بنشاطه دون مناقشة وحساب ويتمثل ذلك في الطاعة العمياء للأوامر تبعا للعادات والتقاليد¹.

ومن خلال التعاريف المقدمة أنفا لمفهوم السلطة يمكن أن نستخلص أهم مقومات السلطة في الآتي:

4- مقومات السلطة:

ومن أهم مقومات السلطة ما يلي:

أ- طرفي السلطة: لقيام السلطة لابد من أمر ومأمور بما أنها علاقة أمرية فلا يتصور قيامها على طرف واحد فقط فهي علاقة متعددة تحتاج للآخر.

ب- وجود إطار مؤسسي: فلا تتصور بناء السلطة دون مؤسسات و قواعد و أنظمة رسمية تتضمن كل ما من شأنه تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم و بقدر ما يكون الإطار المؤسسي قويا بقدر ما تكون السلطة قوية .

ج- الشرعية: والقبول وهي من المقومات الأساسية لبناء السلطة واستمرارها باعتبارها علاقة مقبولة من قبل أفراد المجتمع فتحدد الشرعية دور ومكانة كل من طرفي العلاقة السلطوية وإمكانية استمرارها كعلاقة مجتمعية فهي الضامن الأساسي للسلطة، فالسلطة التي لا تستطيع خلق شرعيتها مصيرها الانهيار².

د- القوة: وهي فرض الإرادة والتي تتم ممارستها بأسلوبين:

أ- تستخدم باعتراف عام كضرورة وحق اكتسبته السلطة من المرجعيات والضوابط التي يقرها المجتمع.

ب- تستخدم القوة للسيطرة على الآخرين من دون موافقة اجتماعية أو سند أو مبرر اجتماعي، كما في حالة اغتصاب السلطة عن طريق التزوير أو الانقلاب فتصير سلطة غير شرعية³، كما تتعدد وسائل فرض هذه القوة من وسائل فيزيقية وأخرى مادية وأيضا وسائل رمزية:

- الوسائل الفيزيقية: وتعتمد على القهر والتهديد وتطبيق الجزاءات .

- الوسائل المادية: وهي تعويضية مثل المكافأة والمزايا المادية والخدمية.

- الوسائل الرمزية: وهي معيارية تتمثل في توزيع وتجريد الكفاءات الرمزية بطريقة تدل على المركز من خلال تجريد الاحترام والهيبه ومن خلال طقوس معينة وكذلك الاستجابة تكون مجردة ورمزية⁴.

فكلها مقومات لابد من وجودها مجتمعة لبناء وقيام السلطة بصورتها النهائية.

¹ - المرجع نفسه ، ص:20.

² - محمود حامد مهور، مرجع سبق ذكره، ص، ص:103، 101.

³ - خالد حامد، المجتمع المدني والسلطة الشرعية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ط1، ص: 32.

⁴ - مولود طبيب، مرجع سبق ذكره، ص، ص: 11، 12.

إن تحليل السلطة يقوم على مقاربتين أساسيتين، وذلك يتيح فهم مختلف القوالب الاجتماعية التي تتخذها السلطة، حيث تلقي كل مقارنة الضوء على مجموع الآليات المعتمدة والمتكاملة فيما بينها، ولقد ركزت المقاربة السائدة في دراسة موضوع السلطة على دراسة نظرية الفعل الاجتماعي عند " فيبر"، والمتمثلة في الممارسة الفعلية للسلطة من خلال عملية اتخاذ القرار، أما المقاربة الثانية فهي النظرية البنائية الوظيفية والتي تركز في تحليلها على الاعتبارات البنوية والتي تؤكد على التكوين الثقافي للبنى المؤسساتية، والتي تطورت على " تالكوت بارسونز"، فالسلطة هنا تعمل على تأسيس التمكين الجماعي والانضباط وتتجاوز مجرد البحث في تعريف السلطة إلى النفاذ إلى وظائفها في المجتمع.

خاتمة:

إن مفهوم السلطة هو ذلك المفهوم "الماض" و"الإسفيني"، إن صح الوصف والتعبير، لأنه يستوعب الكثير من الإسهامات الفكرية، وهو مفهوم متطور عبر الزمن يحتمل التغير الدائم، باعتبار السلطة ظاهرة ديناميكية، وقد يكشف لنا المستقبل عن أوجه أخرى للسلطة تتحكم في معالمها، لم نعهدها أو لم ننتبه لها مثل سلطة المال، سلطة العلم ومعطيات أخرى مختلفة ومتنوعة تدفعنا لمزيد من البحث عن سبل الإمساك بزمام الأسباب الموصلة لبناء سلطة قوية تقوم على دعائم ثابتة ومواكبة لتطور البنى الاجتماعية، في إطار من التشاركية في تحديد الأهداف والغايات والعمل المتناغم، في ظل سلطة عليا مشروعة ومرتكزة على أسس رشيدة في سبيل الخير العام والتنمية المستدامة.

قائمة المراجع:

- 1- إبراهيم أبو الغار، علم الاجتماع السياسي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط1.
- 2- باري هندس، خطابات السلطة من "هوبز إلى فوكو"، ترجمة: ميرفت ياقوت، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ط1.
- 3- توماس هوبز، الليفيثان، الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ترجمة: ديانا حرب و بشرى صعب.
- 4- حسن ملحم، التحليل الاجتماعي للسلطة، منشورات دحلب، الجزائر.
- 5- حنان علي عواضة، السلطة عند ماكس فيبر، مجلة الأستاذ، العدد206، المجلد الأول، 2013.
- 6- حنة أرندت، "في العنف"، ترجمة: إبراهيم العريس، دار الساقى، ط1، 1993، بيروت لبنان.
- 7- خالد حامد، المجتمع المدني والسلطة الشرعية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ط1.
- 8- ذياب فوزية، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت.
- 9- عبد الله عبد الرحمان، تطور الفكر السياسي.
- 10- فريدة أبو العز، ما هي السلطة؟، مجلة الفكر العربي، العدد: 24.
- 11- محمد شحرور، الدولة والمجتمع، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق.
- 12- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، ط1، 1991، دار المعرفة الجامعية، مصر.
- 13- محمود حامد مهور، علم الاجتماع السياسي، دار البداية ناشرون و موزعون، عمان، الأردن ط1، 2012.

¹⁴- مزيان عبد المجيد، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي المجتمعي، المؤسسة الوطنية للكتاب مع ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

¹⁵- موريس دوفرليه، علم اجتماع السياسة، ترجمة: سليم حداد، المؤسسات الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط1، 1991.

¹⁶- مولود طيب، أحكام السلطة السياسية، دار الخلدونية، ط1، الجزائر، 2006.

¹⁷- ميريام ريفولت دالون، سلطان البدايات، بحث في السلطة، ترجمة: سايد مطر، مراجعة: موريس أبو ناضر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2012.

دور مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي في التقليل من حدّة التنمر المدرسي

The role of the school counselor in reducing school bullying

د. أميطوش موسى ♦ د. سكاى سامية / جامعة تيزي وزو الجزائر

Dr. Amitouche Moussa ♦ Dr. Sekkai Samia / University of Tizi Ouzou, Algeria

ملخص:

تعد ظاهرة التنمر أو الاستقواء المدرسي من أخطر الظواهر التي اكتشفها العالم "دان أولوس" عام (1980)، وهي ظاهرة متفشية كثيرا في مدارسنا، وأمام غياب دراسات ميدانية تتناول درجة حدتها، وأسبابها، ومخاطرها في المدرسة الجزائرية، أصبحت هذه الظاهرة تهدد الأمن المدرسي بأكمله، لكونها تؤثر على البناء الأمني لشخصية التلميذ، سواء كان متنمرا أو ضحية أو متفرجا، وهذا ما ينعكس سلبا على المسار الدراسي للتلميذ مما يخلق لديه الرسوب وال فشل المدرسي، وبالتالي التخلي كلية عن الدراسة، لذلك على وزارة التربية الوطنية أن تولي أهمية بالغة لهذه الظاهرة، وضرورة تزويد مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي بمقومات نظرية وتطبيقية من أجل احتوائها.

Abstract:

The phenomenon of school bullying is one of the most serious phenomena discovered by "Dan Olweus" in (1980). This is a widespread phenomenon in our schools, and in the absence of studies addressing its causes and severity, this phenomenon has become a threat to the safety of the entire school. It affects the personality of the student, be it bully, victim or spectator, it has a negative impact on his school career, which creates a failure, and subsequently abandoned his studies. Therefore, the Ministry of National Education should attach great importance to this phenomenon, and provide school guidance counselors with the theoretical and practical elements necessary to contain it.

Key words: school bullying, school guidance counselor.

مقدمة:

التنمر أو الاستقواء المدرسي (l'intimidation scolaire) بما يحمله من عدوان تجاه الآخرين سواء كان بصورة جسدية، أو لفظية، أو نفسية، أو اجتماعية، أو إلكترونية، من المشكلات التي لها آثار سلبية سواء على المتنمر، أو على ضحية التنمر، أو على البيئة المدرسية بأكملها، حيث يؤثر في البناء الأمني والنفسي والاجتماعي للمجتمع المدرسي بأسره.

ويتميز الأفراد المتنمرين بضعف التقمص العاطفي، وضعف القدرة على تحمل الإحباط، وضعف التحصيل الدراسي، ويفترضون وجود نوايا عدوانية لدى الآخرين¹، أما الأفراد الضحايا فيتصفون بالإذعان، والقلق، والضعف، والحذر، والحساسية الزائدة، والهدوء، وتقدير ذات منخفض، وقلة الشعبية، وضعف المهارات الاجتماعية، والافتقار إلى المهارات التوكيدية²، بينما يتصف الأفراد الذين يكونون متنمرين وضحايا بأنهم أكثر قلقاً وأقل شعبية، وغير مستقرين انفعالياً، كما نجد أن المتنمرين يظهرون نسبة أعلى من المشكلات النفسية، ومشكلات سوء التصرف، والسرقة، وتخريب الممتلكات العامة والخاصة، ويشكلون مصادر إزعاج أكثر لرجال الشرطة، وتتسم علاقاتهم المستقبلية بدعم انفعالي أقل، وغالبا ما يدانون كراشدين لأن جرائمهم أكثر من أقرانهم³.

إن هذه الظاهرة انتشرت وبشكل كبير في مجتمعنا المدرسي، وأصبحت تشكل خطراً على النظام العام للمدرسة وصعب التحكم فيها، لذا في ظل تخطيط الاستراتيجيات المناسبة لحلها، وكلت لمستشار التوجيه والإرشاد المدرسي صاحب الاختصاص في الإرشاد والتوجيه وعلم النفس، مهمة المتابعة النفسية للتلاميذ المتدمرسين، من أجل تحقيق توافقهم وتكيفهم الدراسي، ورفع من تحصيلهم العلمي، فضلاً على مساعدتهم في بحث المشكلات التعليمية والأخلاقية والاجتماعية، والصحية، والنفسية، وغيرها من المشاكل، كما يسعى المستشار إلى تنمية قدرات التلاميذ، وتكوين اتجاهات وقيم إيجابية وتقييم ذواتهم تقييماً موضوعياً، وانطلاقاً مما سبق ما هو الدور الذي يلعبه مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي في التقليل من حدة التنمر المدرسي لدى التلاميذ؟

1- حول مفهوم مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي:

جاء في المعجم الوجيز كلمة "مستشار" بأنه العليم الذي يؤخذ رأيه في أمر هام، علمي أو فني أو سياسي أو قضائي أو نحوه، فالأصل اللغوي لكلمة استشارة تفيد التدخل الإنساني المحض، للتأثير الفعال في الوعي، قصد تغيير سلوك فرد ما⁴.

أما اصطلاحاً فقد عرفت خديجة بن فليس (2014) مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي بأنه: أحد موظفي قطاع التربية، وعضو من أعضاء الفريق التربوي، يساعد على تنفيذ برنامج التوجيه المدرسي، فهو يسعى إلى ملاحظة التلميذ في شخصيته،

1 - أبو غزال، معاوية. (2010). أسباب السلوك الاستقوائي من وجهة نظر الطلبة المستقيمين والضحايا، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 7، العدد 2، ص 276

2 - جردات، عبد الكريم. (2008). الاستقواء لدى طلبة المدارس الأساسية انتشاره والعوامل المرتبطة به، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، المجلد 4، العدد 3، ص 110.

3 - الخوالي، هشام. (2004). التنبؤ بسلوك المشاغبة/الضحية من خلال بعض أساليب المعاملة الوالدية لدى عينة من المراهقين، ورقة عمل مقدمة في المؤتمر السنوي الحادي عشر، مركز الإرشاد النفسي جامعة عين شمس، ص 112-113

4 - براهيمية، صونية. (2005). تأثير الوضعية المهنية على أداء مستشار التوجيه المدرسي. جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة. ص 7.

وتحديد طموحاته، ومعرفة وإبراز ميوله، كما يساعده على فهم نفسه، وفهم محيطه، كما يقوم مستشار التوجيه بمتابعة بعض الحالات المرضية وإحالتها على الأخصائيين إذا استدعى الأمر ذلك¹.

ولقد ورد في تعريف آخر لكلمة مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي بأنه: شخص مؤهل، وأخصائي في عملية إعلام التلاميذ والطلبة حول مقترحات عملية التوجيه، بهدف مساعدتهم على اتخاذ أنسب القرارات².

كما ورد أيضا بأنه المورد البشري الذي يمكنه جلب قدر من الرضا لاحتياجات التلميذ، فهو يساعده على إعداد مشروعه المدرسي والمهني³.

ويعرفه موريس وروكلان على أنه المسؤول الأول على تنفيذ عملية التوجيه المدرسي والمهني، وهو مختص في التوجيه، ويعتبر أقدر الناس وأكفهم على جمع المعلومات حول الطالب المراد توجيهه، باعتداده مبادئ وتقنيات علم النفس⁴.

من كل ما سبق يمكن القول أنّ مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي هو ذلك المهني الذي تسند إليه مهمة الإعلام، والتوجيه، والتقويم، والمتابعة النفسية والاجتماعية للتلميذ، إضافة الى مهام أخرى، بهدف تحقيق التكيف المدرسي، ويؤدي كل هذه المهام في إطار مكاني وزماني محدد، من أجل مساعدة التلميذ على بناء مشروعه الدراسي والمهني وفق أسس علمية، تعتمد على تحليل ميوله وقدراته واستعداداته من جهة، ومتطلبات الواقع المدرسي والمهني من جهة أخرى، والهدف من كل ذلك تحقيق النجاح المدرسي.

2 - التنمر المدرسي:

ورد في معجم المعاني "الجامع" كلمة تنمّر، تنمّراً، فهو مُتَنَمِّرٌ، والمفعول منها مُتَنَمَّرٌ له، تنمّر الشَّخصُ: نمر، غضب وساء خلقه، وصار كالنمر الغاضب، تنمّر: تشبّه بالنمر في لونه أو طبعه، تنمّر لفلان: تنكّر له وأودعه، تنمّر: مدّد في صوته عند الوعيد.

ويختلف تحديد مفهوم التنمر من باحث الى آخر، فلقد عرفه سليمان وببلاوي (2010) بأنه هجوم من شخص مستأسد على شخص أضعف منه، لديه تلذذ بمشاهدة معاناة الضحية، وقد يسبب للضحية بعض الآلام⁵.

¹ - بن فليس، خديجة. (2014). المرجع في التوجيه المدرسي والمهني. (د.ط). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. ص 125.

² - Silany, Norbert. (2004). Dictionnaire de psychologie. Paris : édition Nathan. P.68

³ - Andréani, F et Boyé, F. (1991). Le Conseiller d'Orientation, Psychologue, Paris : édition Nathan. P. 7

⁴ - عبد الله لبوز، إسماعيل الأعور. (ب-س). ضغوط وعراقيل أداء مستشار التوجيه المدرسي لمهامه في المقاطعة، ملتقى الدولي حول معاناة في العمل، مجلة العلوم الإنسانية، عدد خاص، ورقلة. ص 275.

⁵ - سليمان، عبد الرحمان سيد، والبلاوي، ايهاب. (2010). الآباء والعدوانية لدى الأبناء العاديين وذوي الاحتياجات الخاصة. الرياض: دار الزهراء. ص 101.

وهو سلوك مقصود لإلحاق الأذى الجسدي، أو اللفظي، أو الجنسي، ويحصل من طرف قوي مسيطر تجاه فرد ضعيف، لا يتوقع أن يرد الاعتداء عن نفسه، ولا يبادل القوة بالقوة، كذلك لا يبلغ عن حادثة الاستقواء للراشدين من حوله، وهذا هو سر الاستقواء على الضحية¹.

وهو أيضا حالة نفسية تحرك الفرد إراديا ومتعمدا لإيذاء شخص آخر بدنياً أو نفسياً، بغية إثارة الرعب لديه وإخضاعه لسيطرته، علماً أن هذا الشخص غير قادر على الدفاع عن نفسه².

وفي الوسط المدرسي يعرفه جيورجيو (Giorgio, 2008) بأنه سلوك متعمد ضد طالب أو أكثر، يتضمن الإيذاء الجسدي أو اللفظي أو الإذلال أو إتلاف ممتلكات طالب آخر، يسببه الجو الأسري العنيف الذي يعيشه المتنمر، وعدم دعمه، ومشاهدته لبعض الأفلام التي تظهر هذه السلوكيات، لذلك يحاول تطبيقها على الآخرين³.

3- خصائص التنمر:

عرف دان أولووس (Olweus, 1993) التنمر بأنه شكل من أشكال العدوان المتعمد والمقصود، يصدره الفرد لفظياً، أو مادياً، أو بدنياً، متعلماً من البيئة، يهدف إلى إيقاع الأذى بالآخرين، الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم⁴. وعلى هذا فمفهوم التنمر عند "دان أولووس" يتضمن ثلاث خصائص هامة، وهي:

1-3 الاستطاعة:

يقول "دان أولووس" بأن الشخص الذي يقوم بسلوك التنمر يكون عادة طفل طويل القامة، قوي البنية الجسدية، ويتلقى التدعيم من جماعة أقرانه.

2-3 الاستمرارية والتشتت:

التنمر لا يكون بالصدفة، ولكن له ميزة الاستمرارية والتكرار، وهذا ما يولد لدى الضحية الرهبة (la Terreur)، وقد يبقى لدى الطفل طويلاً.

3-3 الرغبة في الإيذاء:

الفعل في التنمر يكون عمدي، غايته هو إيذاء الآخر نفسياً وجسدياً.

وعلى هذا فالتنمر سلوك إرادي، واعي ومكتسب، متكرر وعنيف، يصدر من شخص أو جماعة من الأشخاص على فرد معين بهدف إلحاق الأذى به، مما يولد لدى الضحية اضطرابات كثيرة، منها: النفسية والاجتماعية والدراسية.

¹ - سليمان، عبد الرحمان سيد، والبيلاوي، ايهاب. (2010). الآباء والعدوانية لدى الأبناء العاديين وذوي الاحتياجات الخاصة. الرياض: دار الزهراء. ص10.

² - الحمداني، عبد الحسن عبد الصاحب. (2012). سلوك التنمر لدى الأطفال والمراهقين وعلاقته بالعمر والجنس والترتيب الولادي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد. ص16.

³ - Giorgio, S. (2008). Bullying and victimization at school: The role of mothers, British Journal of Educational Psychology, v 78, n (1), P. 110.

⁴ - غفران، عبد الكريم هادي، وغفران، عزاي حسين، وعذراء، محمد عباس. (2018). دراسة التنمر المدرسي لدى المراهقين من وجهة نظر المدرسين، بحث مقدم إلى مجلس كلية التربية للبنات وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي. ص8.

4- أشكال التنمر:

يتخذ التنمر عدة أشكال وأصناف، ولقد اتفق كل من "دبرا ووندي"¹ على تحديد الأشكال الخمسة التالية:

1-4 التنمر الجسدي: ويشمل الضرب بكل أنواعه، والدفع، والبزق، والسرققة، وتحطيم ممتلكات الأشخاص.

2-4 التنمر اللفظي: ويشمل التنابز بالألقاب، السخرية، تقليل الاحترام، وتهديد الآخر، وأقوال التمييز العنصري، والتحرش.

3-4 التنمر الاجتماعي: ويتضمن:

- طرد الفرد من الجماعة وإطلاق إشاعات حوله، وتقليل احترامه وتحطيم صداقاته.

- السخرية من شخص بسبب شخصيته، أو جماعته.

- السخرية من شخص بسبب معتقداته الدينية، وقول شائعات في ذلك.

- عزل شخص بسبب جنسه فتاة أو طفل.

- السخرية من شخص بسبب إعاقة الجسدية.

- السخرية من شخص بسبب مظهره.

4-4 التنمر على الممتلكات: ويتمثل في اخذ أشياء الآخرين والتصرف فيها بدون إرادة صاحبها.

5-4 التنمر الجنسي: ويتضمن إصدار الألقاب الجنسية، اللمس بطريقة لا أخلاقية، التحرش الجنسي، والإجبار على التحدث في أمور جنسية.

5- مهام مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي في النصوص التشريعية الجزائرية:

جاء في المنشور الوزاري رقم 92/432، المؤرخ في 91/12/14، المتعلق بالمحاور الأساسية لبرمجة النشاطات في مراكز التوجيه والإرشاد المدرسي، على ضرورة مشاركة الموجه المدرسي مع الاساتذة في إعداد الاختبارات الفصلية وما يتبع ذلك من مهام كتحصيل المادة، وتحديد المفاهيم الأساسية، وتحميل نتائج المتعلمين، كما ورد أيضا في المنشور الوزاري رقم 91/1241/269 المتعلق بتنظيم عمليات مستشاري التوجيه، في الفقرة المتعلقة ببرامج النشاطات السنوية للمستشار على ضرورة دراسة نتائج عمليات التقييم التربوي، واستثمار هذه النتائج مع الاساتذة، والمساهمة في إعداد وتنظيم كيفية إجراء عملية التقييم.

وعلى هذا فالمشعر الجزائري حصر مهام مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي في: الإرشاد والتوجيه النفسي والتربوي والاجتماعي، والإعلام، والتقييم.

1-5 الإرشاد والتوجيه:

يشمل الإرشاد والتوجيه عدة مهام، نذكر منها ما يلي:

- القيام بالإرشاد النفسي والتربوي لمساعدة التلميذ على التكيف مع النشاط التربوي.

¹- Debra, P et Wendy, C. (2014). Prévention de l'intimidation et intervention en milieu scolaire. P. 2.

- إجراء مقابلات ضرورية قصد التكفل نفسيا بالتلاميذ الذين يعانون من مشكلات، وتوجيههم عند الضرورة إلى المصالح الخاصة.

- المشاركة في عملية اكتشاف التلاميذ المحتاجين إلى دروس الدعم والاستدراك.

- التحضير والمشاركة في مجالس القبول والتوجيه.

2-5 الإعلام:

حسب المادة (66) من المنشور الوزاري رقم 91/1241/269 المتعلق بتنظيم عمليات مستشاري التوجيه، يشكل الإرشاد المدرسي والإعلام الخاص بالمنافذ المدرسية والجامعية والمهنية فعلا تربويا، يهدف إلى مساعدة كل تلميذ طوال تدرسه، وتحضيره وتوجيهه وفقا لاستعداداته، ورغباته، وتطلعاته، ومقتضيات المحيط الاجتماعي والاقتصادي، لتمكينه تدريجيا من بناء مشروعه الشخصي، والقيام باختياراته الدراسية والمهنية على دراية.

وعلى هذا فمستشار التوجيه والإرشاد المدرسي يزود التلاميذ بمعلومات صحيحة وحديثة عن الحياة المدرسية والمهنية الاجتماعية، ومن ثمة فهمه الإعلامية تكمن فيما يلي:

- يقدم الموجه السيولة العلمية التي تهتم المدرس وتوجه التلميذ، كما يضمن هذه السيولة بين مختلف المتعاملين في المؤسسة التعليمية.

- إعلام التلاميذ والأولياء بكافة الفروع الدراسية، ومختلف التخصصات المهنية المتوفرة في المؤسسات التعليمية، ومراكز التكوين المهني وعالم الشغل، والشريك الاقتصادي بشكل عام.

- ينشط الموجه عمليات الاتصال داخل المؤسسة والمتعاملين معها، وبينها وبين الهيئات ذات العلاقة.

- ينشط الموجه حصصا إعلامية جماعية، وينظم لقاءات بين التلاميذ والأولياء والمتعاملين والمهنيين.

- ينشط خلية التوثيق والإعلام والإشراف عليها.

3-5 التقييم:

ورد في المادة (69) من نفس المنشور المذكور أعلاه، أن التقييم عملية تربوية، تندرج ضمن العمل المدرسي اليومي لمؤسسة التربية والتعليم، فالموجه يقيس دوريا مردود كل من التلميذ والمؤسسة المدرسية بمختلف مركباتها، ويحدد كيفية التعميم بموجب قرار من الوزير المكلف بالتربية الوطنية.

أما في المادة (70) من نفس المنشور السابق فقد ورد أن العمل المدرسي للتلميذ يقيم عن طريق العلامات العددية، والتقديرات التي يمنحها المدرسون من خلال المراقبة الدورية للأنشطة التربوية، كما يحدد الوزير المكلف بالتربية الوطنية طبيعة مراقبة الأنشطة التربوية وتبويبها.

وحسب المادة (41) من نفس المنشور يخضع الانتقال من قسم إلى قسم، ومن مستوى إلى مستوى إلى تتبع خاص للتلميذ من طرف المعلمين والمربين، وكذلك من طرف مستخدمين مختصين في علم النفس المدرسي، والتوجيه المدرسي والمهني لتحقيق التكيف مع التغيرات في تنظيم التعليم، وضمان الاستمرارية التربوية.

أما المادة (72) فيموجها يتم إعلام الأولياء بصفة منظمة بعمل أبنائهم ونتائج عمليات التقييم الدورية، والقرارات النهائية¹ (بن فليس، 2014، ص 137-140).

وعليه نجد أن النصوص التشريعية الخاصة بالتوجيه المهني والمدرسي، ألحت على ضرورة ممارسة مستشار التوجيه لمهامه وفقا لما هو منصوص عليه في النصوص التشريعية دون زيادة أو نقصان، حسب ما جاء في القانون التوجيهي للتربية الوطنية، ومن خلال عرضنا للقوانين المتعلقة بمهام مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي نلاحظ أنها أولت العناية بالجانب النفسي والعلائقي الاجتماعي للتلميذ، من خلال المتابعة النفسية، بهدف تحقيق التكيف والنجاح المدرسي، من خلال المهام التالية:

- تقييم المجهود الدراسي للتلميذ.

- القيام بدراسات وأبحاث تتعلق بالتوجيه والإرشاد عند الحاجة.

- المشاركة في مختلف الدراسات المبرمجة من طرف الهيئات الوصية.

- المشاركة في كل النشاطات اليومية للمؤسسة.

6- دور مستشار التوجيه والإرشاد في التقليل من حدة التنمر المدرسي:

يعد مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي حجر الزاوية في أي مؤسسة تربوية، لذلك قبل أن يبدأ بتدخلاته يتوجب عليه أولاً القيام بدراسة استطلاعية لتحديد مستوى انتشار هذه الظاهرة في المؤسسة التي ينتمي إليها، وتحديد العناصر الهامة في عمله، المتمثلة في التلميذ المتنمر، الضحية، المتفرجون، وغيرهم، ثم تسطير برنامج إرشادي وقائي مع كل الذين ينتمون إلى هذه المؤسسة، بالإضافة إلى العناصر المذكورة سابقاً تأتي ضرورة العمل في فريق، الذي يتم من خلاله إشراك الأولياء، وهيئة التدريس، والتلاميذ الآخرين في عملية الوقاية، كما يتوجب على مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي أن يستخدم عدة وسائل لجمع المعلومات، وإتباع طرق علمية في عملية الإرشاد، كالمقابلة، والملاحظة، والمقاييس الشخصية، والاستبيانات، والجماعات الكلامية، والإرشاد الفردي، ولعب الأدوار، وغيرها.

ويمكن حصر عناصر وتقنيات التدخل التي يستخدمها مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي في الشكل التالي:

¹ - بن فليس، خديجة. (2014). المرجع في التوجيه المدرسي والمهني. (د.ط.). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. ص 137-140.



من خلال هذا الشكل تتضح التدخلات التي يقوم بها مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي وهي كالتالي:

1- التدخلات الإجرائية مع التلميذ المتنمر:

- من الضروري أن يدرك التلميذ المتنمر أنّ العنف غير مقبول.
- الاتصال بالأولياء وضرورة إخبارهم بما يقوم به ابنهم أو ابنتهم.
- تدخل مستشار التوجيه والإرشاد يجب أن يكون مكيفا حسب العمر، والجنس، وخطورة الوضع أو الحالة.
- على مستشار التوجيه والإرشاد أن يكيف تدخلاته وفقا لظروف واحتياجات الطفل المتنمر (المعتدي).
- إبعاد التلميذ المتنمر من الأماكن المحفوفة بالمخاطر، وإعادة دمجه تدريجيا، وجعله دائما تحت المراقبة والإشراف.
- تزويد التلاميذ الموقوفين أو المطرودين بالدعم التعليمي والنفسي والاجتماعي، وتسهيل إعادة دمجهم (تطبيق القواعد بليوننة).
- تطوير العلاقة والحفاظ عليها مع التلميذ المتنمر.
- القيام بجلسات إرشادية لتعليمه كيفية الاهتمام بالآخرين.
- مساعدته في إدارة غضبه.
- تعليمه السلوكيات البديلة (تزويده بالمهارات الاجتماعية).
- توفير إطار يتوافق مع احتياجات المعتدي.

- إخراجهم من منطقة الخطر، فهو في حد ذاته يحتاج إلى مساعدة.

- إنشاء بطاقة شخصية لمتابعة كل تلميذ متنمر.

2- التدخلات الإجرائية مع التلميذ الضحية:

- تعليم الضحية وتدريبه على بعض المهارات حول كيفية التصرف في مثل هذه المواقف، كالاتصال، وتدريبه على الحزم.

- الاتصال بأولياء الأمور بهدف جمع المعلومات، ووضع برنامج إرشادي معهم.

- لا يجب أن نترك الضحية تحط من معنوياتها، بل يجب أن نشجعها على اتخاذ موقف إيجابي، والعمل على الرفع من معنوياتها.

- تعليم التلميذ الضحية أهمية التحدث عن الموقف، مع ضرورة طمأنته، وعدم التستر على المعتدي لأن ذلك يؤدي إلى استمرار المعاناة.

- تدريس المهارات الاجتماعية.

- حثه على تجنب الاتصال الجسدي مع المعتدين، وقدم له مكاناً للراحة والسلامة.

- تجنب المواجهات بين المعتدي والضحية.

- الاتصال بالأمن عند الضرورة.

3- التدخلات الإجرائية مع التلميذ المتفوح:

- تعليمه التدخل نيابة عن التلاميذ المستهدفين.

- الاتصال بالأولياء.

- رفض قبول التنمر أو الاستقواء (البلطجة).

- تعليمه كيف يؤكد نفسه دون عدوانية.

- تعليمه التمييز بين التنكر والتسلل.

- طلب المساعدة من البالغين¹

4- التدخلات الإجرائية مع الفريق التربوي:

- عقد مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي اجتماعات ومحاضرات حول كيفية التعامل مع الظاهرة مع كل الفاعلين بالمدرسة من مدير، ومساعدين تربويين، ومراقب عام، وغيرهم.

- تشجيع الفريق التربوي على إصدار سلوكيات إيجابية، وإتباع سلوكيات يقتدى بها.

- توعية وإشراك الفريق التربوي في انشغالات المدرسة وأهدافها.

- الإشراف على بعض النشاطات التي تساعد على التلاحم بين الفريق التربوي.

¹ - Commission scolaire des hautes rivières. (2014). Plans de lutte contre l'intimidation et la violence à l'école, école du pélican. P 13.

- إشراك الفريق التربوي في عملية تقويم مدى نجاح البرنامج المعد للتقليل من حدة هذه الظاهرة، والوقوف عند نقاط الضعف والقوة للبرنامج.

5- التدخلات الاجرائية مع الاولياء:

- إعداد برنامج ارشادي مع الاولياء يهدف الى التقليل من العدوانية لدى الأطفال، وتدريبهم على كيفية التعامل مع ابنائهم كل حسب وضعيته (متنمر، ضحية، متفرج).

- القيام بحصص اعلامية حول أخطار التنمر وتأثيره على شخصية ومستقبل الطفل.

- حث الاولياء على عدم استعمال اساليب المعاملة المبنية على الاهمال، أو التساهل، أو التسلط، وغيرها مع ابنائهم، لأنها منبع تشكيل وتنامي سلوك التنمر لدى الطفل¹.

- حث الاولياء على تربية ابنائهم تربية خلقية مبنية على التسامح والتقدير واحترام الغير.

- ضرورة تصحيح بعض المفاهيم والتصورات الخاطئة لدى الاولياء، كالتي يحث فيها الآباء ابناءهم على ضرب الغير وسرقة ممتلكاتهم، تحت راية الدفاع على النفس.

- تزويد الاولياء ببعض التقنيات حول كيفية الاصغاء، والتقرب من ابنائهم من أجل الافصاح عن هذه السلوكيات واستنكارها، وكذلك كيفية تهدئة الطفل والتهوين عليه.

خاتمة:

لقد انتشرت في مدارسنا مشاكل عديدة لها علاقة بالتلاميذ وحياتهم الاجتماعية والنفسية، وأصبحت هذه المشاكل تشكل خطرا على النظام العام للمدرسة، وللتحكم فيها يجب الرجوع إلى مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي صاحب الاختصاص في الارشاد والتوجيه وعلم النفس، والذي من أهم أدواره التكفل بمثل هذه المشكلات، ولكي يؤدي هذا الأخير وظائفه على أكمل وجه وجب ما يلي:

- تكوينه في المواضيع الحساسة التي تؤثر على مستقبل المؤسسة والتلميذ (كالتنمر المدرسي، العنف، والتسرب، ...الخ).

- تزويده بالوسائل الضرورية كالاختبارات النفسية والشخصية لتحليل شخصية التلميذ.

- كما يجب حث الطاقم التربوي على تحفيز التلاميذ بضرورة الاهتمام بمادة التربية البدنية، والتربية الموسيقية، والتربية الفنية لأنها وسائل تساعد على التنفيس الانفعالي.

¹ - أسامة، حميد حسن الصوفي، وفاطمة، هشام قاسم المالكي. (2012). التنمر عند الأطفال وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد (35)، وزارة التربية، الكلية التربوية المفتوحة، ص 182.

قائمة المراجع:

- 1- أبو غزال، معاوية. (2010). أسباب السلوك الاستقوائي من وجهة نظر الطلبة المستقوين والضحايا، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 7، العدد 2.
- 2- أحمد، فكري بهنساوي، ورمضان، على حسن. (2015). التنمر المدرسي وعلاقته بدافعية الانجاز لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية، مجلة كلية التربية، العدد السابع عشر، جامعة بور سعيد، ص 1-41.
- 3- أسامة، حميد حسن الصوفي، وفاطمة، هشام قاسم المالكي. (2012). التنمر عند الاطفال وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد (35)، وزارة التربية، الكلية التربوية المفتوحة، ص 146-188.
- 4- براهيمية، صونية. (2005). تأثير الوضعية المهنية على أداء مستشار التوجيه المدرسي. جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة. ص 7.
- 5- بن فليس، خديجة. (2014). المرجع في التوجيه المدرسي والمهني. (د.ط.). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- 6- جردات، عبد الكريم. (2008). الاستقواء لدى طلبة المدارس الأساسية انتشاره والعوامل المرتبطة به، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، المجلد 4، العدد 3.
- 7- الحمداني، عبد الحسن عبد الصاحب. (2012). سلوك التنمر لدى الأطفال والمراهقين وعلاقته بالعمر والجنس والترتيب الولادي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد.
- 8- الخوالي، هشام. (2004). التنبؤ بسلوك المشاغبة/الضحية من خلال بعض أساليب المعاملة الوالدية لدى عينة من المراهقين، ورقة عمل مقدمة في المؤتمر السنوي الحادي عشر، مركز الإرشاد النفسي جامعة عين شمس.
- 9- سليمان، عبد الرحمان سيد، والبيلاوي، إيهاب. (2010). الآباء والعدوانية لدى الأبناء العاديين وذوي الاحتياجات الخاصة. الرياض: دار الزهراء.
- 9- الصبيحيين، علي موسى، ومحمد، فرحان القضاة. (2013). سلوك التنمر عند الاطفال والمراهقين (مفهومه - أسبابه - علاجه). ط1. الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- 10- غفران، عبد الكريم هادي، وغفران، عزي حسين، وعذراء، محمد عباس. (2018). دراسة التنمر المدرسي لدى المراهقين من وجهة نظر المدرسين، بحث مقدم إلى مجلس كلية التربية للبنات وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي.
- 11- Andréani, F et Boyé, F. (1991). *Le Conseiller d'Orientation, Psychologue*, Paris : édition Nathan
- 12- Commission scolaire des hautes rivières. (2014). *Plans de lutte contre l'intimidation et la violence a l'école*, école du pélican.
- 13- Debra, P. et Wendy, C. (2014). *Prévention de l'intimidation et intervention en milieu scolaire*.

14- Giorgio, S. (2008). **Bullying and victimization at school: The role of mothers**, British Journal of Educational Psychology, v 78, n (1), Pp 109–125.

15 -Silany, Norbert. (2004). **Dictionnaire de psychologie**. Paris : édition Nathan

La famille et le trouble du spectre de l'autisme Etude descriptive

الأسرة واضطراب طيف التوحد: دراسة وصفية

Jabraoui Hicham/ Doctorant chercheur, Université Sidi Mohamed Ben Abdallah, Fès, Maroc

جبراوي هشام/طالب دكتوراه جامعة سدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب

ملخص:

يتعلق موضوع هذه الدراسة بمسألة الجو العام السائد في الأسر التي يعاني أحد أطفالها من التوحد؛ بحيث تساءلت عن نوع تجربة العيش في بيئة تتميز بوجود طفل مصاب بالتوحد، كما تساءلت هل يعد هذا الاضطراب مصدرا لأزمة عائلية؟ لقد افترضت هذه الدراسة أن مرض التوحد يسبب اختلالات وتغيرات في الحياة الأسرية. واستخدمت من أجل الوصول إلى أهدافها استبيان أعد لهذا الغرض. وتؤكد نتائج الدراسة صحة الفرضيات التي انطلقت منها.

الكلمات المفتاحية: التوحد، اضطراب طيف التوحد، الأسرة، الأزمة العائلية.

Abstract:

The subject we are dealing with is generally about the atmosphere and the experience of the family in which a child suffers from autism. We are wondering about does living in a family environment marked by the presence of an autistic child constitute a source of family crisis? We have assumed that autism causes disruption and changes in family life. We used a questionnaire to reach our goals. The results confirm the initial hypotheses.

Keywords: Autism; Autism spectrum disorder; family crisis; family; changes.

Résumé :

Le sujet que nous traitons porte d'une façon générale sur l'ambiance et le vécu de la famille dont un enfant souffre de l'autisme. Nous nous interrogeons sur le fait de vivre dans un milieu familial marqué par la présence d'un enfant autiste, constitue-t-il une source de crise familiale ? Nous avons supposé que l'autisme engendre des perturbations et des changements dans la vie familiale. Nous avons utilisé un questionnaire afin d'atteindre nos objectifs. Les résultats affirment les hypothèses de départ.

Mots clés : Autisme ; Trouble de spectre de l'autisme ; la famille ; Crise familiale ; Changements.

Introduction

Le trouble du spectre de l'autisme (TSA) est un trouble lourd, entraîne beaucoup de difficultés dans la vie quotidienne des familles de l'enfant atteint. Il a des conséquences importantes pour les membres de la famille, et ce tant sur le plan affectif que sur le plan social. Nous pensons que ce trouble pose de manière radicale le problème des rapports entre la personne et son entourage, entre l'individu et sa famille, entre le sujet et son contexte social. Il nous paraît très important de commencer par ce constat afin de montrer que la famille est au centre de la problématique de l'autisme.

Notant que les familles sont souvent au début, isolées et dans la détresse la plus totale, ne sachant ni de quoi souffrent leurs enfants, ni à qui elles doivent les confier. Ainsi, ce travail porte spécifiquement sur la crise que peut traverser la famille de l'autiste, nous insisterons sur la crise familiale qui peut être déclenchée par la présence de l'autiste, en cherchant quel est l'impact de cette présence sur le vécu familial, sur la stabilité et/ou l'instabilité du système familial, ainsi que sur la perturbation de la vie de la famille.

L'autisme : Aujourd'hui, il y a un consensus qui considère le TSA comme étant d'origine multifactorielle, en dépassant la conception ancienne de l'origine unique de l'autisme. Cette nouvelle conception nous renvoie à une réflexion où l'autisme ne peut être réduit à quelques anomalies et que l'interprétation des données neuro-bio-chimiques devrait être faite en regard également d'une approche psychologique. Mais pour le fondement de cet écrit, et afin d'élaborer une conception de ce trouble, nous nous appuyerons notamment sur la classification « DSM V ». Ainsi, l'autisme est un trouble neurodéveloppemental, qui atteint plusieurs fonctions ou domaines d'activité essentiels, notamment : des déficits persistants au niveau de la communication et de l'interaction sociale, avec à la présence des comportements répétitifs et des intérêts restreints¹.

La famille : C'est un groupe parent(s) - enfant(s) unis par des liens multiples pour se soutenir moralement, matériellement et réciproquement au cours d'une vie, à travers les générations, favorisant ainsi leur développement social, psychique et physique². Selon Minuchin, la famille est une structure bien définie avec des rôles, des fonctions et une répartition des pouvoirs³. Et elle remplit au moins deux types de tâches⁴; des tâches externes de socialisation ou de transmission de la culture et des tâches internes de protection et de réponse aux besoins de ses membres.

La crise familiale : Nous entendons par la crise familiale, l'ensemble des situations qui sont engendrées par la présence d'un enfant autiste au sein de la famille et qui sont marquées par l'incertitude, les interrogations sur

¹American Psychiatric Association. (2015). DSM-5-Manuel diagnostique et statistique des troubles mentaux. Elsevier Masson.

²Doson Roland, F. Parot (1991), Dictionnaire de psychologie, Paris : Puf, p295.

³Villeneuve C., Toharia A (1997), La thérapie familiale Apprivoisée, Ramonville : Erès, p39.

⁴Von Bertalanffy L. (1993), Théorie générale des systèmes, Paris : Dunod, p 200

l'état de l'enfant et sur son avenir et qui provoque plusieurs démarches en vue de trouver l'équilibre de leur système familial.

La Problématique

Le sujet que nous avons choisi de traiter porte d'une façon générale sur l'ambiance et le vécu de la famille dont un enfant souffre de l'autisme. La problématique de ce travail sera présentée à travers l'interrogation suivante : Le fait de vivre dans un milieu familial marqué par la présence d'un enfant autiste constitue-t-il une source de crise familiale ?

Hypothèse de recherche :

On suppose que l'enfant autiste constitue une source de crise familiale, mais pour orienter efficacement notre recherche, nous avons émis les hypothèses suivantes :

- On suppose que le fait d'avoir un enfant atteint d'autisme engendre des perturbations dans la vie familiale ;
- On suppose que le fait d'avoir un enfant atteint d'autisme engendre des changements dans les liens familiaux et sociaux.

Technique de travail : (Le questionnaire)

En effet, pour atteindre nos objectifs, nous avons choisi d'utiliser la technique du questionnaire dans l'enquête auprès d'une population des familles dont un enfant est autiste. Le choix d'un questionnaire mixte comportant des questions ouvertes et d'autres fermées avec des questions aux modalités prédéfinies, est justifié par le caractère quantitatif de cette partie de la recherche qui décrira les conditions de vie, les comportements et les changements familiaux.

Ce questionnaire comporte 42 items couvrant 3 thèmes. Il y a d'abord des questions d'identification, ensuite des questions concernant l'avant du diagnostic et la pré-annonce qui sont : les questions N°: 3 ; 4 ; 5 ; 6 ; 7 ; 8 ; 9. Puis il y a des questions relatives au moment de l'annonce du diagnostic. Elles portent les numéros : 10, 11, 12, 13, 14, 15, 16. Et enfin il y a un bloc de questions (de 17 à 42) qui permet de traiter les conséquences de l'existence d'un enfant autiste dans la famille sur les activités et la vie familiale (Annexe-A).

Description de la population étudiée :

L'étude est menée auprès de 30 familles dont un enfant est atteint de l'autisme ; notons dès le départ que le principal critère est celui du fait d'avoir au sein de la famille une personne autiste.

Les enfants autistes de cette enquête sont âgés entre de 2 ans et 8 mois à 14 ans avec une moyenne d'âge de 8 ans et 4 mois. Sur 30 enfants, nous avons 21 garçons et 9 filles ce qui signifie que le sexe ratio met en

évidence une prédominance des garçons environ de 70% des cas, c'est-à-dire que la distribution de sexe est 2,33 fois plus fréquente chez les garçons que chez les filles.

Résultats

Tableau 1 : impact sur les activités quotidiennes :

Activités quotidiennes		Jamais	Peu	Souvent	Très souvent	Toujours	Total
		Effectifs	0	10	9	6	5
Sortir le jour	Taux	0	33,33	30	20	16,67	100%
	Effectifs	10	17	2	1	0	30
Sortir le soir	Taux	33,33	56,67	6,67	33,33	00	100%
	Effectifs	2	15	10	3	0	30
Partir en vacances	Taux	6,67	50	33,33	30	00	100%
	Effectifs	7	6	8	4	5	30
Se priver pour l'enfant, financièrement.	Taux	23,33	20	26,67	13,33	16,67	100%
	Effectifs	3	6	3	12	6	30
Perturbation des moments de repas	Taux	10	20	10	40	20	100%
	Effectifs	3	3	6	15	3	30
Sommeil interrompu	Taux	10	10	20	50	10	100%
	Effectifs	6	6	8	9	1	30
Difficulté à accomplir les tâches à cause de sommeil interrompu	Taux	20	20	26,67	30	3,33	100%

Ce tableau traite l'impact de l'enfant autiste sur le vécu familial. Ainsi, en ce qui concerne les sorties du jour, nous avons trouvé que 33.33% des familles sortent peu, 30% des familles sortent souvent, 20% sortent très souvent et 16.67% des cas sortent toujours. Concernant la question N°18 relative à « sortir le soir », nous avons

trouvé que 33.33 % des cas ont répondu par « jamais », 56.67 % des familles ont répondu par « peu », et seulement 3.33% des cas ont répondu par « très souvent ». À travers les réponses à la question des vacances, nous avons trouvé que 6.67% des familles ne partent jamais en vacances, et 50% des familles partent rarement en vacance.

A propos de la question financière (question N°38), nous avons trouvé que 23.33 % des cas ne se sont jamais privés pour satisfaire les besoins de l'enfant autiste, et que plus de 56% des cas se privent au moins souvent afin de satisfaire les besoins de l'enfant, c'est-à-dire que la majorité de la population étudiée place l'enfant autiste au centre de son occupation, en essayant de le faire évoluer quel que soit les moyens que cela leur coûte.

Concernant la question N°41 sur les moments du repas, nous avons trouvé que 10% des cas ont répondu à la question de la perturbation des repas par « jamais », et environ 70% des cas ont des difficultés à gérer ce moment. Ainsi, nous constatons que la perturbation du moment du repas par l'enfant autiste est assez fréquente dans la vie des familles et que la gestion de ces moments reste très difficile pour la majorité des familles.

Parmi les difficultés rencontrées par les familles, nous pouvons citer le problème du sommeil chez l'enfant autiste. A ce propos, nous avons trouvé que 10% des familles avaient répondu par "jamais" à la question N°20: « Votre sommeil est-il interrompu ? », mais la majorité des familles étudiées, environ 80% des cas, notent que leur sommeil est au moins « souvent interrompu » par l'enfant autiste. Ce qui signifie que les troubles du sommeil chez l'enfant peuvent perturber la qualité du sommeil chez les autres membres de la famille, et aussi au sein de la vie familiale au sens large.

Ainsi, ils peuvent également engendrer pour la famille des difficultés à accomplir des tâches habituelles, puisque nous avons trouvé, concernant la question N°21 « Vous avez du mal à accomplir vos activités quotidiennes habituelles en raison de ces interruptions de sommeil? » que 20% des cas ont répondu par "Jamais", et plus de 60% des cas ont souvent des difficultés à accomplir leurs tâches quotidiennes.

Tableau 2 : Etat psychique et physique des parents.

		Jamais	Peu	Souvent	Très souvent	Toujours	Total
La culpabilité	Effectifs	8	6	7	7	2	30
	Taux	26,67	20	23,33	23,33	6,67	100%
Insatisfaction et impuissance devant l'enfant autiste.	Effectifs	1	8	8	10	3	30
	Taux	3,33	26,67	26,67	33,33	10	100%
Satisfaction du rôle des parents devant l'enfant	Effectifs	1	14	11	4	0	30
	Taux	3,33	46,67	36,67	13,33	00	100%
Avoir la fatigue physique et le surmenage	Effectifs	2	6	9	11	2	30
	Taux	6,67	20	30	36,66	6,67	100%
Sentir la fatigue morale et état dépressif	Effectifs	2	5	8	12	3	30
	Taux	6,67	16,66	26,67	40	10	100%
Avoir l'anxiété et stress	Effectifs	1	5	4	12	8	30
	Taux	3,33	16,67	13,33	40	26,67	100%

Dans le tableau 2 : Nous avons d'abord traité la culpabilité, en posant la question N°30 « Eprouver la culpabilité d'avoir un enfant autiste dans la famille ». Ainsi, nous avons trouvé que 26.67 % des cas ont répondu par "Jamais", et que plus de 53 % des cas ont souvent ce sentiment. Dans ce sens, nous avons essayé d'aborder la question du sentiment de l'insatisfaction et de l'impuissance devant l'enfant autiste. Soulignons que nous avons trouvé que seulement 3.33 % des cas ont répondu à la question N°40 par "Jamais", mais la majorité de l'échantillon, environ 70%, a eu le sentiment de l'insatisfaction ou bien de l'impuissance devant l'enfant autiste.

Par contre, nous avons pu relever, à partir de la question N°39 sur le sentiment de satisfaction, devant le rôle et les actes que les parents accomplissent pour l'enfant autiste, que 3.33% ont répondu par "Jamais" à la

question, et que 50% des cas ont eu le sentiment de satisfaction et environ la moitié des enquêtés n'ont ce sentiment que rarement.

Nous avons trouvé (au tableau 2) que plus de 73% des cas ont ressenti au moins souvent la fatigue physique et l'état de surmenage. Et environ 76.66% des cas, ont eu souvent la fatigue morale et l'état dépressif. Enfin, nous avons trouvé que la majorité des familles, environ 80% des cas de notre échantillon, ont eu souvent de l'angoisse et / ou du stress.

159

Les changements dans la sphère professionnelle :

A propos des problèmes des parents dans le travail, nous notons d'abord que 10 parmi 30 cas n'ont pas répondu à cette question (question N°34). 45% des cas ont répondu par "jamais", et environ 45% des cas ont eu souvent des difficultés ou des problèmes dans leur travail (tableau 3).

Cette difficulté va être confirmée également par les réponses à la question N°35 « Avoir changé d'entreprise, d'horaires et /ou de nature du travail. ». Plus de 50% des cas ont eu à changer de profession, de lieu de travail ou bien d'horaire de travail (tableau 3).

Tableau 3 : vécu dans la sphère professionnelle.

		Jamais	Peu	Souvent	Très souvent	Toujours	Total
Avoir des problèmes, de rapprochements au lieu de travail	Effectifs	9	4	5	1	1	20
	Taux	45	20	25	5	5	100%
Avoir changé l'entreprise, les horaires et/ou la nature du travail	Effectifs	7	2	10	1	0	20
	Taux	35	10	50	5	00	100%

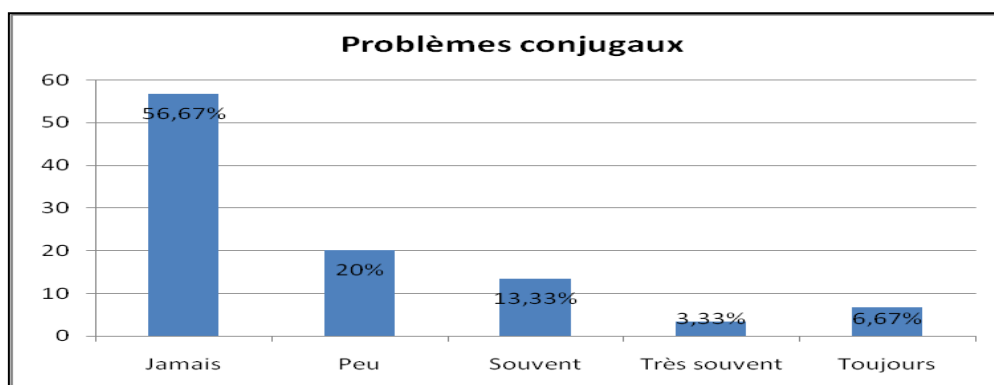


Diagramme 1 : Les changements au sein du couple

Ce diagramme explique que la présence d'un enfant autiste au sein de la sphère familiale engendre toujours des problèmes conjugaux dans 6.67% des cas et 20% des cas ont répondu par « peu ». En revanche, 56.67% des cas ont répondu que l'enfant autiste n'a jamais été une cause de leurs problèmes conjugaux.

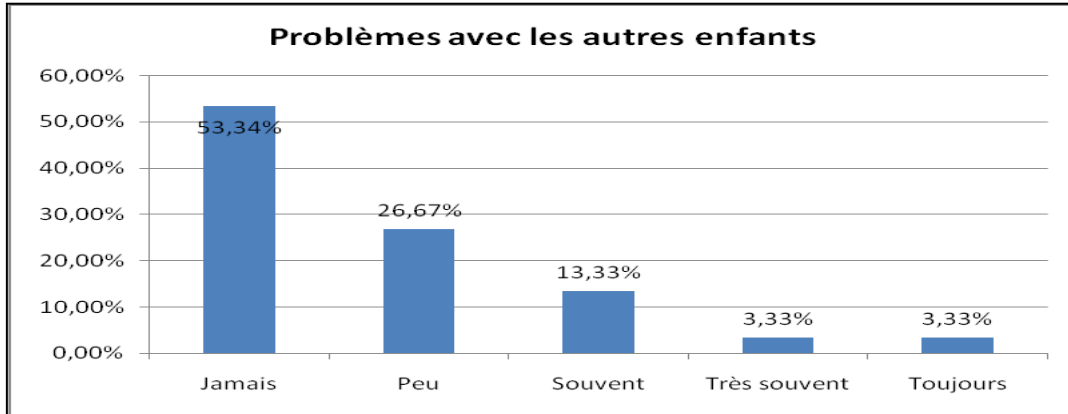


Diagramme 2 : Les changements au sein de la fratrie

Dans le diagramme 2, nous avons trouvé que 53.34% des familles ont répondu par "jamais" à la question N°24 concernant les problèmes des parents avec l'autre enfant. Ce qui signifie que la tendance générale de l'échantillon étudié ne relie pas entre ce type de problème et l'enfant autiste. Par contre, nous avons trouvé que seulement 3.33% des cas ont répondu à la même question par "Toujours".

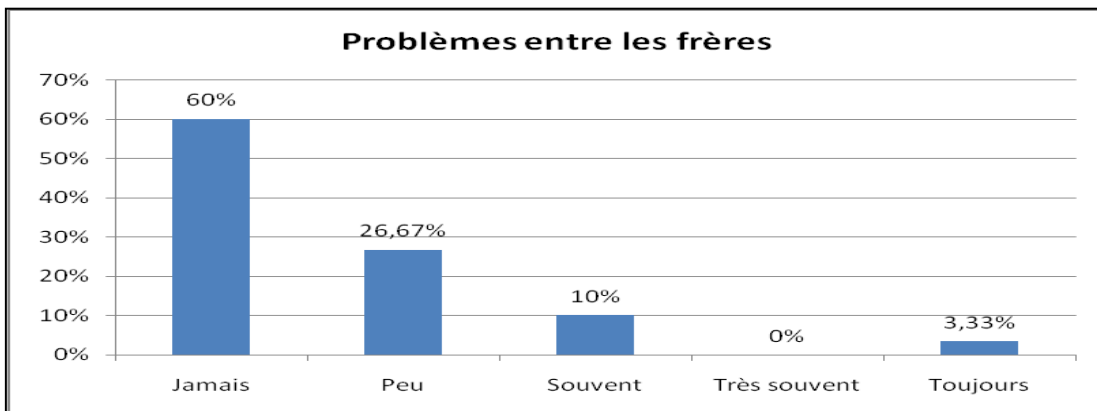


Diagramme 3 : Problèmes entre les frères

D'un autre côté, nous avons trouvé que 60% des cas ont répondu par « jamais » à la question N°25, et seulement 3.33% des cas ont répondu par "toujours" (Diagramme 20). Ce qui signifie que la tendance générale confirme que la présence de l'enfant autiste ne provoque pas de problèmes entre les frères et les sœurs.

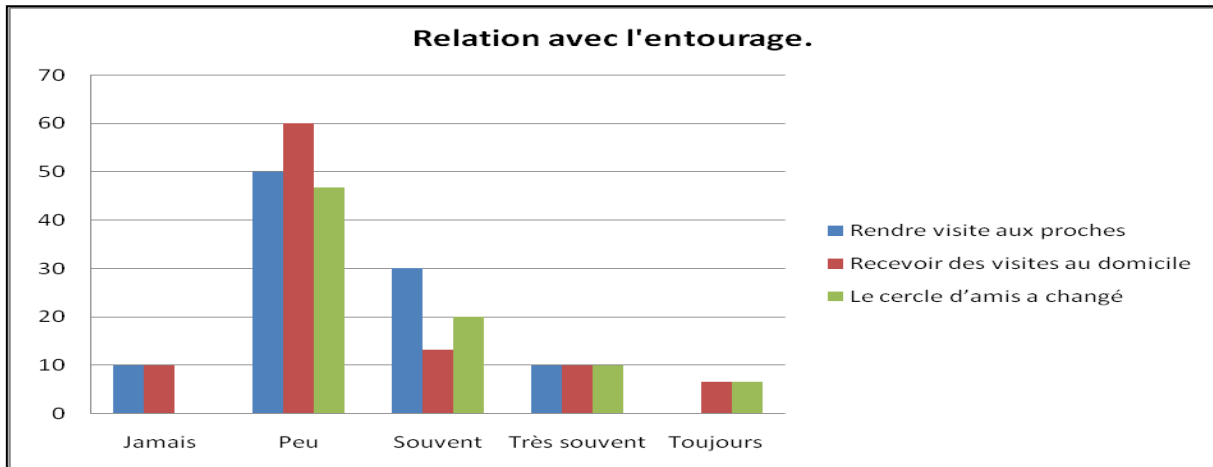


Diagramme 4 : Les changements dans les relations avec l'entourage

Dans le questionnaire, nous avons essayé d'aborder la question des changements dans les relations avec l'entourage. Qu'il s'agisse des amis ou des proches de la famille, les parents évoquent la modification de ces relations avec eux. Ainsi, concernant l'énoncé «Rendre visite au proche », nous avons trouvé que 10% des cas disaient qu'ils ne rendaient jamais visite aux proches, 50% des cas répondent par « peu », (Diagramme 4) ; ce qui signifie que 60% des cas ont au moins réduit le fait de visiter les proches.

Cette modification va être traitée également par la question 27 « Recevoir des visites à la maison » où nous avons pu relever que 10% des cas ont répondu par « jamais », 60% des cas ont répondu par « peu », (Diagramme 4). Ce qui signifie que 70% des cas ont réduit le fait de recevoir les visites aux proches.

Concernant la sphère amicale, nous avons posé la question N°37 (vous avez perdu ou vous êtes en train de perdre le contact avec des amis, ou votre cercle d'amis a changé ?). Nous avons relevé que les relations amicales n'ont pas changé seulement pour 16.67% des cas, (Diagramme 4). Par contre la majorité des cas a eu au moins une légère modification dans la sphère amicale.

Discussion des données

Nous constatons que les sentiments des parents sont marqués par la culpabilité, que nous pensons qu'elle est provoquée premièrement par le problème de l'acceptation et de « deuil » de l'enfant idéal pour le couple, c'est-à-dire que le sentiment d'être coupable développé par les parents est une impression d'échec de ne pas avoir été capables de faire un enfant « normal », en pleine santé. Deuxièmement, il peut être provoqué par le fait de ne pas avoir compris l'enfant et de ne pas avoir été capable d'entrer en communication avec lui ; et en dernier lieu, par le fait de ne pas être capable de satisfaire tous les besoins de l'enfant autiste. Et troisièmement, par le sentiment de satisfaction que la moitié des enquêtés n'ont ce sentiment que rarement. Ce qui peut provoquer chez eux le sentiment de culpabilité ; ce résultat peut être un indice du stress familial.

Ces données confirment les résultats de l'étude de Eisenhower et de Giarelli, qui signalent que dans l'ensemble des études qui ont mesuré l'état de santé des mères d'enfants autistes démontrent qu'elles présentent des taux extrêmement élevés de stress, de détresse et de dépression ; ces taux atteindraient entre 50 % et 80 %^{1 2}. D'autres études démontrent avec une grande constance que les parents d'enfants autistes vivent des taux de stress et de détresse beaucoup plus élevés que les parents dont les enfants présentent des incapacités telles que la trisomie 21 ou la paralysie cérébrale³.

Nous pensons que la difficulté à gérer le quotidien engendre chez les parents une sensation de fatigue psychique et physique, qui sera interprétée comme un indice de stress familial.

Nous constatons, d'après les résultats de cette étude, que ce stress, est un élément important dans la majorité des structures familiales étudiées, d'abord parce que la présence de l'enfant autiste est un événement stressant, ensuite parce que la gestion du quotidien est assez difficile, et enfin parce que l'avenir de l'enfant est obscur, surtout en l'absence des structures adaptées pour les personnes autistes enfants et adultes

Nous avons pu relever que l'implication des parents peut aboutir à des conflits. Ces difficultés peuvent aboutir à l'affaiblissement des relations et à des conflits dans le couple. En revanche, nous avons pu relever, dans le témoignage de certains parents, que leurs enfants constituent la base de leur relation du couple ; ainsi, ces difficultés peuvent consolider les liens du couple.

Nous constatons alors que, quoi qu'il arrive, la présence d'un enfant autiste au sein de la sphère familiale influe sur la relation du père et de la mère.

Concernant les changements au sein de la fratrie, nous signalons que la tendance générale de l'échantillon étudié ne relie pas entre les problèmes et l'enfant autiste. Mais, il arrive que l'enfant autiste puisse être une cause de problèmes entre les parents et les autres enfants. Généralement, la présence de l'enfant autiste ne provoque pas de problèmes entre les frères et les sœurs. Mais cela n'exclut pas certains cas où l'enfant autiste agresse ses frères (ou ses sœurs), ce qui peut engendrer des problèmes entre eux. Nous constatons, que la place des frères et des sœurs dans la sphère familiale est influencée par la présence de l'enfant autiste. De ce fait, la fratrie peut être confrontée à de grandes angoisses et à des sentiments d'impuissance et d'injustice.

¹Eisenhower, A. S., Baker, B. L., & Blacher, J. (2005). Preschool children with intellectual disability: syndrome specificity, behaviour problems, and maternal well-being. *Journal of intellectual disability research*, 49(9), 657-671.

²Gianetti, N., Audoin, G., & Uzé, J. (2002). Un groupe thérapeutique d'enfants: une réponse à la crise familiale autour d'un événement de vie traumatique. *Neuropsychiatrie de l'enfance et de l'adolescence*, 50(3), 215-221.

³Sénéchal, C., & des Rivières-Pigeon, C. (2009). Impact de l'autisme sur la vie des parents. *Santé mentale au Québec*, 34(1), 245-260. Disponible en ligne : <http://id.erudit.org/iderudit/029772ar>.

Les données de cette étude signalent la présence des changements dans la sphère professionnelle des parents. Nous pensons que la prise en charge d'un enfant autiste s'articule autour des soins, de l'éducation et de la socialisation ; ces trois axes de prise en charge sont souvent difficiles à organiser car ils nécessitent une disponibilité de l'un et de l'autre ou bien des deux parents. Ainsi, nombreux parents ont adapté leurs horaires de travail en fonction des exigences de la prise en charge de l'enfant. Certains parents réduisent leur temps de travail, voire même arrêtent de travailler (c'est le cas de 3 mamans de la population étudiée) pour pouvoir s'occuper de l'enfant. Puisque les trajets entre les différentes structures, les rendez-vous pour le suivi de l'enfant et bien sûr la nécessité de leur présence lorsque l'enfant est au domicile demandent une grande disponibilité.

Constatons, alors, que cette situation engendre parfois des changements dans la sphère professionnelle des parents.

Nous constatons également que la majorité des familles d'enfants autistes de notre échantillon ont limité les rencontres avec leurs proches. Lors de nos entretiens avec les parents, nous avons pu relever que certains proches peuvent être gênés par la présence de l'enfant parce qu'ils ne savent pas comment réagir, ou parce qu'ils ne veulent pas, ou ne peuvent pas comprendre le trouble de l'enfant, selon certains parents. Ces derniers préfèrent alors réduire les contacts familiaux.

Nous pensons, de plus, que le temps et l'énergie que demande le fait d'avoir un enfant autiste ne favorisent pas les échanges et les rencontres intrafamiliales. La famille peut parfois se centrer sur l'éducation de l'enfant et ne laisser que peu de place au reste de l'entourage ; et avec le temps, les relations se réduisent.

Soulignons, également, que lors des entretiens, certains parents ont insisté sur le fait que leur sphère amicale est réduite, mais elle s'est transformée car ils se rapprochent d'autres familles ayant un enfant autiste, souvent par l'intermédiaire de l'association des parents qui a permis de construire un nouveau réseau amical autour de la problématique qu'ils rencontrent. C'est-à-dire que les familles se retrouvent autour de situations similaires qui favorisent les relations amicales. Ainsi, nous constatons que la présence de l'enfant autiste au sein de la famille engendre quelques modifications dans le sens que ce dernier offre une ouverture sociale limitée à des lieux, des personnes et des familles nouveaux. Ce qui peut expliquer les changements mentionnés dans la sphère amicale des parents.

Pour clore cette partie consacrée à la discussion des données, nous proposons le schéma suivant qui résume le vécu familial :

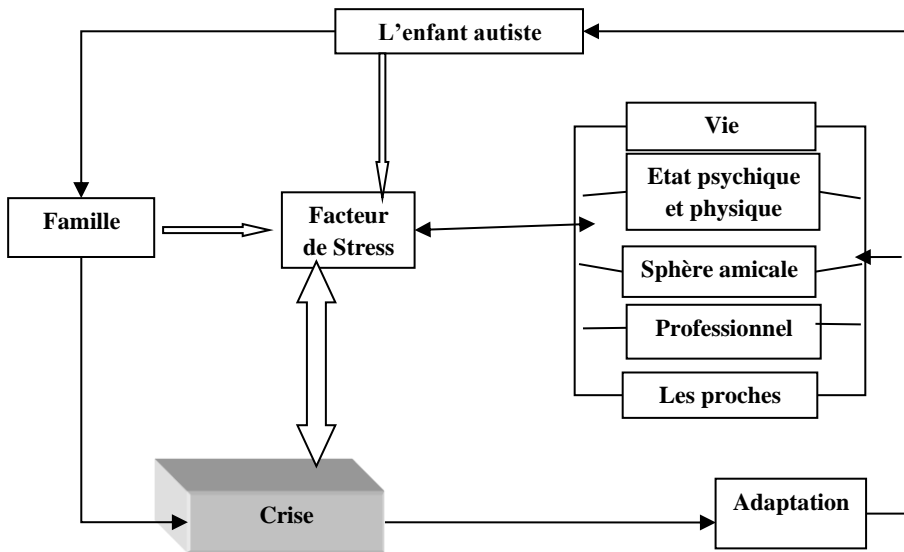


Figure 1 : Cette figure explique que la présence de l'enfant autiste joue un rôle important dans la crise familiale. Ainsi les changements du vécu familial seront des stratégies d'adaptation.

Les données récoltées du questionnaire ont démontré d'abord l'existence de changements au niveau de la vie quotidienne à travers les indicateurs des sorties, des vacances, du sommeil, des tâches quotidiennes. Ensuite, nous avons obtenu un résultat relativement significatif concernant les changements dans la sphère professionnelle, dans le sous-système du couple, de la fratrie et aussi dans les relations avec l'entourage (les proches et les amis).

Nous constatons alors que la présence de l'enfant autiste engendre des changements. Or, il faut toutefois remarquer que même s'ils ne sont pas identiques, certains éléments des changements restent majeurs dans la compréhension de la crise familiale. Le système familial met en place une stratégie articulée autour de l'enfant autiste pour répondre à ses besoins et pour conserver l'homéostasie du système.

Nous pouvons donc déduire qu'il n'existe pas vraiment de perturbation dans la vie familiale, mais plutôt des changements qui ne sont que des stratégies pour faire face à la situation de l'enfant autiste et pour que les familles puissent s'organiser et assurer la gestion de leur quotidien.

Ce qui nous laisse supposer que les troubles de l'enfant autiste influencent le système familial puisqu'ils engendrent une crise. Cela est démontré par l'analyse des données récoltées, et confirmé par la dite théorie ; lorsqu'une partie du système ne fonctionne pas bien cela peut affecter tout le système.

Il faut préciser que les hypothèses de cette études ont donc affirmées mais doivent être spécifiée ainsi : On suppose que le fait d'avoir un enfant atteint d'autisme engendre une crise du système familial, ce qui sera traduit par :

- des perturbations dans la vie familiale ;

- des changements dans les liens familiaux et sociaux.

Conclusion :

Lors de notre recherche, nous avons pu approcher la problématique de l'autisme en relation avec les familles. Nous avons rencontré à plusieurs reprises les enfant autistes, leurs parents ainsi que leurs frères et soeurs.

Nous avons tenté de comprendre, comment les familles pouvaient vivre l'autisme. S'interroger sur cela pose la question du lien existant entre les notions de famille et de trouble autistique. Autrement dit, l'autisme modifie-t-il les liens interfamiliaux ?, influence-t-il la place des membres dans le système « famille » ?

Il nous semblerait intéressant de signaler que suite à l'élaboration de ce travail, diverses questions sont encore ancrées en nous, de même qu'un désir de vivre d'autres expériences de recherche avec des personnes autistes est également toujours présent. Nos différents questionnements sont sans doute légitimes. La première interrogation est de connaître les premiers signes permettant de repérer les enfants à risque et faire un dépistage précoce de ce trouble. Le second questionnement est de comprendre comment nous pouvons aider une personne atteinte d'autisme en réfléchissant sur les méthodes de prise en charge afin de découvrir les plus efficaces pour eux. Les autres interrogations qui nous ont préoccupé sont liées aux contextes familiaux de ces enfants, concernant la souffrance, le stress et la qualité de vie de ces familles.

Pour finir, nous estimons qu'il faudrait accorder plus d'attention à la famille dans la clinique de l'autisme pour l'intérêt de la personne autiste et de sa famille.

REFERENCES

- 1- American Psychiatric Association. (2015). DSM-5-Manuel diagnostique et statistique des troubles mentaux. Elsevier Masson.
- 2- Doso Roland, F. Parot (1991), Dictionnaire de psychologie, Paris : Puf.
- 3- Eisenhower, A. S., Baker, B. L., & Blacher, J. (2005). Preschool children with intellectual disability: syndrome specificity, behaviour problems, and maternal well-being. Journal of intellectual disability research, 49(9), 657-671.
- 4- Gianetti, N., Audoin, G., & Uzé, J. (2002). Un groupe thérapeutique d'enfants: une réponse à la crise familiale autour d'un événement de vie traumatique. Neuropsychiatrie de l'enfance et de l'adolescence, 50(3), 215-221.
- 5- Sénéchal, C., & des Rivières-Pigeon, C. (2009). Impact de l'autisme sur la vie des parents. Santé mentale au Québec, 34(1), 245-260. Disponible en ligne : <http://id.erudit.org/iderudit/029772ar>.
- 6- Villeneuve C., Toharia A (1997), La thérapie familiale Apprivoisée, Ramonville : Erès.

7- VonBertalanffy L. (1993), Théorie générale des systèmes, Paris : Dunod.

ANNEXE

Questionnaire

166

1) Identité :

Prénom : Age : Fratrie : Rang dans fratrie:.....

Fréquenter un établissement : oui non précisé :.....

2) Situation familiale

Parents : En couple Divorcés Veuf (ve)

Père : Age..... Niveau scolaire..... Profession.....

Mère : Age..... Niveau scolaire..... Profession.....

I- Pré-annonce

3- Quel âge avait votre enfant lorsque vous avez remarqué pour la première fois des comportements différents ?

4- Qu'avez-vous remarqué ?.....

5- Qu'avez-vous ressenti devant ces comportements.....

6- Qui d'autres ont constaté ces comportements ?.....

7- Qu'avez-vous faites ?.....

8- A quel moment avez-vous eu recours au Médecin ?(Motif de votre consultation).....

9- Qui a décidé le recours au Médecin ?.....

II- Moment de l'annonce

10 - Qui était présent au moment de l'annonce ?

Père Mère Père et Mère Autres :.....

11- Où l'annonce a été fait ?.....

12-A quel moment de la journée ?.....

13- Par qui ?

14- comment a été fait (la formulation et les mots utilisés) ?.....

15a-Avez-vous eu recours à d'autre médecin une fois le diagnostic a été posé ? oui non

-Si oui pourquoi ?.....

- Si Non pourquoi ?.....

15b- Quel était le diagnostic ?.....

16-Quel est le délai entre la 1^{ème} consultation et la confirmation de diagnostic ?.....

Quelles conséquences d'avoir un autiste dans la famille sur les activités suivantes	jamais	peu	souvent	très souvent	toujours
17-sortir pendant la journée					
18-sortir le soir					
19-Partez-vous en vacances					
20-Votre sommeil est interrompu					
21-Vous avez de mal à accomplir vos activités quotidiennes habituelles en raison de ces interruptions de sommeil ?					
22-Sortir pour des courses					
23-L'enfant autiste est cause de vos problèmes conjugaux					
24-L'enfant autiste est cause de vos problèmes avec vos autres enfants					
25-L'enfant autiste est cause de dispute entre vos enfants					
26-Rendre visite au proche					
27-Recevoir des visites à la maison					
28-Parler beaucoup de l'enfant autiste aux autres					
29-Sentir la honte d'avoir un autiste dans la famille					
30-Avoir la culpabilité d'avoir un autiste dans la famille					
31-Sentir la fatigue morale et état dépressif					
32-Avoir l'anxiété et stress					
33-Ressentir la fatigue physique, surmenage					
34-Avoir des problèmes, rapprochement du lieu de travail					
35-Avoir changé d'entreprise ; des horaires et /ou la nature du travail					
36-Vous avez acquis davantage de force de caractère, de patience, de tolérance					
37-Vous avez perdu ou êtes en train de perdre le contact avec des amis (Votre cercle d'amis a changé)					
38-Vous privez (vous et vos autres enfants) pour satisfaire les besoins de l'autiste (financièrement).					
39-Avoir le sentiment de satisfaction, devant le rôle et les actes que vous accomplissez pour l'autiste.					

40-Avoir le sentiment d'insatisfaction, impuissance devant l'enfant autiste					
41-Les moments de repas sont perturbés à cause de l'autiste					
42-Avoir des aménagements au sein de la maison à cause de la personne atteint d'autisme.					



جميع الحقوق محفوظة

لمركز جيل البحث العلمي © 2020